جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

Faculty of Arts

ISSN: 1858 - 89 48 ردمك

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

تصدر عن كلية الآداب - جامعة أم درمان الأهلية بالشراكة مع
دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السودان

العدد الثاني

مجلة آداب جامعة أم درمان الأهلية علمية دولية محكمة - العدد الثاني ربيع الثاني 1443هـ - ديسمبر 2021م

ISSN: 1858 - 89 48 ردمك

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة آداب Adab Journal
الناشر : دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السوق العربي
الخرطوم - السودان.
ردمك: 1858-8948
للتواصل: جوال : 00249 918109938 - 00249911232253

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

هيئة التحرير

المشرف العام

د. فتح العليم عبد الله

رئيس هيئة التحرير

د. هالة أبا يزيد بسطان محمد

سكرتير التحرير

د. آدم أحمد آدم عجيل

أعضاء هيئة التحرير

د. مصعب أبوبكر أحمد إسماعيل

أ. راوي عمر إسحق محمد

التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر

الهيئة العلمية و الإستشارية

ـ بروفسور يوسف فضل حسن	السودان
ـ بروفسور عمر حاج الزاكي	السودان
ـ بروفسور صلاح الدين الفاضل أرسد	السودان
ـ بروفسور علي صالح كرار	السودان
ـ بروفسور كرار أحمد بشير العبادي	السودان
ـ بروفسور جبارة عبدالله محمد الحسن	السودان
ـ برفسور أحمد بن بو جمعة	الجزائر
ـ بروفسور محمد يزيد سالم	الجزائر
ـ بروفسور محمد يسن الشكري	العراق
ـ بروفسور محمد زروق الحسن	السعودية
ـ بروفسور حاتم الصديق محمد أحمد	السودان
ـ دكتور الصديق عمر الصديق	السودان

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة
تحمل وجهة نظر كاتبها

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

شروط وضوابط النشر بمجلة آداب

ترحب مجلة (آداب) بمساهمات الكتاب والمفكرين العلمية المبتكرة وعرض الكتب مع تغطية المؤتمرات العلمية وتلخيص ما جاء فيها من توصيات وذلك بإحدى اللغات العالمية الحية - اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وذلك وفق القواعد الآتية:

1. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو أجيز للنشر في مجلة أخرى.
2. أن يكون عنوان البحث مختصراً ومعبراً عن موضوعه.
3. ألا تقل عدد كلمات البحث عن خمسة ألف كلمة ولا تزيد عن ثمانية ألف كلمة وجوباً.
4. يتصدر البحث مستخلصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، وفي حالة الأبحاث باللغة الفرنسية، يكون المستخلص بذات اللغة والآخر باللغة العربية، يشمل المستخلص أهمية الموضوع ومحاوره أو مباحثه ومنهجه وأهم النتائج والتوصيات إن وجدت (لا تزيد عدد كلمات المستخلص عن مائتين وخمسين كلمة ولا تقل عن المائتين كلمة بعد تضمين الكلمات المفتاحية أسفل المستخلص فيما لا يزيد عن خمس كلمات وجوباً).
5. أن يتصدر البحث مقدمة منهجية موجزة تتضمن التعريف به، أهدافه، أهميته والمنهج المتبع في الكتابة وتقسيمه إلى محاور أو عناصر أو مقاصد.
6. تكتب البحوث العربية بخط نوع Simplified Arabic مقاس 14 بمسافة 1.5 بين الأسطر، أما البحوث باللغة الإنجليزية والفرنسية فتكتب بخط نوع Times New Roman مقاس 12 ومسافة 1.5 بين الأسطر، على أن يكون عنوان البحث بخط مقاس 16 عريض والعناوين الجانبية بخط مقاس 14 عريض.
7. تترك هوامش 3 سم يمين الصفحة في البحوث العربية ويسار الصفحة في البحوث الإنجليزية والفرنسية، ومسافة 2.5 سم لبقية الهوامش، على أن يكون حجم الورقة عادي (A4).

8. التزام الموضوعية وأن تكون وجهات النظر والحجج واضحة ومعززه بالتوثيق العلمي كما هو الحال في الدراسات الأكاديمية المنهجية العلمية.
9. يتم توثيق المعلومات بالترقيم التسلسلي تحت عنوان: (الهوامش) في نهاية البحث. وتكتب أسماء المراجع حسب تسلسل الترقيم الوارد في المتن بالتفاصيل التالية: (الكاتب - الكتاب - الجزء أو الطبعة إن وجدا - جهة النشر - سنة النشر - الصفحة) وجوباً.
10. أن يكون البحث خالياً من أخطاء الصياغة والأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية وجوباً.
11. تورد الملاحق في نهاية البحث، مع وجوب إرفاق الاستبانة المنهجية المعروفة للدراسات التي تتبع هذا الأسلوب.
12. يُرسل البحث لسكرتير تحرير المجلة من نسخة إلكترونية مثبت عليها في صفحة منفصلة اسم صاحب الورقة، درجته العلمية، جهة العمل، بريده الإليكتروني، على البريد الإلكتروني للمجلة adab.journal2021@gmail.com
13. تخضع البحوث المستلمة لمراجعة أولية من هيئة التحرير للتأكد من أهليتها العلمية وللهيئة الحق في قبول أو رفض البحث المقدم في هذه المرحلة أو بعد التحكيم العلمي دون إبداء الأسباب.
14. يُعرض البحث بعد إجازته الأولية لمحكم أو أكثر، وفي سرية تامة للوقوف على صلاحيته علمياً ومنهجياً.
15. في حالة قبول البحث يُعاد لصاحبه لتنفيذ تصويبات المحكمين ومن ثم إرساله مرة أخرى عبر البريد الإلكتروني للمجلة في فترة لا تتجاوز الأسبوع.
16. تشجع المجلة البحوث المشتركة من باحث أو أكثر على أن يكون ذلك مبرراً بطريقة البحث وتعدد التخصصات.
17. لا ترد البحوث التي لا تقبل للنشر.
18. تؤول حقوق النشر للمجلة بعد الموافقة على النشر النهائي.
19. المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

المحتويات

مصادر مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان (دراسة تطبيقية).....(9-20)

د. عبد الباسط عبد الله على دليل

ميميَّة الفرزدق في مدح آل البيت(زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب).....(21-40)

د. الفكي محمد الحسن الشيخ إدريس

تنازع المجذوب بين ثورة التمرد وسكينة الالتزام.....(41-64)

د. قاسم نسيم حماد حربة

استخدام تقنيات المعلومات في تعليم علوم المكتبات والمعلومات.....(65-82)

د. شذى حمدالله محجوب حمدالله

صفات المرأة في أدب العقاد.....(83-100)

د. إمتثال عبد الماجد عمر

ظاهرة الأضداد ومشكلاتها في الترجمة الآلية(مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجًا).....(101-114)

د.مطيع أحمد مالك الطيب -د. عبد المحسن إسماعيل أربان شايبو

L'enseignement du vocabulaire aux universités soudanaises..... (115- 126)

Dr. Nadia Abdel Rahim Mohamed

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

كلمة الناشر

وبه نبدأ ونستعين

القارئ الكريم:

بعد التحية والتقدير يسعدنا في دار آرثيريا للنشر والتوزيع- السودان أن نزف إلى حضراتكم أولى ثمار تجربة الدار في النشر العلمي الرصين والجاد وذلك بالشراكة مع كلية الآداب- جامعة أم درمان الأهلية السودان.

القارئ الكريم:

إن هذه الشراكة العلمية من الخطوات الجريئة والرائدة في مجال النشر العلمي ونحسبها ناجحة بكل المقاييس بإذن الله تعالى، ونأمل أنها فاتحة خير لعدد من المشروعات النشرية القادمة للدار.

وختاما تتقدم دار آرثيريا للنشر والتوزيع بخالص الشكر والتقدير لأسرة كلية الآداب بجامعة أم درمان الأهلية السودان ولأسرة التحرير واللجنة العلمية والاستشارية للمجلة ويمد شكرنا لكل العلماء والباحثين والأكاديميين المشاركين بأوراقهم العلمية في هذا العدد الأول للشراكة_الثاني للمجلة، متمنين أن يتواصل هذا التعاون العلمي مستقبلا.

الناشر

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد..

تواصل مجلة " آداب " العلمية المحكمة، الصادرة في كلية الآداب جامعة أم درمان الأهلية الصدور، بإخراج العدد الثاني منها؛ خدمة للبحث العلمي الرصين، في تخصصات كلية الآداب المختلفة، في إطار سعيها إلى تزكية الفكر المعرفي وترسيخ أهداف وغايات البحث المنهجي الجاد، لتضع بصمة فارقة في مجال النشر العلمي المحكم.

أضافت المجلة ، لهيئتها العلمية والاستشارية أساتذة أفاضل من جامعات إقليمية: (العراق والجزائر)، ونأمل أن يتسع النطاق في الأعداد القادمة، وأن يضفي هذا المنحى قيمة علمية تعضد رسالتها وتفتح أمامها أفق الانتشار والتشاركية العلمية المثمرة مع الجامعات الإقليمية - إن شاء الله.

لقد احتوى هذا العدد سبع دراسات في شتى علوم الآداب، منها علوم التربية الإسلامية، وعلوم اللغات: العربية، والإنجليزية، والفرنسية. ونأمل أن يجد فيها القارئ سياحة فكرية ماتعة ومفيدة. ونشير إلى أننا نستقبل ما يقدمه القُراء من ملاحظات، على البريد الإلكتروني، خدمة للمجلة وسعيا لترقيتها ولتحقيق رسالتها العلمية المنشودة.

والله ولي التوفيق

رئيس هيئة تحرير المجلة

مصادر مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان
(دراسة تطبيقية)

د.عبد الباسط عبد الله علي دليل
جامعة أم درمان الأهلية

مستخلص :

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة منهجية الإمام أبي حنيفة الفقهية من خلال تبيين مذهبه، بجانب معرفة الأسس العلمية والفكرية التي اعتمد عليها في فقهه. ولأن أبا حنيفة كما قال عنه الإمام الشافعي: كل الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة هنا تخلصت أهمية الدراسة؛ فالمذهب الحنفي أول المذاهب الفقهية تدوينا في الفقه الإسلامي، وقد اتبع الباحث في كتابة هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما وقسم الباحث الدراسة إلى قسمين القسم الأول التعريف بصاحب المذهب الإمام أبو حنيفة والقسم الثاني الأسس التي قام عليها المذهب وقد اشتملت الدراسة على هذه الأسس والتعريف بها وبالجانب التطبيقي الذي اعتمده الإمام أبو حنيفة في طريقة استخدام هذه الأسس. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحث: ثبات أبو حنيفة على الحق الذي أداه إليه اجتهاده، وصبره على الابتلاءات التي واجهته في حياته العلمية، يعتبر الإمام أبو حنيفة نموذج للصبر العلماء في إقامة الحق، إبداء المذهب الحنفي مرونة واسعة في الاجتهاد والقياس حتى سمى بمذهب أهل الرأي، انفراد المذهب الحنفي بالإجماع السكوتي ووضع الضوابط التي تجعله ممكنا في المجتمع إذا احتيج إليه.

الكلمات المفتاحية: أبو حنيفة، منهج، فقه

Abstract:

The purpose of this study is to study the methodology of Imam Abi Haleih Al-Fiqh Al-Fiqh through the teaching of his doctrine, as well as the scientific and intellectual foundations on which he has relied in his jurisprudence. Because Abba is pregnant, as Imam Al-Shafi said: Hanafi is the first doctrine to be codified in Islamic jurisprudence. The scholar in writing this study followed the analytical descriptive approach. One of the most important findings of the scholar is Abu Hakama's determination of the right to which he has striven, and his patience for the advances he has faced in his scientific life.

Imam Abu Halim is an example of the patience of scholars in establishing the right, showing Hanafi a great deal of flexibility in jurisprudence and measurement until he has been called the Rei, singling out Hanafi a Scotian consensus and establishing the controls that make it possible in society if it is needed. Keywords: Abu Haniyah. Syllabus.

مقدمة:

الحمد لله الهادي المبين، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يعد المذهب الحنفي من أكثر المذاهب التي كتب لها الاستمرار، وتلقتها الأمة بالقبول، ويسمى المذهب الحنفي مذهب أهل الرأي، وهو أقدم المذاهب الأربعة، وصاحبه هو الإمام أبو حنيفة النعمان، وتتمثل أهمية هذا المذهب في أنه ليس مجرد أقوال أبو حنيفة وحده، ولكن أقواله وأقوال أصحابه وتلاميذه، التي كونت مدرسة الحنفية.

ويعتبر مذهب الأحناف من المذاهب التي كانت لها فضل كبير على الفقه الإسلامي، من خلال تحرير مسائله وترتيبها في أبواب، حيث يعد الإمام أبو حنيفة أول من دون علم الشريعة ورتبه أبواباً مبوبه، وكتباً مرتبه، إنما كانوا في السابق يعتمدون على قوة حفظهم، فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشراً خاف عليه أن يضيع، فدونه وجعله أبواباً، مثل: باب الطهارة، والصلاة، وسائر العبادات، ثم المعاملات، وختمه بالمواريث، وهو الأمر الذي اعتمده الفقهاء من بعده.

فما هي الأسس والمبادئ التي اعتمد عليها الإمام أبو حنيفة في مذهبه؟

للإجابة على هذا السؤال، كتبت هذا البحث، وجعلته في إطارين:

الإطار الأول: التعريف بمؤسس المذهب الإمام أبو حنيفة.

الإطار الثاني: الأسس والمبادئ التي قام عليها المذهب.

لعلى في ذلك أضف بعض المفاهيم التي قام عليها هذا المذهب العظيم، راجياً من الله العلى العظيم التوفيق والسداد، والله ولى ذلك، والقادر عليه، وصلى اللهم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الإمام أبو حنيفة:

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فقيه العراق، وهو أحد أئمة المذاهب الأربعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي، اشتهر بعلمه الغزير، وأخلاقه الحسنة، حتى قال فيه الأمام الشافعي: (الناس في الفقه عيال على ابى حنيفة).

ويعد أبو حنيفة من التابعين، فقد لقى عدداً من الصحابة، منهم: أنس بن مالك، وكان معروفاً بالورع وكثرة العبادة، والوقار والإخلاص وقوة الشخصية.[1] ولد الإمام ابو حنيفة بالكوفة، سنة ثمانين من الهجرة

النبوية، على رواية يجمع عليها المؤرخون، وأبوه ثابت بن النعمان بن زوطى، وهناك خلاف في تحديد انتماؤه العرقي، حيث يوجد روايات متعددة منها أنه من أصل فارسي، وهذه الرواية مشهورة متداولة معروفة.(2) وفي رواية أنه من أصل نبطي بابلي عراقي قديم منذ القدم، [3] [4]

نشأ أبو حنيفة بالكوفة وتربى فيها، وعاش أكثر حياته فيها، ولقد كانت الكوفة مولد ابو حنيفة إحدى مدن العراق العظيمة، بل ثاني مصرية العظيمين في ذلك الوقت، وكان العراق بعد الإسلام مزيجاً من أجناس مختلفة، وفيه اضطراب وفتن، وآراء تتضارب، في السياسة وأصول العقائد، ففيه الشيعة، وفي باديته الخوارج، وفيه المعتزلة، وفيه تابعين مجتهدين حملوا علم من لقوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيهم علم الدين سائغاً مورداً، وفيه النحل والملل المتنازعة والآراء المتضاربة.[5]

كان أبو حنيفة منصرفاً في أول أمره إلى مهنة التجارة، ويختلف إلى الأسواق ولا يختلف إلى العلماء إلا قليلاً، حتى مر على الإمام الشعبي فنصحه إلى طلب العلم، يروى عن أبي حنيفة أنه قال:(مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني فقال لي: إلى من تختلف؟ فقلت: إلى السوق، لم أعنى الاختلاف إلى السوق عنيت الاختلاف إلى العلماء فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال لي: لا تغفل عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإني أرى فيك يقظة وحركة، قال: فوقع في قلبي قوله فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت العلم، فنفعني الله بقوله). [6]

لزم أبو حنيفة حماد بن أبي سليمان، وتخرج عليه في الفقه، واستقر معه إلى أن مات، وقد روى أن أبي حنيفة قال عن صلته بشيخه حماد:(لازمته حتى مات). [7][8]

وقد ثبت أنه لازمه ثماني عشرة سنه. [9] [10]

شيوخ الإمام أبو حنيفة كثيرون، لا يسع ذكرهم، منهم: الليث بن سعد،[11]

وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وطاووس، وعدى بن ثابت، ونافع وعبد الملك بن عمير، وعطاء بن السا أب وهشام بن عروة وغيرهم [12]

ومن تلاميذه: أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم، وأبو الهذيل زفر بن الهذيل، محمد بن الحسن الشيباني وأسد بن عمر البجلي وداوود الطائي وعبد الله بن المبارك وغيرهم. [13]

الحقبة التأريخية ومحنته الأولى والثانية:

محنته الأولى:

عاش أبو حنيفة اثنان وخمسون سنة من حياته في العصر الأموي، وثمانية عشر سنة في العصر العباسي، فهو قد أدرك دولتين من دول الإسلام، ويروى أنه لما خرج زيد بن على زين العابدين على هشام بن عبد الملسنة مائة وواحد وعشرون من الهجرة، كان الإمام أبو حنيفة من المؤيدين للإمام زيد، قال أبو حنيفة: (ضاهى خروجه خروج رسول الله ﷺ يوم بدر)، ويروى أنه قال في الاعتذار من عدم الخروج معه:(لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه من قبل لجاهدت معه لأنه إمام حق، ولكن أعينه بمالي، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم،[14] وانتهت ثورة الإمام زيد بقتله سنة مائة واثنان وثلاثون من الهجرة، كما قتل ابنه يحيى في خراسان، وابن ابنه عبد الله بن يحي في اليمن، ولقد كان لزيد بن على منزلة في نفس أبي حنيفة فرآه يقتل بسيف الأمويين ثم يقتل من بعده ابنه ثم حفيده فأحنقه ذلك.

كان يزيد بن عمر بن هبيرة والى الكوفة أنداك، فأرسل إلى أبى حنيفة يريد أن يجعل الخاتم في يده، ولا ينفذ كتاب إلا من تحت يد أبى حنيفة، فأمتنع أبو حنيفة عن ذلك فحلف الوالي بضربه إن لم يقبل، فرفض أبا حنيفة أن يقبل ذلك المنصب، قال: (لو أرادني أن أعد له أبواب مسجد واسط لم أدخل في ذلك، فكيف وهو يريد منى أن يكتب دم رجل يضرب عنقه وأختم أنا على ذلك الكتاب، فوالله لا أدخل في ذلك أبداً) فحبسه صاحب الشرطة، وضربه أياماً متتالية، فجاء الضارب إلى الوالي وقال له:(أن الرجل ميت فقال له الوالي: أسأله إن قبل،) فقال أبو حنيفة:(لو سألني أن أعد له أبواب المسجد ما فعلت)،ثم أمر الوالي بتخليت سبيله، فركب دوابه وهرب إلى مكة ، بعد أن أمكن له الجلاد أسباب الفرار وظل مقيماً بمكة حتى صارت الخلافة للعباسيين في زمن أبى جعفر المنصور .[15]

محنته الثانية:

استقبل أبو حنيفة عهد العباسيين بارتياح، فقد رأى اضطهاد الأمويين لبنى على بن أبى طالب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستمر على ولائه للدولة العباسية لمحبته لآل البيت جميعاً، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور يدنيه، ويعليه، ويرفع قدره، ويعطيه العطايا الجزيلة، ولكنه كان يردها وليقبلها، ولم يعرف في أبى حنيفة أنه تكلم في حكم العباسيين، حتى نقم عليهم أبناء على بن أبى طالب، واشتده الخصومة بينهم، وكان ولاءه لبنى على، فكان طبيعياً أن يغضب لغضبهم، وخصوصاً أن من ثار على حكومة أبى جعفر هو محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن وأخوه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن، وكان أبو هما ممن اتصل به أبو حنيفة اتصالاً علمياً، وقد كان عبد الله وقت خروج ولديه في سجن أبى جعفر المنصور، ومات فيه بعد مقتل ولديه .

كان موقف أبى حنيفة من خروج محمد النفس الزكية على المنصور شديداً

فقد كان يجهر بمناصرته في درسه، بل وصل الأمر إلى أن ثبط بعض قواد المنصور عن الخروج لحربه،[16]

كان هذا العمل في نظر المنصور من أخطر الأعمال على دولته، لأن أبا حنيفة تجاوز فيه حد النقد المجرد، والولاء القلبي إلى العمل الإيجابي، فأراد المنصور أن يختبر طاعة أبى حنيفة وولاءه له، وقد كان يبنى بغداد آنذاك، فأراد أن يجعله قاضياً، فأمتنع أبو حنيفة، فأصر المنصور على أن يتولى له عملاً أياً كان، فقبل أبو حنيفة أن يقوم ببعض أعمال البناء من إعداد اللبن وماشاه ذلك فاستطاع بذلك أن يغمض عنه عين المنصور. ولكن أبو حنيفة كان من وقت لآخر يقول بعض الأقوال، أو تكون منه أمور تكشف عن رأئيه في أبو جعفر المنصور وحكومته، ومن ذلك أن أهل الموصل كانوا قد انتفضوا على المنصور، وقد اشترط المنصور عليهم أنهم إذا انتفضوا فتحل دماؤهم له، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم أبو حنيفة فقال: (أليس صحيحاً أنه عليه الصلاة والسلام قال: المؤمنون عند شروطهم) (17) وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا على، وقد خرجوا على عاملي وقد حلت دماؤهم) فقال رجل: (يدك مبسوطة عليهم، وقولك مقبول فيهم، إن عفوت فأنت أهل العفو، وإن عاقبت فبما يستحقون) فقال لأبى حنيفة: ما تقول أنت يا شيخ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟ فقال أبو حنيفة: (إنهم شرطوا عليك ما لا يملكونه، وشرط عليهم ما ليس لك، لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معانٍ ثلاثة، فإن أخذتهم أخذتهم بما لا يحل، وشرط الله أحق أن توفي به) فأمرهم المنصور بالقيام،

ثم دعاه وقال:(يا شيخ القول ما قلت انصرف إلى بلادك، ولا تفت الناس على ما هو شين على إمامك فتبسط أيدي الخوارج). ود عندما دعاء أبو جعفر المنصور أبا حنيفة لتولى القضاء امتنع، فطلب منه أن يرجع إليه القضاء فيما يشكل عليهم ليفتيهم، فأمتنع، فأنزل به العذاب بالضرب والحبس.[18] ويروى أن أبا جعفر حبس أبا حنيفة أن يتولى القضاء ويصير قاضى القضاة، فأبى حتى ضربه وحبسه، وأخرجه من السجن على أن يلزم الباب، وطلب منه أن يفتى بما يرفع إليه من الأحكام، وكان يرسل إليه المسائل فلا يفتى، فأمر أن يعاد إلى السجن، فأعيد وضيق عليه تضيقاً شديداً.[19]

وفاته:

توفي أبو حنيفة في رجب، وقيل في شعبان، وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمسون ومائة من الهجرة، وكانت وفاته في بغداد، ودفن في مقبرة الخيزران، وصح أنه لما أحس بالموت سجد فمات ساجداً،[20] وقد أوصى أبو حنيفة أن يدفن في أرض طيبة لم يجر عليها غصب ألا يدفن في أرض قد أتهم الأمير بأنه اغتصبها، ويروى أن أبا جعفر عندما علم ذلك قال:(من يعذرني من أبي حنيفة حياً أو ميتاً)، وشيعت بغداد جنازة فقيه العراق، والإمام الأعظم، وقد قدر عدد من صلوا عليه بخمسين ألفاً، حتى لقد صلى أبو جعفر بنفسه، على قبره بعد دفنه.[21]

الأسس التي اعتمد عليها المذهب الحنفي:

قال الإمام أبو حنيفة: (إني أخذت بكتاب الله إذا وجدته، فإذا لم أجده فيه أخذته من سنة رسول الله والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات فإذا لم أجد في كتاب الله وسنة رسول الله أخذت بقول أصحابه أخذ بقول من شئت، ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى قول ابراهيم والشعبي وابن المسيب (وعد رجالاً) فلى أن أجتهد كما اجتهدوا) (22).وقد اعتمد المذهب على المبادئ والأسس التالية:

القرآن الكريم:

القرآن في اللغة مصدر بمعنى القراءة، وتعريفه عند الاصوليين ;(هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله، باللسان العربي، للإعجاز بأقصر سورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس) [23]

القرآن الكريم كلام الله تعالى بنظمه ومعناه، بدليل إعجازه، وجميع القرآن عربي، ليس فيه من لغة الأعاجم شيء، وهو منقول بالتواتر، بواسطة جمع يحفظونه عن جمع إلى رسول الله ﷺ [24] . والقرآن الكريم حجة، يجب على جميع الناس العمل به، لأنه كلام الله الذي صح نقله بطريق قطعي لا ريب في صحته، والدليل القاطع على ذلك إعجازه، لأن الله أمر نبيه أن يتحدى الناس بالإتيان بمثله، قال تعالى:(قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) القصص، [49]ويشتمل القرآن الكريم على أحكام تعلق بصلاح الدنيا والآخرة، وهي ثلاثة أنواع:

1. الاعتقادات: وهي المتعلقة بما يجب على الإنسان اعتقاده، في وجود الله وتوحيده، والكتب والرسل واليوم الآخر.
2. الأخلاق: وهي ما يتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل، وبما يتخلى عنه من الرذائل.

3. المعاملات: وهي ما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات [25]والقرآن الكريم قطعي الثبوت، لكن دلالته على الأحكام قد تكون قطعية الدلالة أو ظنية الدلالة، وله أساليب متنوعة في بيان الأحكام، فكل فعل عظمه الله تعالى أو مدحه أو أحبه أو وعد به خيراً فهو مشروع مشترك بين الوجوب والندب، وكل فعل طلب الشارع تركه أو ذمه أو لعنه أواعد به فهو غير مشروع مشترك بين الحرام والمكروه [26]

يعتبر القرآن عند الإمام أبو حنيفة هو المصدر الأول، والأعلى في مسائل الفقه، لأنه الكتاب القطعي الثبوت لا شك في حرف من حروفه، ولا يوازيه، ولا يصل إلى رتبته في الثبوت إلا الحديث المتواتر، ولذلك لا يرى نسخ القرآن الكريم بخبر الآحاد من السنة، وانما يعمل بهما ما أمكن، وإلا ترك السنة الظنية للكتاب.[27]

السنة النبوية:

السنة في اللغة: السيرة والطريقة المعتادة، وتعريفها عند الأصوليين: هي كل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو تقرير.

والسنة ثلاثة أنواع:

السنة القولية: وهي الأحاديث التي قالها الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله: (إنما الأعمال بالنيات) [28]

السنة الفعلية: وهي الأفعال التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل: أداء الصلوات وأداء شعائر الحج.

السنة التقريرية: وهي ما أقره النبي ﷺ صراحة، أو سكت عن إنكاره بعد أن صدر أمامه، أو حدث في عصره وعلم به مثل أكل الضب على مائدته. والسنة من ناحية سندها: إما متواتره، أو آحاد.

وحكم المتواتر أنه قطعي الثبوت يفيد العلم واليقين ويكفر جاحده، وقد تكون سنة مشهوره، وحكم السنة المشهورة أنها تفيد الطمأنينة، والظن القريب، ويفسق جاحدها.

أما سنة الآحاد: هي ما رواه عن رسول الله ﷺ آحاد وتسمى خبر الواحد، وحكمها أن تفيد الظن ولكن يصح الاستدلال بها في الأعمال لا الاعتقاد. والسنة حجة وواجبه الإتباع كالقرآن في استنباط الأحكام الشرعية، قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**)[النساء59]

لم يجعل الإمام أبو حنيفة السنة النبوية في رتبة واحدة، بل كان يقدم مثلاً السنة القولية على السنة الفعلية، لجواز أن يكون الفعل خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم، ويقدم السنة المتواترة على خبر الآحاد عند التعارض وعدم الجمع بينهما، بل أحياناً يترك العمل بخبر الآحاد إذا خالف قاعدة شرعية مأخوذة من القرآن أو السنة الصحيحة[29] وكان أبو حنيفة ,اصحابه يتشددون في قبول الرواية، ويحتجون بالسنة المشهورة، والمتواترة بين أهل الفقه، ويرجحون ما يرويه الثقات من فقهاء العراق، دون غيرهم من الرواة، وترتب على ذلك أنهم جعلوا المشهور عندهم في حكم المتواتر، وخصصوا به العام في القرآن، وقيدوا

به المطلق فيه . وقد اشترط أبو حنيفة شروطاً للأخذ بخبر الواحد وهى:

- ألا يعارض ما هو أقوى منه كنص الكتاب والسنة المتواترة والمشهورة.
- ألا يعارض عمل أصحاب رسول الله أو الإجماع.
- ألا يخالف الراوي ما روى.
- ألا يكون الخبر ما تعم به البلوى.
- ألا يخالف القياس.[30]

الإجماع:

في اللغة العزم على الشيء، أو الاتفاق.

واصطلاحاً عند الاصوليين: هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، في عصر من العصور على حكم شرعي.

وركن الإجماع هو اتفاق المجتهدين، ويشترط فيه أن يكون القائم بالإجماع عدداً من المجتهدين، أن يحدث الاتفاق من جميعهم على الحكم الشرعي .أن يتوافر الاتفاق من جميع المجتهدين في وقت الحادثة من مختلف الامصار الإسلامية، فإذا انعقد الإجماع على النحو السابق المطلوب، صار الحكم واجب الإتباع، ولا يجوز مخالفته كالقران والسنة قال تعالى:(**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا**)(النساء 115) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا تجتمع أمتى على خطأ) [31] .

فما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وما اختلفوا فيه لا يخرج عن أقوالهم إلى أقوال غيرهم، والإجماع عند أبى حنيفة حجة معمول به.[32] والإجماع عند أبو حنيفة له ثلاثة أنواع:

1. الإجماع الصريح: ويسميه البعض من الحنفية عزيمة، وهو أن يتم الاتفاق على المسألة قولاً أو فعلاً.
2. الإجماع السكوتي: وهوان يجيب واحد ويسكت الآخرون، ولكنهم يرون ذلك على ما يرى طريقاً لتأييده، كأنهم بترك الاعتراض موافقون على صحة الكلام، فيكون خبراً عند عامتهم.
3. الإجماع على لا قول آخر في المسألة، وذلك إذا اختلف الصحابة في مسألة على قوليين، أو أقوال محصورة، فهذا إجماع على أن ما عداها باطل.[33]

والإجماع عند أبي حنيفة على مراتب:

فأقوى مراتب الإجماع إجماع الصحابة رضى الله عنهم الصريح، فهذا يكفر جاحده عند أكثر الأحناف.

الإجماع السكوتي عند الصحابة.

إجماع من بعدهم على حكم لم يظهر من خلال من سبقهم.

إجماع على قول سبق، فيه خلاف من سبقهم، وهذا بمنزلة خبر الواحد وجب العمل به دون العلم.

وكل هذه الاجتماعات مقدمة على القياس عند أبو حنيفة.[34]

القياس:

القياس في اللغة: التقدير والتسوية، واصطلاحاً عند الأصوليين: هو إلحاق فرع بأصل فيه نص بحكم معين من الوجوب أو الحرمة لوجود علة الحكم في الفرع كما هي في الأصل [53] .

والقياس حجه عند الجمهور قال تعالى:(**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**) {النساء 59}وقال تعالى:(**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**)(الحشر 2)

بعث رسول الله ﷺ معاذ قاضياً إلى اليمن، وقال له:(كيف تقضى إذا عرض عليك قضاءً؟ قال أقضى بكتاب الله، فإن لم أجد فبسنة رسول الله، فإن لم أجد أجتهد رأى ولا آلو (أي لا أقصر) فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله[36]

والاجتهاد بالرأي يمثل القياس[37]

لقد توسع الإمام أبو حنيفة في القياس، في غير الحدود والكفارات، والمقدرات الشرعية، وأسباب كثرة القياس عند أبو حنيفة عديدة منها:

1. أن الإمامة أبو حنيفة أقل من غيره من الأئمة في رواية الحديث، ولتشدده في الرواية.
2. تقدم عهد أبو حنيفة على عهد بقية الأئمة.
3. تأثر أبو حنيفة بمهج مدرسة الكوفة، وهي نتاج أقضية عمر ولى وبن مسعود.
4. بعض القواعد الاصولية عند الحنفية (كاعتبار العام قطعي الدلالة لا يزاد عليه إلا بقطعي الدلالة مثله) لأن الزيادة نسخ عندهم.
5. الوقائع المتجددة الكثيرة، التي كانت في بيئة العراق.
6. ظهور الفقه التقديري، وهو افتراض أجوبة لحوادث لن تقع[38]

كان أبو حنيفة يقدم القياس على حديث الآحاد الذي لم تنطبق عليه الشروط التي حددها، كما أنه لم يتقيد بقول سابق للصحابة والتابعين ما لم يتبن له صحة ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجل ذلك يعد الأحناف أبعد الفقهاء أثراً، وأرسخهم قدماً في القياس، وبسبب اعتماد أبو حنيفة أصحابه على القياس كثيراً سمى هو ومن معه بأصحاب الرأي[39]

الاستحسان:

في اللغة، عد الشيء حسناً، وفي اصطلاح الأصوليين، هو ترجيح قياس خفي على قياس جلى بدليل، أو استثناء حكم جزئي من أصل كلى، أو قاعدة عامة بناء على دليل خاص يقتضي ذلك، كالحكم بطهارة سؤر سباع الطير والغراب لانقضاضهما على الآنية من السماء، وينقسم الاستحسان إلى عدة أنواع بحسب الدليل الذي يثبت به منها:

الاستحسان بالنص، وهو أن يرد نص معين يتضمن حكماً لمسألة خلافاً للحكم الكلى الثابت بدليل عام، مثل: الوصية، والحكم ببقاء الصوم مع الأكل أو الشرب ناسياً.

الاستحسان بالإجماع، مثل: إجماع العلماء على جواز عقد الإستصناع.

الاستحسان بالعرف، وهو أن يتعارف الناس شيئاً مخالفاً للقاعدة العامة، للحاجة مثل: وقف المنقول استحسانا.

الاستحسان للضرورة، وهو أن توجد ضرورة تحمل المجتهد على ترك القياس، والأخذ بمقتضى الضرورة، مثل: تطهير الآبار والحياض، التي تقع فيها نجاسة، ينزح مقدار من الماء للضرورة.والاستحسان حجة عند الجمهور، قال تعالى:(**يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**) سورة البقرة 185{فترك العسر إلى اليسر استحساناً وهو

أصل في الدين.[40] وقد أكثر الأحناف من الاستحسان، وتوسع الإمام أبو حنيفة في الأخذ بهذا الأصل، فكان يقيس ما استقام القياس، فإذا أقبح القياس استحسن ولاحظ تعامل الناس، قال: (استحسن وأدع القياس).

ويقسم الحنفية الاستحسان إلى أنواع بحسب سنده الذي كان العدول بسببه:

استحسان النص: وهو العدول عن حكم القياس الظاهر إلى حكم مخالف له ثبت بالأثر، كالسلم والإجارة فإن القياس يأبى جواز هذه العقود ولكنها جازت بالنص.

استحسان الإجماع:

وهو العول عن حكم القياس الظاهر إلى حكم مخالف ثبت بالإجماع، كصحة عقد الاستنقاع الذي ثبت بالإجماع.

استحسان الضرورة: وهو أن توجد ضرورة تحمل المجتهد على ترك القياس والأخذ بمقتضيات الضرورة مثل: تطهير الآبار والحياض، فإن القياس ينافي تطهيرها، ولكنهم تركوا العمل بالقياس للضرورة.

استحسان القياس الخفي، وهو أن يكون في المسألة وصفان يقتضيان قياسين متباينين، أحدهما ظاهر وهو القياس الاصطلاحي، والآخر يقتضى إلحاقه بأصل آخر فيسمى استحساناً ومثاله: سؤر الطير نجس اللحم ولكنه طاهر لأن الطير تشرب بمنقارها ومنقارها طاهر[41]

العرف:

هو كل ما اعتاده الناس وساروا عليه من كل فعل شاع بينهم، أو قول تعارفوا إطلاقه على معنى خاص لا تألفه اللغة، ولا يتبادر غيره عند سماعه، وله أنواع منها القولي والعملي والخاص والعام، فالعملي مثل: اعتياد الناس بيع المعاطاة من غير وجود صيغة لفظية.

والعرف القولي مثل: تعارف الناس إطلاق (الولد) على الذكر دون الأنثى.

والعرف العام: وهو ما يتعارف أغلب أهل البلاد في وقت من الأوقات، كتعارفهم على عقد الاستنزاع.

والعرف الخاص: هو ما يتعارفه أهل بلدة معينة من الناس كإطلاق لفظ (الدابة) في عرف أهل العراق على الفرس خاصة. والعرف حجة إن كان صحيحاً، دون أن يحل حراماً أو يحرم حلالاً، والعرف الفاسد لا يعمل به وليس حجة، أما العرف الصحيح فمقبول في التشريع والقضاء والاجتهاد لأنه لا يخالف أحكام الشريعة لذا قال العلماء: (العادة شريعة محكمه) والثابت بالعرف ثابت بالنص).[42] والأحناف فلا يفرقون بين العرف القولي والعرف العملي، ويفرقون بين العرف العام والعرف الخاص، ذكر بن عابدين: أن العرف العام هو مالم يعارض الدليل الشرعي فيثبت به الحكم، والعرف الخاص مالم يعارض الدليل الشرعي، فالعرف المعتبر عندهم ما لم يعارض الدليل الشرعي سواء كان عاماً أو خاصاً ولو عارض المنصوص في كتب المذهب وإذا عارض العرف الدليل الشرعي من كل الوجوه يترك ولا يلتفت إليه، وإذا عارضه من بعض الوجوه فإن العرف يصلح مخصصاً للأثر ويترك به القياس، والعرف الخاص لا يصلح مخصص ولا يترك به القياس.[43]

الخاتمة:

النتائج والتوصيات:

الحديث عن مذهب الإمام أبو حنيفة يطول ولا يمل، لأن مذهب الأحناف من أعرق المذاهب الفقهية وأقدمها قال الإمام الشافعي: كل الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

النتائج:

في خلاصة هذا البحث يتضح للباحث الآتي: مدى صبر الإمام أبو حنيفة، وثباته على الحق الذي أداه إليه اجتهاده، وصبره على الابتلاءات التي واجهته في حياته العلمية. يعتبر الإمام أبو حنيفة نموذج لصبر العلماء في إقامة الحق والثبات على المبادئ والدفاع عنها. وقد أخذ أبو حنيفة في مذهبه المصادر الأساس التي اعتمد عليها الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية – القرآن، السنة، الإجماع، القياس، الاستحسان، العرف – إلا أنه أبدأ مرونة واسعة في الاجتهاد والقياس، حتى سمى مذهبه بمذهب الرأي، وهذا يدل على رجاحة عقل الإمام، ونظرته العميقة في استنباط الأحكام الشرعية، ولكثرة الوقائع ومحدودية النصوص.

قد ضبط الأحناف العرف كمصدر من مصادر المذهب بضوابطه الشرعية باعتباره عرفاً لا يخالف الكتاب ولا السنة.

قد انفرد المذهب الحنفي بالإجماع السكوتي وجعلوا له ضوابط مما جعل الإجماع ممكناً في المجتمعات المسلمة ولو كان على سبيل السكوت عن القول الدال على الرضى وعدم الاعتراض الممكن.

التوصيات:

ويوصى الباحث أن تتابع البحوث في مذهب الإمام الاحناف، لمرونته وثراءه بالقواعد الفقهية والأصولية التي يستفاد منها في تحقيق الاجتهاد المعاصر.

الاجتهاد والقياس المبنى على الرأي يحتاج لمزيد من الدراسة والتحليل.

الإجماع السكوتي ومدى صلاحيته لهذا العصر الحديث، لابد من دراسة عميقة لهذا المبدأ الأصولي.وفي خاتمة الأمر أسأل الله أن يتقبل منى جهد المقل، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

(1) القرآن الكريم.

(2) bttps:awrwikpedia.org.wiki الموسوعة الحرة

(3) أبو حنيفة حياته وعصره وآراءه وفقهه - الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ص 14.

(4) تأريخ بغداد – الخطيب البغدادي، دار الرسالة بيروت طبعة 1965ص 15.

(5) الإمام الأعظم العباسي – أحمد بغداد، ص 431.

(6) أبو حنيفة - محمد أبو زهرة ص21.

(7) المرجع السابق ص 22.

(8) المرجع السابق ص 30/29.

(9) تبيض الصحيفة – الإمام السيوطى ص 24.

(10) سير أعلام النبلاء – الذهبى ص 398.

(11) تهذيب الكمال – المز ج29 ص427.

(12) الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان – شهاب الدين أحمد بن حجر المكي، مطبعة السعادة، مصر 1324هجرية ص 26.

(13) سير أعلام النبلاء – الذهبى ص 391/ 392.

(14) طبقات الفقهاء – أبو اسحاق الشيرازى، دار الرائد – بيروت طبعة أولى 1970 ص134.

(15) أبو حنيفة – محمد أبو زهرة ص37/36.

(16) المرجع السابق ص 45.

(17) المرجع السابق ص47.

(18) الدر المنثور – السيوطى، ج1ص22.

(19) أبو حنيفة – محمد أبو زهرة ص48.

(20) المرجع السابق ص 55.

(21) تبيض الصحيفة – السيوطي ص 41.

(22) أبو حنيفة – محمد أبو زهرة ص59.

(23) W.w.w.islaweb.com موقع اسلام ويب.

(24) الأحكام – للآمدي ج1ص82.

(25) المستصفى – للإمام الغزالي ج1ص68.

(26) الوجيز في أصول الفقه- د. وهبه الزحلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية 1995 ص 23.

(27) المرجع السابق ص24.

(28) W.w.w.islamist.movements.com بوابة الحركات الإسلامية.

(29) رواه الشيخان بزيادة (إنما) كذأفي كنز العمال رقم 37272/ ص 793.

(30) W.w.w.islamist.movements.com بوابة الحركات الإسلامية.

(31) W.w.w.feghweb.com موقع الملتقى الفقهي.

(32) الدر المنثور – للإمام السيوطي ج1ص22.

(33) الوجيز في أصول الفقه د. وهبة الزحلي ص98.

(34) W.w.w.islamist.movement.com بوابة الحركات الإسلامية.

(35) الموقع السابق.

(36) الموقع السابق.

(37) ضعفه الترمذي في ضعيف السنن ج1ص154وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهيه ج3ص757.

(38) الوجيز في أصول الفقه – د. وهبه الزحلي ص98.

(39) W.w.w.feghweb.com موقع الملتقى الفقهي.

(40) الموقع السابق.

(41) الوجيز في أصول الفقه – د. وهبه الزحلي ص 98.

(42) W.w.w.feghweb.com موقع الملتقى الفقهى.

(43) الوجيز في اصول الفقه – د. وهبه الزحلي ص98.

(44) W.w.w.feghweb.com موقع الملتقى الفقهي.

ميميَّة الفرزدق في مدح آل البيت
(زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب)

د.الفكي محمد الحسن الشيخ إدريس أستاذ الأدب والنقد - جامعة أمدرمان الأهلية

المستخلص:

المديح غرض قديم من أغراض الشهر العربي، ولكن فيه اختلاف بسيط بين العصور المختلفة (الجاهلي، وصدر الإسلام، والعصر الأموي). كان المديح في العصر الجاهلي ينصب على زعماء القبائل وساداتها، وكان صادقاً في مضمونه، بينما كان في عصر صدر الإسلام يصدر عن حُبٍّ وإخلاص وإيمان بالإسلام، ويكن المدح فيه خالصاً للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمهاجرين وجميع المسلمين، ولم يكن لغرضٍ مادي، وإنما كان احتسابا عن حياض الإسلام.أما المديح في العصر الأموي كان غرضه التكسب والنَّيل من عطاء الخلفاء والأمراء والقواد، وفيه تحول المدح بما يشبه الحرفة. تم تخرج إلى مديح آل البيت – في هذا العصر – ولنأخذ الفرزدق مثالاً لمدح آل البيت في قصيدته (الميمِيَّة) التي تحدثنا عنها في نسبتها للشاعر الفرزدق، فقد أورد الأدباء والنُقاد تشككاً غير قليل حتى وإن كان الفرزدق من فحول شعراء العصر الأموي الثلاثة (جرير، والفرزدق، والأخطل).وهناك بعض الذين دافعوا عنه من الأدباء والمحققين المشهورين مثل المحقق المشهور والمعروف في ذلك إحسان عباس مثلاً، وكثير من النُقاد الذين أثبتوا له الحق في ذلك، بل قال بعضهم وأن من حفظ شهره حفظ ثلث اللغة ونصف أخبار العرب، ولا يبعد أن يُنظم قصيدة كهذه وهو منافح ويدافع عن عقيدة، ويصدر عن رأي يُلْهِب الخيال، وقد قال عنه شيخ الحرمين – أبو عبد الله القرطبي: « لو لم يكن لأبي فراس عند الله عملاً إلا هذا دخل به الجنة، لأنها كلمة حق عند سلطان جائر».إن القصيدة الميمية لم ترد كاملة في كُتب الأدب الأوائل، كالأغاني، وفيات الأعيان، العمدة، وديون الحماس لأبي تمام ... وغيرها من كتب الأدب القديمة، إضافة إلى اختلاف نسبة القصيدة للفرزدق رغم هذه الشهرة، والأمر يحتاج إلى مزيدٍ من البحث العميق والتدقيق لتحقيق نسبتها إلى الشاعر أو بطلانها.

الكلمات المفتاحية: مدح، بلاغة، تحليل

Abstract:

Praise is an ancient purpose of Arabic poetry, but there is little difference between the different eras (Jahili, Sadr al- Islam and the Umayyad period).**In** the pre-Islamic era, the tribes were focused on tribal Leaders and pillows, and were sincere in its content, while in the era of Islam issued by love, sincerity and

sincere faith Islam, and the praise is sincere to the Prophet (PBUH) and his companions and immigrants and all Muslims, and was not for a material purpose, but was Calculating and supplying the menstruation of Islam.The Praise in the Umayyad period was the purpose of gaining and undimming the tender of the caliphs, princes and pimp. In which the era – and take Earazdag example of the House in his poem (Mimi), which we talked about in the ratio of the poet Frazdag, And oaks).There are some who defended him from the famous writers and investigators such as the famous investigator and known in the Ihsan Abbas, for example, many of the critics who proved to him the right to do so, but some of them Saied that the preservation of his hair saved one- third of the language and half of the news of the Arabs, and not far from organizing such a poem as struggles and defends the doctrine, and issued an opinion that inflames the imagination. The Shaykh of Tow Holy Mosques – Abu 'Abd al- Ahzad al-Qurtubi- said: (If Abu Firas did not work when uh. Only this entered paradise, because it is the right word when the Sultan unjust).The poem did not appear the first books of literature, such as songs, mortality of objects, the mayor, and the Office of enthusiasm for Abu Tammam and other books of ancient Literature, in addition to the difference in the proportion of the poem to a certain person, and the difference in which the poem was said those factors that led to doubts in the proportion. The poem of Frazdag despite this fame. Further deep research and scrutiny are needed to attribute to or its invalidity.

Keywords: praise; eloquence; analysis.

مقدمة:

تناولت هذه الورقة البحثية (الميمِّية) للشاعر الفرزدق في مدح آل البيت « زين العابدين علي بن الحسين علي بن أبي طالب» واحتوت على **ثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول** فيها مقدمة عن مفهوم المدح لغةً واصطلاحا. وعن المدح في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، والعصر الأموي. **وتناول المبحث الثاني:** القصيدة الميمية نصاً وشرحاً وتحليلاً، كما تناول الظواهر البلاغية في القصيدة. **أما المبحث الثالث:** تناول آراء النُّقاد في القصيدة، وتحقيق نسبة القصيدة لقائليها والاختلاف في ذلك. وضُمنت القصيدة- بمستخلص للدراسة باللغة العربية والانجليزية، وفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم المدح عموماً (لمحة عما كان عليه المدح في الجاهلية وصدر الإسلام، ثم في العصر الأموي).

المدح لغة: نغيض الهجاء، وهو حُسْنُ الثَّناء على الجميل الاختياري قصداً [1]

واصطلاحاً: هو الثناء على ذي شأن بما يُستحسن من الأخلاق النفيسَّة كرجاحة العقل والعفَّة والعدل والشَّجاعة، وأنَّ هذه الصِّفَات عريقةٌ فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخُلقِيِّة [2]

كان الشاعر في الجاهليّة لسان الحال ولسان القبيلة، ويرى أن عليه واجباً في مجتمعه القبلي تجاه سادات قومه وفرسانهم، ثم أصبح المدح من الأغراض المستقلّة في الشِّعر الجاهلي يشيد بفضائل الجاهليِّة بعيدا عن التكسُّب، هدفه إظهار الحب للممدوحين والإعجاب بهم، ويُعدُّ زهير بن أبي سُلمى والنَّابغة الذِّبياني وبشر بن أبي حَازم، وحسَّان بن ثابت من أشهر المادحين في الجاهليّة [3]

ومن أمثلة ونماذج المدح لزهير بن أبي سُلمى وهو يمدح هَرم بن سنان والحارث بن عوف[4]

فأقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الَّذي طَافَ حَوَّلَهُ ... رِّجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدان وجِدْتُمَا ... عَلى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيل ومُبْرِمِ

تَدَاركْتُمَا عَبْساً وذُبيان بَعْدَمَا ... تَفَانُوا ودَقُّوا بَيْنَهُم عِطَرَّ مَنْشَمِ

وَقَدْ قُلتُمَا أنَّ نُدْرَكَ السِّلْمَ وَاسِعَاً ... بِمَالٍ ومَعْرُف مِنْ الأمْرِ نَسْلَمِ

فأصبَحْتُمَا مِنْها عَلى خَيِّر مَوطِنٍ ... بَعِيدَّينِ فِيها مِنْ عُقُوقٍ ومَأثَمِ

عَظِيمَيْنِ في عِلِّيَا مَعَدٍ هُدِيْتُمَا ... ومَنْ يَستَبِحْ كَنزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

وأصْبَحَ يُحْذَى فِيهُمُ مِنْ تِلَادِكُمْ ... مَغَانِمَ شَتَّى مِنْ إفَالٍ مُزَنَّمِ

وعندما وصل إلى هذا المنظر الجميل الفتَّان، كأنَّما سبح به خياله إلى جمال الخُلق وروعة السُّلوك، وحبُ الخير والتضحية في سبيل الأمن والاستقرار، فشرع يتحدَّث عن السَّاعين في الخير المحبين للسَّلام الدَّاعين إلى الإخاء والصَّفاء، فأشاد بموقف شخصين عظيمين قاما بعمل جليل، فقال إنها تحمَّلا ديَّات القتلى في حربٍ ضروسٍ شعواء، بسببها قُطِّعت الأرحام، وتفرَّق الجمع والأهل وتناحر الأخوان.

فبفضلهم هذا جمعا الشَّمل وأصلحا ما أفسد، إنهما نعم السيدَّان، وقال لهما: لقد ضحيتما بكلِ ما تستطيعان في سبيل السلام، وأخرجتما من أموالكم خيرها وأجودها، دون أن يكون لكما في الحرب أيَّ اتصال، ولكنه حبكما للخير ورغبتكما في السَّلام.

ثم يقول [5]:

ألا أبْلِغَ الأحْلافَ عَنِّي رسَالةً ... وذُبْيانَ هَلْ أقْسَمْتُم كلَ مَقْسَمِ

فَلا تكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي صُدُرِكُمْ ... لِيُخْفَى ومَهْمَا يَكْتُمِ اللهَ يَعْلَمِ

يُؤخِّر فيُوضَعُ في كِتَابٍ فَيُدَّخَرُ ... لِيومِ الحِسَابِ أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

وهنا يوجه الكلام إلى الأحلاف المتحاربين قائلاً:

هل أقسمتم أن تفعلوا ما لا ينبغي؟ لا تظهروا الصُلح، وفي نيتكم الغدر، لأن الله سيدخره لكم ويحاسبكم عليه عاجلاً أو آجلاً.

لا شك أنَّ زهيراً في مدحه هذا بعيد كُل البعد عن التكسُّب ونوال الرِّفد، وأنَّ مدحه للسيدين صادقٌ فيه مصداقاً لول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « لا يُمدحُ الرجل إلا بما فيه».

ومن المادحين في الجاهلية أيضاً النابغة الذبياني:

أتـــاني أبيـتَ اللعـنَ أنـــكَ لُمْتَنِـي ... وتلـكَ التـي أهْتـمُ مِنْـــها وأنْصَـبُ
فبـتُ كأن العـــائداتِ فرَشـنَنّي ... هِرَانسـاً، بـــه يُعْـلى فِـراشِي ويُقْشـبُ
حَلَفْـتُ، ولَـمْ أتـــرُكْ لِنفسِـكَ رِيبـــةً ... ولَيْـــسَ وراءَ اللـهِ لِلمـــرء مَـــذْهَبُ
فـلا تتركنـي بالوعِيـــــدِ، كأننـي ... إلى النـــاس مطـلي بـه القـار، أجـرَبُ
ألم تـــرَ أن اللـه أعطـاكَ ســـــورةً ... يـــرى كل ملـك دونـــــها، يتذَبـذَبُ
إنـــك شـمسٌ والملـــوك كـــواكبٌ ... إذا طلعـت لـــــم تَبـدِ منهـنَّ كـــوكبُ
ولســـت بمسـتبقٍ أخـــــاً لا تلمـهُ ... عـلى شـعث أي الرجـــــال المهـذَبُ
فـإن أكُ مظلـــــوماً، فعبـد ظلمتـه ... وإن تـكُ ذا عتبـى، فمـــثلكَ يـــعتبُ

من الواضح أن النابغة الذبياني صور في أول هذه الأبيات أنه مريض، وذلك عندما بلغه لوم النعمان له، وأنه أخذته الآلام وأهله يسوون له فراشه، رحمةً به وعطفاً عليه، ويحلف له أنه بريء مما أتهمه به الواشي إذ لا يزال يرعى أمانة عهده، وكل ما هناك أنه ألمَّ بديار الغساسنة، فأكرموه وحكَّموه في أموالهم، فوجب عليه أن يشكر لهم صنيعهم، كما يشكر النعمان من يرعاهم من الشعراء ويغدق عليهم من عطائه، وهو بذلك يقيم الحجَّة على النعمان، فليس هناك كفران لنعمته عليه ولا جحود لولائه، وما يلبث أن يرفعه على جميع الملوك من غساسنة وغيرهم؛ فهو كالشمس الساطعة وغيره من الملوك كالنجوم، يتوارون في ضيائه ومجده، وهذه صورة لا شك أنها تركت أثراً بليغاً في نفس النعمان، ثم تلاها باستعطافه، فصور له ما صب عليه من غضب كالقاب يُصبُ على الأجرب فيتحاماه الناس، ثم يعود ويصور منزلته، وأن غيره من الملوك لا يرتقون إلى مكانته؛ ويقول له: هبَّ أنَّ مديحي للغساسنة هفوة عنِّي؛ فإن لكل شخصٍ هفوة، وأين الأخ الذي لا يهفو ولا يعثر؟!، ومثلك حرى بأن لا يظلم أصفياءه ومن يخلصون له الولاء، فإن ظلمتني قبلت ظلمك، وإن عفوت عنى ورضيت فليس غريباً عنك، فمثلك يصفح الصفح الجميل.

فقد وصلت براعة الشاعر في المديح والاعتذار الذي ابتكره حتَّى احج الملك، أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسنُ إلى قومٍ فمدحتهم.

المديح في صَدرِ الإسلام:

أُخِذ المديح في صدر الإسلام منحى دينياً، إذ سجل الشُّعراء للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الصفات التي وصفه بها القرآن الكريم، ومدحوا أصحابه الأجلاء بالمعاني الإسلامية، وقد جاء في شعرهم معاني الصدق نظراً لأنهم يصدرون فيه حباً وإيماناً لصاحب الرسالة ولصحابته وعامة المسلمين، فهنا لم يكن الغرض مادياً وإنَّما كان احتسابا وطمعاً فيما عند الله من أجر كما قال حسان بن ثابت: لا يقصدون من ورائه التكسُّب ونيل العطايا، إنما هي مشاركة في الدعوة إلى الدين والذود عنه باللسان والسَيفِ معاً. ولكن يرى الدكتور شوقي ضيف أن السِّمات والخصائص الفنِّية للمديح في العصر الإسلامي لم تتغَير كثيراً عنها في الجاهلية، وأن حسَّان وغيره من يمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم بالشَّجاعة والسِّعة في الكرم، والتصدي

للمعتدين، والوفاء بالعهود كأنما يمدحون ملكاً من ملوك الأرض، أو سيدا من ساداتها لم تكن له سمة النبوَّة، وقد استشهد على رأيه هذا بلامِّية كعب بن زهير التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حينما جاء مُعتذراً ومُسلِّماً [6]:

يقول الدكتور شوقي ضيف (لو ما جاء في القصيدة من قوله):

أُنْبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوعَدَّنِي ... والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

مَهَلاً هَدَّاكَ الذِّي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ ... القُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وتَفْصِيلُ

لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشَاةِ ولَمْ ... أُذْنِبْ ولَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الأَقَاوِيلُ

لما عرفنا انها في مديح الرسول ﷺ، ولتبادر لنا انها في مديح سيد من سادات القبائل.

اما ملاحظة شوقي ضيف على لامِية كعب من السمات الجاهلية، فإن كعباً قالها حينما وفد على الرسولﷺمسلماً ومعتذراً ولم تشرب نفسه روح الاسلام وقد هذب الاسلام فيما بعد من شعره.

أما حسان بن ثابت كان ينظر في مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضي الله عنهم، من الزاوية الدينية، لا من الزاوية القبلية، كما في الجاهلية، لذلك جاءت مدائحه صادقة، ونابعة من قلبه وعقله، وهذه أبيات يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أغرُّ عَلَيه للنبُوَّة خَاتِمٌ ... مِنْ اللهِ مَشْهُودٌ بِلوح ويَشْهَدُ

وضمَّ الإلهُ اسم النبيّ إلى اسمِهِ ... إذا قَالَ في الخَمْس المُؤذِّنَ أشْهَدُ

وشَقَّ له من اسمِهِ ليجله، ... فذو العَرشِ محمودٌ، وهذا محمدُ

نبيٌّ أتَانا بَعْدَ يَأسٍ وفَتْرَةٍ ... مِنَ الرسلِ، والأوثانَ في الأرض تُعبدُ

فأمْسَى سِراجاً مُسْتَنِيراً وهادِياً ... يَلُوحُ كما لاح الصّقِيلُ المُهنَدِ

وأنذَرنا ناراً، وبشَّرَ بجنةٍ، ... وعلَّمَنا الإسلام، فالله نَحْمَدُ

وأنْتَ إلهَ الخلقِ ربي وخَالِقي، ... بذلك ما عمرتْ فينا لناسٍ أشهدُ

لقد حشد حسان في قصيدته عدداً كبيراً من عبارات الثناء والمدح للنبي ﷺ، فهو واضح النبوة من خلال خاتمها، وهو مفضل من الله سبحانه وتعالى عندما قرن اسمه باسم النبي ﷺ في الدعوة إلى الصلاة، واسمه مشابهة لصفات الإله، وهو نبي خلَّصَ البشيرة من عبادة الأوثان، وهداها بنوره الساطع وبشرها بالجنة، وحذرها من النار.

المديح في العصر الأموي:

عندما قامت الدولة الأموية قصد الشعراء خلفاءها لنيل عطاياهم، والحصول على نوالهم وجوائزهم، وتحول المديح إلى ما يشبه الحرفة عند بعض الشعراء، ولم يعد الشِّعر عندهم هواية يُشبع الشاعر بها حاجة نفسه، بل أصبح حرفة توفر لصاحبها المال الكثير، والحياة الهانئة، وأصبح الشاعر مقابل هذا الكسب مدعاة لأن يحسن الشاعر هذه الحرفة ويجيدها ويجودها. وازدهر فن المديح في عصر بني أمية، ويحتل المنزلة

الأولى بين أغراض الشعر العربي، فقد شجع خلفاء بني أمية شعراء المدح وفتحوا لهم أبواب قصر الخلافة وأكرموا وفادتهم، فجاؤوا من أرجاء الدولة محملين بقصائد المديح التي نظموها في مدح خلفاء بني أمية، والتغني بفضائلهم ومحامدهم.

فنجد أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان التَفَّ حوله الشعراء ومدحوه، وقد عُرف بالفصاحة والبلاغة، وحفظ القرآن الكريم، وقرأ العلوم الدينية على مشيخة الحجازيين في المدينة؛ كما أنه أديباً عالماً ينقد الشعر، ويميز جيده من رديئة، وله مع الشعراء والأدباء مجالس مشهورة، نجد أخبارها في كتب الأدب مثل: الكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي الغالي .... وغيرها من كتب الأدب [7]. وقد أُعجب الشعراء بعبد الملك بن مروان ومدحوه ووفدوا عليه، ومن الشعراء الذين اتصلوا به وكانت لهم منزلة كبرى أعشى ربيعة، وعبد الله بن قيس الرقيات، وعمر بن أبي ربيعة، والفضل وغيرهم. ومن الشعراء الفحول الذين اتصلوا به أيضاً وكانت لهم منزلة في بلاطه: الأخطل وجرير والفرزدق.

أما الأخطل فبالرغم من نصرانيته أنه كان شاعر عبد الملك المفضل فكان يدخل على عبد الملك بغير إذن ويجيء وعليه جبُّة خزٍ وفي عنقه سلسلة ذهب، وتعد قصيدته (خفَّ القطينُ) من أروع ما قال الأخطل من مديح في عبد الملك، وفيما يلي بعض أبيات المديح التي وردت في هذه القصيدة، يقول فيها:

خَـفَّ القطـينُ، فراحـوا منـكَ، أو بكَـروا ... وأزعجتهـم نـوى في صرفهـا غـيرُ

إلى أمـريءٍ لا تعدَّينـا نوافلـهُ ... أظفـره اللـهُ، فاليهنـأ لـهُ الظُفـرُ

الخائـض الغُمـر، والميمـونِ طائِـرهُ ... خَليفَـة الله يُسْتسـقى بـه المَطَـرُ

والهـمَّ بعدَ نجى النفـسِ يبعثـهُ ... بالحـزْم، والأصمعـانِ القلـبُ والحَـذَرُ

والمستمرَّ بـه أمـرَّ الجميـع، فـما ... يغتـرهُ بعـد توكيـدٍ لـهُ، غـررُ

ومـا الفـرات إذا جـاشتْ حواليـهُ ... في حافتيـهِ وفي أوساطـهِ العـشرُ

وذَعَذَعَتْـهُ ريـاحُ الصيـف، واضطرَبـت ... فـوق الجآجـي مـن آذيـه غـدرُ

مسحنفر مـن جبـال الـروم يستـرهُ ... مِنهـا أكافيـفُ فيهـا، دونـهُ، زورُ

يومـاً، بأجـودَ منـهُ، حـينَ تسألـهُ ... ولا بأجهـرَ منـهُ، حيـن يجتهـرُ

فتدور هذه الأبيات حول عبد الملك بن مروان فيصفه الأخطل بالكرم والثبات ويمن الطلعة، وأنه الخليفة المبارك، ويصفه بالحزم والشجاعة والقوة، ويشبهه في الأبيات الأربعة بالفرات في كرمه وروعة منظره، إذ يقول إن الفرات ليس بأجود من عبد الملك ولا أروع منه منظراً.

أما جرير فعنده أربع قصائد في مدح عبد الملك، ويستغرق المدح بصفة عامة معظم ديوانه، وأكثر مدائحه في الحجاج وبني أمية وقبيلة قيس المضرية، ولم يترفع جرير عن مدح أي شخص أفاد عليه نوافله، حتى أنه مدح الموالي، ويقول في مدح عبد الملك [8]:

تَعَلـل، وهَـيَ ساغِبـةٌ، بنيهـا ... بأنفـاسٍ مِـن الشِّـم الفـرَّاح

سأمتـــاحُ البخـــورَ، فجنبينـي أذاه اللـوُم وانتظـري امتياحـي
ثِقـي بـــالله ليـسَ لـــهُ شريـــكٌ ومـن عنـدِ الخليفـــةِ بالنجـاحِ
أغثنـــي يـا فـــداك أبي وأمـي بسـيب منـك إنـــك ذو امتيـاحٍ
فـإني قـد رأيـتُ عـليَ حقـــــاً زيـارتي الخليفـةُ وامْتداحـي
سأشـكرُ إن رددت عـليَّ ريـشي وأثبـت للقَّـوادمَ في جَنـاحِـي
ألسـتم خـيرُ مـن ركـبَ المطايـا وأنـدى العالمـين بطـون راحِ

والواضح في أبيات القصيدة إصرار جرير على الاستجداء، وتصوير ما يعانيه من الفاقة والمسغبة، فهمُه الحصول على نوال الخليفة، وقد أجاد الشاعر في رسم هذه الصورة المؤثرة لزوجته وهي تُسكِّت بنيها الجائعين بجرعات من الماء البارد، كما أجاد في تشبيه الخليفة بالبحور، كما أجاد في تشبيه نفسه بالطائر الذي فقد ريشه وينتظر من الخليفة أن يعيد إليه ريشه، ونجده أجاد وأبلغ الإجادة والتوفيق حين صور رفعة ومنزلة الأمويين وجودهم في البيت الأخير، وقد وقعت هذه الأبيات عند عبدالملك موقعاً حسناً وأعجبته إيَّما إعجاب وجعلته يعطيه مئة ناقة وثمانية من الرُعاة، كما بوأته مكاناً علياً وجعلته بعد إنشادها شاعر بني أمية الأول [9].

الفرزدق، ثالث الشعراء الكبار الذين مدحوا عبد الملك بن مروان يقول:

إذا أتَيـتَ أميـــرَ المؤمِنـين فقـــــلْ بالنصـحِ والعلـمِ قـولاً غيـــرَ مكَـذوبِ
مُجاهـــــدٍ لِـــــعُداةِ اللـه مُحتَسـبٍ جِهـــــادهُم بِضـــرابِ غيـــرَ تذْبيـبِ
إذا الحُـروب بـدتْ أنيابُهـــا خرجَـتْ سـاقا شِـهابٍ عـلى الأعـداءِ مصبـــوبِ
فـالأرضُ للـه ولَّاهـــــا خَليفَتـــــهُ وصَاحِـبُ اللـهِ فيهـــا غيـــرُ مَغْلُـوبِ

من الأبيات لم يصل الفرزدق إلى مستوى رائع في مدح عبدالملك، كما وصل إليه الأخطل، أو حتى إلى المستوى الذي وصل إليه جرير من حيث إجادة المديح فقد أجاد الفرزدق في فن الفخر أكثر من غيره من فنون الشعر الأخرى [10]. ونلاحظ من خلال مدائح هؤلاء الفحول الثلاثة أن غرض المديح في هذا العصر للتكسب وطلب النوال والعطايا من الخليفة بخلاف ما كان عليه في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام.

المبحث الثاني: القصيدة الميمية شرحاً وتحليلاً

تمهيد في اتصاله بآل البيت:

يقال إن الفرزدق كان موالياً آل البيت، مناصراً لعلي وأبنائه عليهم السلام مجاهراً بحبه لهم، ولعَّل القائلون بذلك بنوا رأيهم على قصيدته في آل البيت عامة، وفي زين العابدين علي بن الحسين.

وأتهم بالتشيع، قال عنه الشريف المرتضى: « كان شيعياً مائلاً إلى بني هاشم « ويقول فيه أحمد الهاشمي: « وكان فيه تشيعٌ يستره أيام اختلافه إلى بني أمية ثم كشف به آخر حياته حتى أمام الخليفة هشام عندما رأي الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة مهابةً وإجلالاً لعلي بن الحسين، فسأله عنه كالمتجاهل لأمره، فشق ذلك على الفرزدق وأنشده قصيدته الميمية» [11]

نرى أن هذه الآراء كلها مبنية على قصيدته الميمية المشهور.

نص القصيدة [12]

هـذَا الـذي تَعْـرِفُ البَطْحَـــاءُ وطَأْتِـهِ ... والبيـتُ يَعْرِفُـــهُ والحِـــلُ والحَـــــرَمُ

هّـذا ابـن خيـــرُ عِبَـادِ اللهِ كُلِّهُـــمُ ... هَذا التَّـقِيُ النَـــقِيُ الطـاهِرُ العَلَـــمُ

هّـذا ابـن فاطِمَـةُ إنْ كنْـتَ جَاهِلَـــــهُ ... بجِـــدِه أنبيـــــاءُ اللهِ قـدْ خُتِمُـوا

وَلَيـسْ قُولُـكَ: مَـنْ هَـذا؟ بضـــائِـــرَهُ ... العُـــربُ تَعـرفُ مَـنْ أنْكَـرتْ والعُجَـــمُ

كَلتـا يَديـــهِ غِيـــاثٌ عَـــــمَ نَفْعَهُـما ... يُسْتَوكَفـــــانِ ولا يَعْرُوهُمـــا عَـــدَمُ

سـهلُ الخَليقَـــة لا تُخْـشَى بَـــوادِرَهُ ... يَزينُـه اثنـان: حُسْـنُ الخُلـقِ والشِّيـــمُ

حَمَّـــــالُ أثْقَـالِ أقْـــوَام، إذا فدِحُـوا ... حُلو الشَمائـــلِ، تَحْلُـــو عِنْـــدهُ نِعَـــمُ

مَـا قـــــالَ: لا، قـطٌ إلا في تَشَهُـــــدِهِ ... لَـولا التَشَّهُـــد كانَـتْ لاؤهُ نَعَـــــمُ

عَـــــمَّ البَرِّيـة بالإحْسـانِ وانْقَشَـعتْ ... عَنَهـا الغَيـــاهِبُ والإمْـــلاقُ والعَـــدَمُ

هَـذا الـذي أحْمـد المُخْتَـــــارُ والِـدهُ ... صَـلي عَلَيـــهِ إلهـي مَـا جَـــرى القَلَـمُ

إذا رأتـهُ قُريـشٌ قَـــــالَ قائلُهـــــا: ... إلى مكَـــــارِمِ هَـــذا ينتَهـي الكَـــرَمُ

يَغـضِي حَيـاءٌ ويُغـضِي مِـنْ مَهـــابَتِهِ ... فَمـا يُكَلَّـــم إلاَّ حِيـــنَ يَبْتَسِـــــمُ

بِكَفِـهِ خيـزَرانٌ ريِـــــحُها عَبَـــــقٌ ... مِـن كَـفِ أرْوعَ في عرْنينـــه شَمَـــــمُ

يَكَـــادُ يُمْسِـكَه عِرفـــــان راحتـه ... رُكِـــنُ الحَطِيـــمِ إذا مَـا جَـاء يَسْتَلِـمُ

اللـهُ شرفـــــهُ قَدَمـــاً وعَظَمـــــَهُ ... جَـرى بِـــذَاكَ لـــهُ في لوحِـهِ القَلَـــمُ

أيُّ الخَلائـــقِ ليْسـتْ في رقَابِـــهِمُ ... لا ولّيـــــة هَـذا أو لَـــــهُ نِعـــَمُ

مَـن يَشْكـــُر اللـهَ يشْـكُر أوَّليـــــة ذَّا ... فالدِيـــنُ مِـنْ بيـتِ هَذا نَالـــــهُ الأُمـمُ

يُنْمـي إلى ذَروةِ الديـنِ التـي قَصُـــرت ... عَنْهـــا الأكُـفُ وعـنْ إدْراكِهـــا القَـدَمُ

مِـن جَـدِهِ دانَ فَضَـلُ الأنبيـــــاءِ لَـهُ ... وفَضَـــلُ أمـــةً دَانَـت لَـــهُ الأُمـــَمُ

مُشْـتَقَةٌ مـن رسُـــــــولِ اللـهِ نَبعَتـهُ ... طـــابتْ مغارسُـــه والخِيـــمُ والشِيَـمُ

ينْشَـقُ ثـوبُ الدجـى عَـنْ نـــورِ غُرتَـــهُ ... كالشَـمْسُ يَنْجَـــابُ عَـنْ إشْراقِهـــا الظُلَـمُ

مِـنْ معْـشرٍ حُبُهـم دِيـــنٌ وبُغْضُـــــهُمُ ... كُفْـــــرٌ وقُربُهُـــــمْ مُنْجِـي ومُعْتَصِـمُ

مُقَـــــدَمٌ بَعَدْ ذِكْـــــر اللهِ ذِكـــرُهمُ ... في كُـــــلُ بَـدءٍ ومَخْتُـــومٌ بـــهِ الكَلِـمُ
إنْ عُـدَّ أهَـــــلُ التُقـى كانُـــوا ائمتهُـم ... أو قِيـلَ: مَـنْ خـيرُ أهـلِ الأرضِ قِيـل: هُـمُ
لا يسـتَطِيعُ جَـــوَّادٌ كُنـــــة جُودِهُـم ... ولا يُدايئبهـــم قـــــــومٌ إذا كَـــرَمُوا
هُـم الغُيـــــــوثُ إذا مـا أزمـةٌ أزْمَـت ... والأسْـدُ أسْـــــد الـشَّرى والبَـأسُ مُحتَـدِمُ
لا يَقْبـضُ العُسْـــــرَّ بَسـطاً مِـن أكُفِهِـمُ ... سَيَـــــان ذلِـك إن آثَـروا وإنْ عَـــدِمُوا
يُسْـتَدفعُ السـوءُ والبَلْـــــوى بحُبِهِـم ... ويُسـتزبَّ بِـــــهِ الإحْسَـــــانُ والنِعَـمُ

شرح القصيدة:

لقد أخلص الشاعر في هذه القصيدة، وكان مدحه فيها عن إخلاصٍ وحبٍ صادق، وعقيدة راسخة، فالعاطفة فيها صادقة، وهو يعبر عن هذه العاطفة بتكرار حرف الإشارة (هَذَّا) حيث يقول:

هـذَّا الـذي تَعْـرِفُ البَطْحَـــــاءُ وطَأتِـهِ ... والبيـتُ يَعْرِفَـــهُ والحِـــلُ والحَـــــرَمُ
هّذا إبْنُ خيـــــرُ عِبَـــادِ اللهِ كُلُهُـــــمُ ... هَذا التَـــقِيُ النَـــقِيُ الطـاهِرُ العَلَـــمُ
وَلَيـسْ قُولُـكَ: مَـنْ هَـذا؟ بضـــائِـــرَهُ ... العُـــربُ تَعـرفُ مَـنْ أنْكَرتْ والعُجَـــمُ

بدأ الشاعر قصيدته بالإشارة إلى ممدوحهِ ليجيب السائل (مَنْ هَذا؟) قال: إن بطحاء مكة تعرف وطأة أقدامه، كما تعرفه الكعبة وما جاورها، وأنه أتقى وأطهر الناس لأنه يُنسب إلى علي بن أبي طالب، خير المؤمنين، وأمه فاطمة بنت رسول الله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، ثم يُنكر الشاعر هشام بأن تجاهله وتنكره للممدوح لا يعيبه، ولا يعزَّه، أو ينقص من قدره، لأن الناس جميعهم تعرفه عربهم وعجمهم، وقوله:

كَلتـا يَديـــهِ غِيـــاثٌ عَـــــمَ نَفْعَهُـما ... يُسْتَوكَفـــــانِ ولا يَعْرُوهُمـــا عَـــدَمُ
سـهلُ الخَليقَـــة لا تُخْـشَى بَـــــوادِرَهُ ... يَزينُـه اثنـان: حُسْـنُ الخُلـقِ والشِّيـــمُ
حَمَّـــــالُ أثْقَـالِ أقّـــوَام، إذا فدِحُـوا ... حُلـو الشَمائـــلِ، تَحْلُـــو عِنْـــدهُ نِعَـــمُ
مَـا قـــــالَ: لا، قـطُّ إلا في تَشَهُـــــدِهِ ... لَـولا التَشَّهُـــــد كانَـتْ لاؤهُ نَعَـــــمُ

يصف الشاعر في هذه الأبيات بالكرم الواسع، وحسن الخُلق والمظهر، وأن كرمه يفيض ولا ينضب، مثله كمثل الغيث يعم الجميع بنفعه، وأنه ليِّنُ الطباع يزينه حسن خلقهِ ويحمل عن الناس أثقالهم جميعاً عيشاً وكرماً، وهو حلو الخصال والطباع، ويحلو له أن يجيب بكلمة (نَعَمْ) لمن يسأله. ثم يقول: أنه لا ينطق بكلمة (لا) إلا حين يتشهد قائلا: (لا إله إلا الله) ولو لا تشهده كانت عبارة (لا) تنقلب إلى نعم.

عَـــــمَّ البَرِّيـة بالإحْسـانِ وانْقَشَـعتْ ... عَنهـا الغَيـــاهِبُ والإمْـــلاقُ والعَـــدَمُ
إذا رأتـهُ قُريـشٌ قَـــــالَ قائلُهـــــا: ... إلى مكَـــــارمِ هَـــذا ينتَهـي الكَـــــرَمُ

لقد شمل إحسانه كل الناس، فمنع عنهم الفقر والإملاق، فكان الضوء الساطع الذي يزيل ظلام الفقر والعدم، وأنَّ قريشاً تعرفه بأنه ذروة الكرم، ونهاية الفضل، وغاية البر، ثم أنه يغض طرفه من حيائه، ولكن الناس لا يستطيعون أن يكلموه لعظم هيبته وجلاله، ولا يرفعون أبصارهم إليه إلا إذا تَبَسَّمَ لهم، ثم يقول:

بِكَفِـهِ خِيـزَرانٌ ريِـــــحُها عَبَـــــقٌ مِـن كَـفِ أرْوعَ في عرْنينـــه شَمَـــــمُ

يَكَـــادُ يُمْسِكَه عِرفـــــان راحتـه رُكِـــنُ الحَطِيـــــمِ إذا مَـا جَـاء يَسْتَلِـمُ

يحمل الممدوح عصاه خيزران يفوح منها الطيب، وهو شامخ الأنف عزيز الأصل، وأن حجر الكعبة نفسه يعرف كف الممدوح، فيكاد يمسكه شغفاً به ومن كرم يده وفواح طيبها.

اللـهُ شرفـــــهُ قَدَمـــاً وعَظَمـــــَـهُ جَـرى بِـــذَاكَ لـــهُ فِي لوحِـــهِ القَلـــَمُ

مَـن يَشْكـــُـر اللـهَ يشْـكُر أوَّليـــــة ذًا فالدِيـــنُ مِـنْ بيـتِ هَـذا نَالـــــهُ الأُمَـمُ

يُنْمـي إلى ذَروةِ الديـنِ التـي قَصُـــرت عَنْهـــا الأكُـفُ وعـنْ إدْراكِهـــا القَـدَمُ

يقول إن شاء أن يكون شريفاً وقد كُتب له في اللوح المحفوظ، وذلك أن جعل النبي صلى الله عليه وسلم جده ولا ينكر ذلك عليه أحد من الناس، وأن نعمتهم شملت الناس جميعاً، ثم يقول: إن من يشكر الله يشكر أهله، لأنهم هم الذين جاؤوا بالدين، وأنه ينتمي إلى أهل الدين الذين لا تطالهم أيدي وأرجل الساعين، أو إلى قمة الدين، ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه هي القمة التي أعجزت الناس عن اللحاق بهم، أو إدراك قمتها.

مِـن جَـدِهِ دانَ فَضْـلُ الأنبِيـــــــاءِ لَـهُ وفَضْـــــلُ أمـــةً دَانَت لَـــــهُ الأُمَـــمُ

يقول الشاعر: أن لجده فضلاً على الأنبياء، كما لأمته فضلاً على الأمم، ومن أجمل ما قيل في هذا المعنى قول البوصيري في البردة:

فَـاقَ النَبِيـينَ في خُلُـقٍ وفِي خَلَـقٍ ولَـمْ يدَانُـوهُ فِي عَلَـمٍ ولاَ كَـرَمٍ

وخير دليل على في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أنَا سَيِدُ ولَدِ آدَمَ يومُ القِيامَة ... « [13]وأما ما جاء في فضل أمته على الأمم قوله تعالى: **أُأَ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ** [14]

مُشْـتَقَةٌ مـن رسْـــــــولِ اللـهِ نَبعَتـهُ طـــابتْ مغارسُـــه والخِيـــمُ والشْيَـمُ

ينْشَـقُ ثـوبُ الدجـى عَـنْ نـــورِ غُرتَـهُ كالشَـمْسُ يَنْجَـــابُ عَـنْ إشْراقِهـــا الظُلَـمُ

مِـنْ معْـشرٍ حُبُهـم ديـــنٌ وبُغْضُـــــهُمُ كُفْـــــرٌ وقُربُهُـــــمْ مُنْجِـي ومُعْتَصِمُ

يقول الشاعر: أن أصله يعود إلى النبي ﷺ، وقد طابت مغارسه، وطابت أخلاقه ومزاياه، وأنه حين يطل بوجهه المشرق، فإن الظلام يتبدد ويزول، كأنما الشمس قد أشرقت، وأنه من قريش، وهم قوم حبهم واجب على كل مسلم، كما يجب التقرب منهم لأن قربهم منجاة من الهلاك، واعتصام بحبل الله المتين.

مُقَّـــــدَمٌ بَعَدْ ذِكْـــــر اللهِ ذِكـــرُهمُ في كُـــــلُ بَـدءٍ ومَخَتُـــومٌ بـــهِ الكَلِمُ

إنْ عُـدَّ أهَـــــلُ التُقـى كانُـوا ائمتهُـم أو قِيـلَ: مَـنْ خـيرُ أهـلِ الأرضِ قِيـل: هُـمُ

لا يسـتَطِيعُ جَـــوَّادٌ كُنـــة جُودِهُـم ولا يُدانيهـم قـــــومٌ إذا كَـــرَمُوا

يقول: أن المؤمن يذكرهم في بداية صلاته وفي نهايتها، وأنهم أتقى الناس وأشرفهم، فيقول إذا عُدَّ التقاة تجدهم قومه، يعني آل البيت، أتقى الناس، وإذا سألت عن خير أهل الأرض قيل لك هم آل البيت، هم أجود الناس وأكرمهم.

هُـم الغُيـــــوثُ إذا مـا أزمـةٌ أزْمَـت والأسْـدُ أسْـــد الـشَّرى والبَـأسُ مُحتَـدِمُ

لا يَقْبـضُ العُسْـــــرَّ بَسـطاً مِـن أكُفِهِـمُ سَيَـــان ذلِـك إن آثَـروا وإنْ عَـــدِمُوا

يُسْـتَدفعُ الشَـــرُّ والبَّلْـــوى بحُبِهِـم ويُسـتزبَّ بِـــهِ الإحْسَـــانُ والنِعَمُ

يقول: أنهم غيث ينهم في زمن الشدة، وأسود حين يحتدم القتال، وأنهم يمدون أكفهم للناس في أيام العُسر واليُسر، وأن حُبهم يدفع الشر والبلاء، ويزيد النعمة والإحسان.

الظواهر البلاغية في القصيدة:

نجد في هذه القصيدة الظواهر البلاغية المتمثلة في:

الظواهر المعنوية، والصُّور البيانية والمحسِّنات البديعية.

الظواهر المعنوية:

نعني بها أصول وقواعد يُعَّرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون فيها مطابقاً لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له [15].ومن الظواهر المعنوية في قول الشاعل استعمال اسم الإشارة (هَذَّا هَذَّا هَذَّا ....). واسم الإشارة بطبيعة دلالته تحدد المراد منها تحديداً ظاهراً، ويميزه تمييزاً كاشفاً، وهذا التحديد قد يكون مقصداً مهماً للمتكلم، وأنه حين يكون معيناً على المسند إليه بخبر ما، فإن تمييز المسند إليه تمييزاً واضحاً يمنح الخبر مزيداً من القوة، وقد أحسن الفرزدق استعمال اسم الإشارة في هذا الغرض، أعنى في تمييز المُشار إليه وتحديده، ليصفه بما شاء من الصفاة وكما

هّـذا ابـن خيـــرُ عِبَـــادِ اللـهِ كُلُهُـــــمُ هَـذا التَـــقِيُ النَـــقِيُ الطـــاهِرُ العَلَـــمُ

هّـذا ابـن فاطِمَـــةُ إنْ كنْـتَ جَاهِلَـــــهُ بجِـــدِه أنبيـــــاءُ اللهِ قـــدْ خُتِمُـــوا

الإطناب:

وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البُلغاء لفائدة تقويه وتؤكده [16]. ومن ذلك في قوله الشاعة في قصيدته:

سـهلُ الخَليقَـــة لا تُخْـشَى بَـــــوادِرَهُ يَزينُـه اثنـان: حُسْـنُ الخُلـقِ والشِّيـــمُ

ونوع الإطناب هنا التوشيح في قوله: «اثنان: حُسْنُ الخُلقِ والشِّيمُ» حيث أتى في آخر الكلام بمثنى مفسراً باسمين ثانيهما معطوف على الأول.

ومن الظواهر المعنوية التي استخدمها الشاعر، الوصل والفصل.

مواضع الفصل والوصل:

وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام (كمال الاتصال) وهو أن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى كقوله:

اللـهُ شرفـــــــهُ قَدَمـــاً وعَظَمـــــــَـهُ جَـرى بِـــــذَاكَ لـــهُ فِي لوحِـــهِ القَلـــَـمُ

والبيت يشتمل على الجملتين، وإذا تأملنا وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية وهي (جَرى بِذَاكَ لهُ فِي لوحِهِ القَلَمُ) لم تأتِ إلا توكيداً للأولى وهي: (اللهُ شرفهُ قَدَماً وعَظَمَهُ) فإن معنى الجملتين واحداً، ولذلك وجب الفصل بين شطري البيت، يعني عدم اقتران الشطر الثاني بالواو، لأن بين الجملتين اتحاداً تاماً.

ومن مواضع الوصل:

أن يكون بين الجملتين توسط بين الكلمتين (كمال الاتصال وكمال الانفصال) وذلك إذا اتفقت الجملتين خبراً أو انشاء، وكان بينها جهة جامعة، أي مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وذلك مثل قول الشاعر:

يُسْتَدفعُ الشَـــــرُّ والبَّلْـــــوى بحُبِهِم ويُستزبَّ بِـــــهِ الإحْسَـــــــانُ والنِعَمُ

فالجملتين متحدتين خبراً، متناسبتين في المعنى، ولذلك عُطِفت الجملة الثانية على الأولى بالواو.

الصور البيانية:

البيان لغة: هو الكشف والإيضاح، يُقال فلانٌ أبْيَنَ من فلان، أي أوضح منه كلاماً، قال تعالى: ﴿**ئى ئي** بر **بز بم** بن بى بي تر﴾ (17)

واصطلاحاً: هو ما عرَّفه الخطيب القزويني بقوله: (علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه) (18)، ويتضمن هذا الموضوع: الألفاظ العربية، من التشبيهات والمجاز والكناية، ومن الصور البيانية التي استخدمها الشاعر:

التشبيه: وهو لغة التمثيل، قال هذا شبه هذا ومثله.

واصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصد المتكلم للعلم (19).

وله أركان أربعة:

المُشبه: وهو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.

المُشبه به: وهو الأمر الذي يلحق به المُشبه.

وجه الشبه: وهو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف.

أداة التشبيه:

وهي اللفظ الذي يدلُّ على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تُذكر الأداة في التشبيه وقد تُحذف.ومن استخدام الشاعر ل هذا الاسلوب قوله:

ينْشَـقُ ثـوبُ الدجـى عَـنْ نـــورِ غُرتَــهُ كالشَـمْسُ يَنْجَـــابُ عَـنْ إشْراقِهـــا الظُلَـمُ

شبه إنارة وإضاءة الممدوح بالشمس في الإشراق والضياء، وعلى هذا يكون نوع التشبيه تبعاً لوجه الشبه، تشبيه مُفصل، حيث أن الشاعر ذكر المشبه والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

أما من الحسية والعقلية: فالتشبيه حسي، إذ أن المشبه والمشبه به يدركان بأحد الحواس الخمس الظاهرة.

وقوله:

هُـم الغُيـــــــوثُ إذا مـا أزمـةٌ أزْمَـت والأسْـدُ أسْـــــد الـشَّرى والبَـأسُ مُحتَـدِمُ

وهنا شبه ممدوحه بالمطر، والتشبيه هنا من حيث القوة المبالغة ووضوح الدلالة، تشبيه بليغ وهو في أعلى درجات التشبيه في قوة المبالغة، ووضوح الدلالة؛ وذلك لترك وجه الشبه وحذف أداة التشبيه.

والغرض في التشبيه عند الشاعر في البيتين: هو بيان حال المشبه وذلك حين يكون المشبه غير معروف الصفة، فيفيد التشبيه الوصف.

الاستعارة:

والاستعارة لغة:

من قولهم: استعار المال إذا طلبه عارية.

واصطلاحاً:

هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة «المتشابهة» بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منه [20]وتعتبر الاستعارة من أسس الشعر، يقصدها الشعراء لتقوية المعنى، وتجلية المبنى في قصائدهم لذا فلا غرابة أن طرقها الفرزدق، وأكثر منها في شعره، لأنه من فحول الشعراء.

ومن الاستعارة قوله:

هـذِّا الـذي تَعْـرِفُ البَطْحَـــــاءُ وطَأتِـهِ والبيـتُ يَعْرِفَـــهُ والحِـــلُ والحَـــــرَمُ

ويمكن إجراء الاستعارة بأنه مكنيه، وذلك بالقول إنه شبه البطحاء بإنسان يدرك ويعرف، ثم حذف الإنسان، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإدراك والمعرفة على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات المعرفة بالشيء للبطحاء. ويقول الشاعر في الاستعارة التصريحية:

مُشْـتَقَةٌ مـن رسْـــــــولِ اللـهِ نَبعَتـهُ [21] طـــــابتْ مغارسُـــــه والخِيـــمُ والشِيَـمُ

وقد استعار الشار هذه الشجرة لأصل الممدوح، وذلك لعلاقة المشابهة بينهما في الحسن والجودة، وشبه أصل الممدوح بذلك بدعاء، أن أصله هو هذه الشجرة؛ لعتاقة أصله وقوتهم؛ على سبيل الاستعارة التصريحية.

المحسنات البديعية:

والبديع لغة:

هو المخترع الموجود لغير منال سابق، وهو مأخوذ ومشتق من قولهم: بَدَع الشيء وأبدعه أخترعه لا على مثال، ومنه قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً) [22].

واصطلاحاً:

هو علم يعرف به الوجوه، والمزايات الذي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاءً، ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى [23] وفي هذا الباب محسنات معنوية، ومحسنات لفظية.

المحسنات البديعية:

ومنها التطابق، أو المطابقة، وهو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، وقد استخدم الشاعر هذا الاسلوب في قصيدته مثل قوله: (الحِلُ والحَرَمُ) في البيت:

هـذَّا الـذي تَعْـرِفُ البَطْحَـــاءُ وطَأتِـهِ والبيـتُ يَعْرِفَـــهُ والحِـــلُ والحَـــــرَمُ

حيث تجد بين (الحِلُ والحَرَمُ) طباقاً، ونوع الطباق طباق إيجاب، إذ أن الكلمتين لم تختلفا إيجاباً وسلباً، ومن ذلك قوله:

وَلَيـسْ قُولُـكَ: مَـنْ هَـذا؟ بضـــائِـــرَهُ العُـــربُ تَعـرفُ مَـنْ أنْكَـرتْ والعُجَـــمُ

طابق بين «العرب» و» العجم» وهما معنيان لم يختلفا إيجاباً وسلباً، ومن استخدامه لهذا الأسلوب أيضاً قوله:

ينْشَـقُ ثـوبُ الدجـى عَـنْ نـــورِ غُرتَـهُ كالشَـمْسُ يَنْجَـــابُ عَـنْ إشْراقِهـــا الظُلَـمُ

فيها طابق الشاعر بين «الدُّجى» و» الغُرَّة» فهما لفظان متضادان، لفظاً ومعنى، ولذلك يكون الطباق إيجاباً، وصورته حقيقية، وقال:

مُقَّـــــدَمٌ بَعَدْ ذِكْـــــر اللهِ ذِكـــرُهمُ في كُـــــلُ بَـدءٍ ومَخَتُـــومٌ بـــهِ الكَلِمُ

استخدم الشاعر الطباق في هذه البيت في قوله: « بدء ومختوم» ونوع الطباق طباق إيجاب وصورته حقيقية.

المحسنات البديعية: ومنها المقابلة، وجاءت في قول الشاعر:

مِـنْ معْـشرٍ حُبُهـم دِيـــنٌ وبُغْضُـــــهُمُ كُفْـــــرٌ وقُربُهُـــــمْ مُنْجِـي ومُعْتَصِمُ

وهنا استخدم الشاعر أسلوب المقابلة، حيث نلاحظ في ذلك الطباق بين « حُبهم وبُغضهم»، وآخر بين « دينٌ وكفرٌ» ففي كل من الجملتين طباق، فالحب في الجملة الأولى يُضاد البغض في الثانية، والدين في الأولى يُضاد الكفر في الثانية.

ومن المحسنات أيضاً الجناس، وهو من المحسنات اللفظية.

والجناس في اللغة:

هو المشاكِلة، واتحاد في الجنس، ويُقال: جانسهُ إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جنسهِ، وجنس الشيء أصله الذي أشُتُقَ منه وتفرَّع عنه، واتحد معه في صفاته العظمى التي تقَوِّم ذاتهِ.

والجناس في الاصطلاح: أن يتشابه اللفظان في النُطق ويختلفان في المعنى [24]، ومنها قوله:

هّـذا ابن خيـــرُ عِبَـــادِ اللهِ كُلُهُـــــمُ هَذا التَـــقِيُ النَـــقِيُ الطـــاهِرُ العَلَـــمُ

وهنا نجي بين: « التَقِّيُ والنَقِّيُ» جناساً غير تام لاختلاف اللفظين في حرف واحد، وعلى هذا يكون نوع الجناس، الجناس المضارع. كما نجد الشاعر استخدم أيضاً جناس الاشتقاق، وهو من مشتقات الجناس وملحقاته، حيث قال:

إذا رأتـهُ قُريـشٌ قَـــــالَ قائلُهـــــا: إلى مكَـــــارمِ هَـــذا ينتَهِي الكَـــــرَمُ

جناس بين « قال» و» قائل» وهما من مادة واحدة.

وفي قوله:

هُـم الغُيـــــــوثُ إذا مـا أزمـةٌ أزْمَـت والأسْـدُ أسْـــــد الـشَّرى والبَـأسُ مُحتَـدِمُ

قوله: « أزمةٌ» و» أزمت» من مادة واحدة، وقوله:

لا يسـتَطِيعُ جَـــــوَّادٌ كُنـــــة جُودِهُـم ولا يُدايئبهـــم قـــــــــومٌ إذا كَـــرَمُوا

حيث أنه جناس بين « جواد» و» جود» لفظان مشتقان من مادة واحدة.ومن أنواع الجناس: الجناس المحرَّف، وهو ما اختلف لفظاه في الحركة، مثل قوله:

يَغـضِي حَيـاءٌ ويُغـضِي مِـنْ مَهـــــابَتِهِ فَمـا يُكَلَّـــم إلاَّ حِيـــنَ يَبْتَسِـــــــــمُ

فقد جانس الشاعر بين « يَغْضِي» و» يُغْضى» ونلاحظ أن الجناس في هذا النوع قد وقع في حركات الألفاظ دون الحروف.

المبحث الثالث: آراء النُقَّاد في القصيدة:

هذه القصيدة قلما يخلو منها ومن خبرها كتاب أدب أو تاريخ، قديماً كان أم حديثاً، وذلك لأنها قمة في المدح وتتعلق بفضل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وله مكانه بين المسلمين، وقد شهد له بالفضل مُحِبُوه وخصومه، وقد حفظها التاريخ لطرافتها ودلالتها على جرأة عظيمة وقوة جنان، وإقدام من الفرزدق، فجابه بها هشاماً بما جابه من القول العظيم، مجاهراً بالحق أمام شخص يُخاف ويُرجى- وهو شاعر يأمل الجوائز من بني أمية – فآثر حب آل البيت على دنياه صادعاً بالحق صادقاً في القول.

تحقيق نسبة القصيدة والاختلاف في نسبتها:

مما لا شك فيه أن حول القصيدة اختلاف شديد فيمن قالها، وفيمن قيلت فيه، فالقصيدة وردت في مصادر الأدب المعتمدة بنسب مختلفة، حتى صار من الصعب الإحاطة بها، ومن هذه الأسباب أنها لا تُروى كاملة، بل ترد بعض الأبيات منها، وفي كثير من المواضع لشعراءٍ كثر، ومن أشهر ما نُسبت إليه الشاعر « كُثَيِّرْ» فقد اورد الأمدي أن القصيدة لكُثَيِّر، قال: « أنشد له دعبل بن علي في كتابه في محمد بن علي بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم» [25]

الشاعر الحزين الكناني:

وقد نسبها إليه أبو تمام في ديوانه الحماسة [26] وأورد ذلك الاختلاف ابن رشيف في كتابه العمدة صفحة 156، والأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، فكان مما قاله عن بعض هذه الأبيات:

بِكَفِـهِ حِيـزَارانٌ ريِـــــــحُها عَبَـــــقٌ مِـن كَـفِ أرْوعَ في عرْنينـــه شَمَـــــــمُ

يَغـضِي حَيـاءٌ ويُغـضِي مِـنْ مَهـــــابَتِهِ فَمـا يُكَلَّـــم إلاَّ حِيـــنَ يَبْتَسِـــــــــمُ

فأجازه، فقال أخدمني أصلحك الله، فإنه لا خادم لي.

فقال: أختر أحد هذين الغلامين، فأخذ أحدهما، فقال له عبد الله أعلينا تردل خذ الأكبر، والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو غلط ممن رواه فيها، وليس هذا البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد [27] وهذا اختلاف شديد في نسبة الأبيات يدل على شدة الاضطراب وضعف عزوها للفرزدق دون غيره منهم، خاصة وأن بعض من نُسبت إليه هو سابق للفرزدق. وبسبب هذا التردد يقول عبد السلام هارون – تحقيقه لكتاب الحيوان: « وقد سكت الجاحظ عن النسبة هنا، وكذلك في البيان، وكذا ابن قتيبة كما في عيون الأخبار، ولا يخفى على أرباب الأدب ورواته أهمية الجاحظ وابن قتيبة وعلو كعبها في الأدب والبلاغة، ولسكوتهما عن عزو القصيدة لقائل بعينه ما يدل على هذا الشك والاضطراب» [28]

الاختلاف في مَنْ قِيلت فيه:

ومما يدل على اضطراب هذه القصيدة، وقصة الخلاف الحاصل في الشخص الذي قيلت فيه، نجد أن في الحماسة والعمدة والأغاني أنها للحزين الكناني، في عبدالله بن عبدالملك بن مرون، وفي الأماني وغيره أنها قيلت في قدم بن العباس، أو لكثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين كما في المؤتلف, وإذا أتينا إلى من نسبها للفرزدق نجد خلافاً آخراً حول من قيلت فيه، فالمشهور أنها قيلت في زين العابدين علي بن الحسين بن علي المتوفي سنة 95هـ وفي الطبراني 101/3 أنها للفرزدق، وكذلك في الحلية لأبي نعمي 139/3 أنها قيلت في الحسين بن علي ﷺ. وقد تعقب ابن كثير في البداية والنهاية الطبراني في ذلك، وكان مما قاله: « هكذا أورد الطبراني في ترجمة الحسين – في معجمه الكبير – وهو غريب فإن المشهور أنها من قول الفرزدق في علي بن الحسين لا في أبيه، وهو أشبه، فإن الفرزدق لم يرَ الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج، والحسين ذاهب إلى العراق، فسأل الحسين الفرزدق عن الناس فذكر له ما تقدم، ثم أن الحسين قتل بعد مفارقته له بأيام يسيرة، فمتى رآه يطوف بالبيت والله أعلم [29].وذكر الفاكهي في أخبار مكة بسنده، أنها للفرزدق يمدح علي بن عبيد الله بن جعفر، قال: « حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال: حدثني ابن عائشة قال: أخبرني أبي قال: دخل الفرزدق مكة فإذا بعلي بن عبد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حلته وهو محرم فقال: ويَحكم يا معشر أهل مكة، من هذا الذي يطوف بالبيت، والله ما رأيت أحسن من وجهه، ولا من حلته، فقالوا: هذا علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشأ يقول هذه الأبيات التي ينشدها الناس» وذكر القصيدة.

ثم قال: « ويُقال إن الرجل الذ قال فيه الفرزدق هذا محمد بن علي» [30]. وفي البداية والنهاية 108/9 أنها في علي بن الحسين، وأنه قد ذكر الصولي والحريري طرفاً/ ومدار كل الروايات الموجودة على رجل يدعى محمد بن زكريا الغلابي، وهو ساقط عند أهل الرواية وممن يضع الحديث، وذكر الدار قطني، ويحى: أنه يضع الحديث، والذهبي يقول بعد سرد حديث رواه الغلابي: (فهذا من كذب الغلابي)، وقال ابن الجوزي أنه يضع الحديث [31] ويقول ابن عبد البر: (وقول من قال: أن هذا الشعر قيل في علي بن عبيد الله بن جعفر، أو محمد بن علي بن الحسين أصحُ عندي من قول من قال: أنه في علي بن الحسين؛ لأن علي بن الحسين توفى سنة ثلاثة أو أربعة وتسعين، وهشام بن عبدالملك إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة، وعاش خليفة عشرين سنة، وجائز أن يكون الشعر للحزين عبدالله الله في محمد بن علي بن الحسين، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد

بن علي بن الحسين بن أبي جعفر- وكان له في أبيه علي بن الحسين- فلم يكن هشام يومئذ خليفة كما قال أبو علي في روايته، وأما قول الزبير: أنه قيل في قثعم بن عباس فليس بشيء، وإنما ذاك شعر قيل في قثم علي قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو هذا» [32] وعلى هذا يقول أبو سفيان مدان، وهم يبطلون نسبة القصيدة للفرزدق: وقد كنت أمر بهذه القصيدة وأحفظها منذ الصبا، ولكن في نفسي منها شيء، بسبب لغتها السلسة السهلة المطبوعة، وهي لغة لا تناسب شعر الفرزدق الذي عُرف بجزالته ووعورته أحياناً، ثم يسر الله لي أن أبحث عن هذا الشك هل له من أصل حتى تبين لي بما لا يدع مجالاً للشك، أن القصة والقصيدة كلها من الكذب والانتحال الذي كان يصنعه الرواة؛ لأغراض سياسية وطائفية واجتماعية أو رغبة في التكسب والمعاش.

أدلة مقتضبة عن النص:

يتضح مما سبق أن القصة المروية عن نسبة القصيدة للفرزدق. وإن وقعت أمام مرأى من الناس، وانبرى فيها الفرزدق مادحاً، لا نجد من يرويها إلا شخص واحد معروف بالكذب، ثم نجد أن بعض أبياتها منسوبة في مصدر قديم لشاعر آخر مغمور. ويتضح كذلك أن حبقة القصيدة تدل على وهنها وسذاجة من قام بها، وإن كانت لا تخلو من إشارة كانت سببا في ذيوعها، إذا أضفت إليها أن الفرزدق لم يكن شاعاً مطبوعاً يقول الشعر بالبديهة، بل هو القائل: لخلع ضرس أهون إلى من بيت شعر، فكيف انثالت عليه هذه الأبيات كالمطر؟، وهذا ما حدى بالنقد الكبير والمحقق المشهور احسان عباس ليقول في تعليقه عليها في تحقيقه وفيات الأعيان: (على أن القصيدة جاءت عفو الخاطر، أو كان الفرزدق كان متوقعاً ذلك السؤال فيه قدر من السذاجة) [33]

إن المقاصد البصير والقارئ المتمرس في شعر الفرزدق وغيره من شعراء العربية ممن لديه الملكة النقدية والذوق الرفيع ما يعرف به أن هذا النص لا يمكن أن يخرج من بين فكي الفرزدق، فهو شاعر له طابع قوي جزل، فخم العبارة، تسمع للكلمات جلجلة وللتراكيب قعقعة، وصورة غير هذه الصور، وكان الفرزدق يدرك ذلك من نفسه، فقد كان زير نساء وصاحب غزل، ولكنه لا يجيد التشبيب، بخلاف جرير كان صاحب عفة، وذلك روي عنه أنه كان يقول:» ما احوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره لما ترونِ) [34]

ليس فيما قاله الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه عن الإمام زيد حجة قوية حول ثبوت هذه القصيدة للفرزدق، فقد ذكر أن كتب التاريخ والسير والأدب روت هذه القصة منسوبة للفرزدق، ولم يتشكك الرواة والمؤرخون في نسبتها، وأكثر كتب الأدب لم تثر شكاً حولها إلا ما كان من الأصفهاني الذي يقول: « لأنه تخير منهاج شعراء البادية ... إلخ، وأنه لم يطعن فيها من جهة رواتها؛ بل من جهة اسلوبها والرأي هنا تعوذه الدقة.

ثم كان الكلام عن اسلوب النص وعدم موافقته لأسلوب الفرزدق لا يكفي بل الواجب نقدها من حيث رواتها، فقد بينا أن مدار روايتها علي الغلابي وهو من الواضعين، وفي رواية الطبراني شخص مجهول يرويها بطريقة مختلفة.

أم كلام الأصفهاني الذي ذكره عن القصيدة، فلم نجده في الأغاني وهو كلام صائب، ونظر نقدي فاحص أيا كان صاحبه، ويدلُ على معرفة بالشعر ومذاهبه ولغتهُ. ولسائل أن يسأل لمن إذا هذه القصيدة التي نالت هذه الشهرة؟ ومن قائلها الحقيقي؟ والذي يرجح لي – والله أعلم – أن هذه القصيدة مركبة من أكثر من نص، فبعضها للحزين الكناني، والذي خرج بعض أبياتها أبو تمام في الحماسة، وأورد أبياته أبو الفرج في الأغاني،

ووصفها بالمتناسقة، والجزء الآخر بعض من قصيدة داود بن سلم في مدح قثعم بن العباس، ويترجح الظن أن أحد الواضعين ركب القصة ودمج بين هذه الأبيات التي جاءت على وزن واحد وروى واحد، وأضاف عليها ما عنده أبياتاً ونسبها للفرزدق، وإن ذلك كان قريباً من مطلع القرن الرابع.

هذه القصة والقصيدة أوقعت بعض الباحثين في نسبة الفرزدق للتشييع، وحب آل البيت والتعصب لهم، ومن أوائل من فعل ذلك الشريف المرتضى في أماليه، حيث قال: « كان الفرزدق شيعياً مائلاً إلى بني هاشم [35]، وعنه فيما يبدو تلقت بعض كتب الرجال هذه النسبة، والأمر ليس كذلك – فيما يبدو – لأن المتتبع لقصائد الفرزدق يدرك أنه كان من جملة الشعراء المادحين الذين يتكسبون بشعرهم، وقد أغرق بني أمية بمدائحه والدفاع عنهم، وأنهم أهل الخلافة وأن الله أختارهم لها إلى غير ذلك من المعاني المنشورة في شعره.

ظن البعض أن الفرزدق هو من سرق القصيدة، ونسبها إلى نفسه وسبب هذا الوهم ما عُرف عن الفرزدق من السرقات. وإذا تأملت ما ذُكر سابقاً، وجدت أن الشريف المرتضى هو من أعيان الشيعة وهو يشك في نسبتها إليه، وصاحب الأغاني- وهو معروف بميوله الشيعية – ينفي نسبة بعضها للفرزدق وينسبها للحزين الكناني، فالقضية قضية بحثٍ وتحقيقٍ، وآل البيت في شرفهم وعلو مكانتهم ليسوا في حاجة إلى مدح المادحين، انتحال الشعر لأجلهم، فهم أبعد شأواً من ذلك. ويكفي آل البيت شرفاً وفخراً ثناء الله عليهم وتطهيره.

ما وصل إليه البحث من نتائج:

عاش الشاعر الفرزدق في جوٍ مفعم بالعلا والمحامد والمفاخر، فهو شريف وابن شريف، وهذه العوامل قد أثرت في نفسيته وجعلت منه شاعر فخر ومديح، حتى لُقِب بـ(أفخر شعراء العرب)، ويُعد بهما قمة شامخة في سماء الشعر العربي.

من هذه الورقة البحثية تتضح لنا براعة الشاعر، وتفوقه، واستخدامه لغرائب اللغة ونوادرها، وأنه لعب دوراً كبيراً في حشد اللغة وجمعها في قصائده حتى قال عنه النحاة: « لو لا الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار العرب»، وهذه دلالة كبرى على تميز الشاعر وبراعته.

إن المديح غرض قديم في الشعر العربي، إلا أن هناك اختلاف بسيط بين العصور في غرض المديح، إذ أن غالب المديح في الجاهلية كان ينصب على سادات القبائل، وكان صادقاً في مضمونه، بينما في عصر صدر الإسلام، كان الشعراء يظهرون فيه حباً وإيماناً للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ولعامة المسلمين، فلم يكن الغرض مادياً وإنما احتساباً عند الله وذوداً عن حياض الإسلام.

أما العصر الأموي فصار غرض المديح فيه للتكسب والنيل، وتحول المدح إلى ما يشبه الحرفة،

إن القصيدة الميمية لم ترد كاملة في كُتب الأدب الأوائل، كالأغاني، وفيات الأعيان، العمدة، وديوان الحماسة لأبي تمام وغيرها من كتب الأدب القديمة، إضافة إلى اختلاف نسبة القصيدة إلى قائل معين، واختلاف من قيلت فيه القصيدة، تلك العوامل التي أدت إلى الشكوك في نسبة القصيدة للفرزدق رغم هذه الشهرة، والأمر يحتاج إلى مزيد من البحث العميق والتدقيق لتحقيق نسبتها إلى الشاعر أو بطلانها.

المصادر والمراجع:

(1) أنظر: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، ط1، ص 256، بيروت.

(2) أحمد الهاشمي، ج 1ـ ص 251، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، 2012م

(3) محمد عثمان علي، أدب ما قبل الإسلام، ص 118.

(4) الزوزني، شرح المعلقات السَّبع، ص 110، در الطلائع – القاهرة، 2009م.

(5) المرجع السابق، ص 114

(6) المرجع السابق، ص 114

(7) محمد عبد القادر أحمد، دراسات في الأدب ونصوص العصر الأموي، ط1، ص 100، مكتبة النهضة المصرية.

(8) ديوان جرير، ج1، ص77، دار بيروت للطباعة والنشر 1986م.

(9) محمد عبد القادر أحمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، ص 105.

(10) المرجع السابق، ص 106.

(11) سيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص 296، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، 2012م.

(12) ديوان الفرزدق، مجيد طراد، ج 2، ص 238، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 2006م.

(13) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، حديث رقم 2278.

(14) سورة آل عمران، الآية 110.

(15) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ط1، ص 46، المكتبة العصرية، 1999م.

(16) المرجع السابق، ص 201.

(17) سورة الرحمن، الآيات (-1 4).

(18) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط 4، ص 301، دار إحياء العلوم، بيروت.

(19) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 215.

(20) المرجع السابق، ص 258.

(21) النبعة: شجرة تُصنع منا القصي، وهي أجود أنواع الشجر، والمراد منها في البيت أصل الممدوح الكريم.

(22) سورة البقرة، الآية 117.

(23) احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 289.

(24) البلاغة العربية، أساسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن اليداني، ج 2، ص 485، دار القلم، دمشق، 1996م.

(25) الآمدي، المتوالف والمختلف، مصدر الكتاب موقع الوراق ص 77.

(26) ديوان الحماسة، لأبي تمام، ج 2، ص 284.

(27) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج 15، ط3، ص 315، دار الفكر، بيروت.

(28) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 3، ص133، دار الجيل، بيروت 1996م.

(29) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 8، ص208، مكتب المعارف، بيروت.

(30) محمد بن اسحق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج2، ص 178، دار خضر، بيروت.

(31) إبراهيم بن العجمي، الكشف الحثين عمن رمي بوضح الحديث، ص 229، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1987م.

(32) ابن عبد البر، بهجة المجالس وإنس المجالس، مصدر الوراق، ص 112.

(33) ابن خالكان، وفيات الأعيان، ط 6، ص 95.

(34) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 44، دار المعارف، القاهرة.

(35) أمالي المرتضى، ج 1، ص 45.

تنازع المجذوب بين
ثورة التمرد وسكينة الالتزام

د.قاسم نسيم حماد حربة

أستاذ الأدب والنقد كلية اللغة العربية
جامـعة إفريـــقيـا العالميـة

مستخلص :

بحثت الدراسة في تنازع المجذوب بين ثورة التمرد وسكينة الالتزام، وقدمت بدراسة خلفيات هذا التنازع؛ الذي يقوم على تكوينه النفسي وتنشئته الأولى، ثم تحدثت الدراسة عن تنازعه بين الإيمان وحيرة الشك ونزوعه للإنكار، ثم تقلبت في الأساليب والمذاهب الشعرية، فهو مقلد ومجدد لا يستقر على قرار، وهو كلاسيكي ورومانتيكي وواقعي، وتناولت ظاهرة افتتانه بالأفريقانية وتماهيه فيها، وتقلبه بين رصانة اللغة وإقحام العامية، وتمرده على المعاني وتجديده فيها، ووقوفه على الأطلال وانصرافه عنها، كما تناولت الدراسة نزوعه نحو الغواية والشهوانية بجراءة فائقة، كما ناقشت الدراسة تمرده على العروبة والتزامه وفخره بها. وانتهت الدراسة إلى خاتمة ردت أسباب هذا التنازع إلى سببين، سبب نفسي فطري وهو أنَّ فطرته ونفسيته التي فطر عليها كانت مؤهلة لتوليد هذه التناقضات لما فطر عليه من ذكاء وشفافية، وسبب تنشئي هو ما أقامه عليه أهله على نمط من التربية ملتزم، فلاقى أنماطاً مختلفة من البشر في مدرسته ثم الجامعة وانفتح على ثقافات متنافرة زادت دهشته، فصار متقلباً فحيناً إلى محضنه الأول فيلتزم، وحيناً متمردٌ. والمجذوب صادق في تقلباته كلها رغم تناقضها فهو يعكس حال نفسيته الثنائية.

الكلمات المفتاحية: تنازع، تمرد، مذهب، نقد، أسلوب

Abstract:

The study deals with “Amazon” struggle between the revolt of mutiny and the nirvana of commitment investigating the background of this tussle which is based on his psychological formation and his initial genesis. Then, the study approaches his conflict between faith and perplexity of doubt and his propensity to denial. The study also handles his fluctuation between the different styles and doctrines of poetry: sometimes he is an instable imitator and innovator, sometimes classical, romantic or realistic. It also deals with the fact of his being fond of Africanism and his indulgence in it, his instability between language sobriety

and colloquialism, his revolt over meanings and innovating them, his pondering and crying over ruins and his giving that up. Moreover, the study touches his daring propensity toward seduction and sensuality as well as his stand against Arabism and his commitment and pride in it! The study concludes by a list of the most important outcomes.

Key Words: Conflict, Rebellion, Doctrine, Criticism, Style

مقدمة:

محمد المهدي المجذوب شاعر متمرد، هذه مقولة رائجة وضعتها الدراسة على منضدتها، وشرعت في بحثها ابتداءً من بحث خلفيات تكوُّنه وأثره عليه. وقد تجانبت ما كان من نوازع تمرده وتوادع التزامه تجاه أهله وقبيلته وطائفته، وما كان من ذلك تجاه الناس من وضِع منهم ومن سمق، والأحزاب والطوائف، بل حتى وطنه ففيه أيضاً تباينت مواقفه محبةً لجنسيته وتشهياً لانتساخها، وكان ذلك الإطِّراح بعد أن أُجهِدتُ في استقصاء نماذجها جمعاً واكتتاباً من ديوانيه «نار المجاذيب والشرافة والهجرة» ثم أسقطها، وإنما كان ذلك الاطراح والإسقاط اتقاءً لتضخم الدراسة وتداعيها، كما أن التجاذب في هذه الشؤون مما يقع للناس والشعراء عامة فلا يشكل استظهاره غرابة، ولا يُخَلِّفُ اسقاطه إفادة، ، أما أن يتنازع المرء في عقيدته وإيمانه والتزامه وتهتكه، وولائه لقومتيه وازوراره عنها وما جرى مجرى هذه الأمثلة التي درسناها فمما يُستعجب منه، ويقف في طِلابه الشوق، ولا يقع في الأعم إلا لطائفة قليلة من الناس، وتستتر وراء هذه النزعات أسباب نفسية أو سواها، اقتنصت الشاعر في مجرى حياته، نتيجة لمنعرجات اجتماعية زلزلته أو قراءات فكرية وفلسفية زعزعته، فقدمنا دراستها، عسى أن تعين الدراسة على كشفها أو مقاربتها، لذا اقتصرنا عليها.

خلفيات تشكل التنازع:

« كانت المدرسة شيئاً غريباً، أحسست في أعماقها بذلك الحرص المادي والتطاحن، ولم يجمع الأطفال فيها شيءٌ مقبول، فهم قبائل شتى، وجنسيات وافدة، وأساليب في العيش والسلوك مختلفات، لم أدرِ أين أضع نفسي من هذا كله، واستمر شيخي الداخلي في تعليمه الخاص لي، واستمر التلميذ الجديد في المدرسة»[1]، هكذا تحدث إلينا المجذوب عن فترة دراسته وتشكيله، مظهراً تنازعه بين القرية والمدينة وطغيان القرية عليه، وكأنَّ المجذوب بناحية أخرى يتحدث عن نفسه وتنازعاتها، بل هو يفعل ذلك، كأنَّه يقول إنَّ ما كان عليه الحال في هذه المدرسة من تنازع في كل شيء، وما انطوت عليه من تناقض، قد انطبع بصورة من الصور في نفسيته، وإنَّ شيخه الداخلي الذي أورثه له أهله، والذي يمثل قيمه والتزامه، لم يغب عن ساحته أبداً، رغم ما اكتنف حياته من تلاطم، فهو قابع قمة إحدى عدوتين متقابلتين متخالفتين يتبادل مكانه فيهما، وقد أجاد فضيلي جماع في وصف الصراع في المجذوب منذ مهاده قائلاً: « تلقى محمد المهدي المجذوب علومه الدينية بدءاً بخلاوى الدامر، قبل أنْ

ينصرف إلى مدرسة أميرية في الخرطوم عاصمة الترك، ثم تخرج في كلية غردون التذكارية، وصار أفندياً ولبس القبعة كما يصف نفسه، وهكذا ظلَّ الصراع محتدماً بين طرفي نقيض في النشأة والثقافة المكتسبة منذ الوهلة الأولى حتى الرمق الأخير في حياة الشاعر، إنَّ حياة المجذوب لمن يقرأ شعره هي الحبل المشدود على طرفي نقيض، مما منح شعره هذا التوتر الخلاق المبدع»[2] ويمضي فضيلي ليؤكد أنَّ أشعاره تفيض بالرفض والتمرد الذي امتد حتى في طرحه السياسي منذ أيام الاستعمار، فلم يكن من المرضي عنهم حتى رحوله، وصار التمرد صفةً ملازمة لشعره في معظم أشعاره التي كتبها فيما بعد في كل شيء، حتى إنْ كان ذلك الشيء هو قوانين ولوائح النظم الاجتماعية.

تنازعه بين سكينة الإيمان وتمرد الإنكار:

نزوعه للإيمان:

نبدأ بتمليك نماذج من أبياته التي نضحت إيماناً، لا نتبع في ابتدائنا بها ولا في تتبعها منهجاً تاريخياً- وإن كان الأولى أنْ يكون الإيمان أوضح كلما أوغلنا قِدَماً في تاريخ الرجل- إنما نتتبع الأبيات التي أيدت هذا المعنى في حقل الدراسة حسبما يقتضي المنطق والرأي.

يتبدى إيمان الشاعر بقوة في قصيدته الجسد الواحد، يقول:

من شكَّ في أمرِ الخلود فكافرٌ ... بالله آثر ميتةً لا تُغفرُ [3]

وسجدتُ من فرحي وألَّه وحدتي ... صوتٌ بأعماقِ الضميرِ يُكبرُ

الشركُ حيلةُ عاجزٍ وتقيةٌ ... يختارها قلبٌ يخاف محير

هذه الأبيات تمثل نزعاته العديدة القوية لإيمانه الأول، أو هو إيمانه البديهي الأول قبل تَمَوُّر نزعاته، فهو مؤمنٌ، وكافر من شكَّ في الخلود، والخلود إنَّما يأتي بعد البعث والنشور، إذن هو يتحدث عمن لا ينكر البعث، إنَّما ينكر الخلود، وهؤلاء يسمون الجهمية[4]، فهل يا ترى كان يخاطب جهميا؟ لا أرى هذا؛ لأنَّهم لا سلف لهم قط[5]، إذن تنتفي إرادته لهم، إنما أراد الكفار بعامة، وكنى عنهم بمنكري الخلود فوقع في هذا الوهم، ثم أنَّه فرِح بإيمانه الذي التمسه في أعماقه التي تألِّه الخالق، فإيمانه عميق نابع من ضميره ووجدانه، والشرك إنما هو دعوة العاجز.

ويقول في قصيدة «فتح الخرطوم»

واحفظْ عِمامتَك البيضاءَ صافية ... من خُبْثِ عِلجٍ بِزيِّ الترْكِ مَفْتون [6]

منْ قلَّدَ القومَ أعطاهم حقيقتَه ... وعادَ بالقشرِ مِنْ مسخٍ وتهوينِ

أدعو المهيمنَ أنْ يَحمي بَني وطني ... مِنْ قَادرينَ على ظلمٍ ويحميني

لو جمَّعَ الفِكرُ منهم أمَّةً خرجوا ... من خالدٍ وأبي ذَرٍ ومأمون

فاشربْ أبا الريِّ ما شاحتْ غمامتُه ... في ظلِّ بيتٍ عَريقِ المجدِ مأمون

جلا على السيفِ آياتٍ مطهرةً ... وحكَّمَ اللهَ في أشياع غُردون

هنا يمضي في التزامه بإيمانه، وربما كان موضوع القصيدة يتخايل ذلك، يدعو إلى الالتزام بالدين الذي كنَّى عنه بالعمامة البيضاء الصافية من أحايين الغرب وأحابيله، فإنَّ تتبع خطواتهم لا رجاء فيه، وإنَّما هم يفيدون منك بأن يكشفوا سر قومك، ويغررون بك ويمسخونك، فهذه الأُمَّة أمَّة عظيمة، أخرجت أمثال خالدٍ

بن الوليد في الحرب، وأبي ذر الغفاري في الزهد، والخليفة المأمون في العلم والاهتمام به وبعلمائه، ثم يفتخر ببيته وبذل أجداده في إقامة الدين.

يتجلى نزوعه للدين، وذروة سنامه فريضة الجهاد في قصيدته «وفد الجزائر في الخرطوم» التي قيلت في الثورة الجزائرية، بمناسبة وفود وفدها الميمون الخرطوم، وظَّف الشاعر التراث الإسلامي المعني بالفتوح والمعارك الإسلامية الكبرى- وهنا معارك فتح الأندلس، التي انطلقت من تلك الشواطئ- فصوَّر طارق بن زياد، فاتح الأندلس وقد ظلَّلت رايته البحر، كناية عن امتلاء البحر بسفنه وجيوشه، حتى صار لا يُرى من كثافتها، ويصوِّر سيوف الفاتحين المسلمين قد وُضِعت فوق البحر معابراً إلى الأندلس، كناية عن انتصار الفاتحين بالسيوف، فبفضلها سادوا الأندلس، يقول:

دِيْجُـولُ هَـلْ أبـصرتَ رايـةَ طـارقٍ ... والبحـر تحـت ظلالهـا يتحجـرُ [7]

نحـنُ الأُولى شَـبَكوا السـيوف معابـراً ... فـوقَ العبـابِ فـكلُّ سـيفٍ مَعْـبر

وعنده أنَّ المقاومة الجزائرية هي الجهاد الأكبر، والجهاد هو جوهر العقيدة الإسلامية، ثم يخلع على حرب المقاومة القدسية، ويحيلها إلى حرب بين المسلمين والنصارى صوناً للكتاب الكريم. ثم يلتفت إلى الوفد الجزائري ويذكِّره أنَّ منْ نزل بهم-وهم السودانيين- لا يتغيَّر إيمانهم، وهم يفْدُونكم، فأنتم تدافعون عن التراث الإسلامي وتصونون سنة نبي الإسلام، يقول:

هـذا الجهـادُ هـو الجهـاد الأكـبرُ ... مـا النـارُ وهـو مـن العقيـدةِ جوهـرُ

حـربٌ مقدسـة العـذابِ طويلـةٌ ... أمواجُهـا بصدورنـا تتكـسرُ

قمنـا إليهـا مسـلمون ومـا بنـا ... فـزعٌ نصـونُ كتابَنـا ونكـبرُ

وفـد الجزائـر قـد نزلـتَ بشـاطئٍ ... إيمانُـه باللـه لا يتغـير

يفديـك تدفـعُ عـن جـلال تراثـه ... وتصـون مـا وهـب النبـي المنـذر

في قصيدته «أحزاب ومبشرون» التي أنشأها سنة 1936، تتبدى وطنيته وتدينه، فيدعو إلى الوحدة ومخالفة المبشر الذي سيرث النار، كما يدعو إلى نفي البدع من الدين، ومقاتلة الطغاة يقول فيها:

أمـلي اتحـادٌ في البـلادِ وعصمـةٌ ... بالحـقِ لا بتخالـفٍ وتمـارِ [8]

قُـلْ للمبـشرِ وهـو يَنْفُـثُ سُـمَه ... في النـاسِ أَنْـتَ مخلـدٌ في النـارِ

قومـوا نُغَـيِّرْ مـا نَـراه مُخالفـاً ... للديـنِ، ديـنُ الواحـدِ القهـارِ

نَنْفِـي الطُّغـاةِ بصـارمٍ نَفْنِـي بـه ... ونفـوزُ فـوزَ أخـي الجهـاد الشـاري

فالنزعة الدينة وكراهية المبشر تطفح من هذه الأبيات، وتوظيف التراث الديني باستحضار أشرس فرقة من فرق الخوارج وهم الشراة[9] في قوله (أخي الجهاد الشاري)، ويستقيم أيضاً أنَّه أراد المعنى العام للشاري أَيْ الذي يقاتل في سبيل الله المأخوذ من قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**)[10].

في (قصيدته إلى الله) التي كتبها في شهداء الوطن في رفاعة نجده يدعو فيها للجهاد ويتجلى فيها تمسكه بالكتاب المبين والإيمان، يقول:

وطني عانِق المنيةَ دون الحقِّ ... والبعثُ بالمنون رهينُ [11]
وارفعِ البيرقَ الذي يكنِف الأرضَ ... كما يرعدُ السحابُ الهتونُ
إنما النيلُ حقنا من يدِ اللهِ ... وميثاقنا الكتاب المبين

المجذوب هنا شاعر مؤمن ملتزم تجاه دينه وتراثه وأعراف قومه، لا تحس بتمرده الذي سنراه بعد قليل، فهو ملتحف بربقة الدين، والملاحظ أنَّ الروح الدينية أكثر ما تتبدى في مواقف النضال والقتال ضد المستعمر والغرب، وهنا نطلق التساؤل، إلا أنَّ الموقف يتطلب ذلك!؟ فالموقف موقف ثورة وحرب وجهاد، أم أنَّه يصدر عن يقين محض يتكئ على شُرفة محضنه الأول الذي تفتقت بواكيره فيه، أو ربما لم تبدأ حتى هذه اللحظة تمرداته ونوازعه، فكان يتمرغ في سكينة الأيمان الأوَّل ولم توشوشه بعد منغصاته. وملاحظة أخرى أن المجذوب في إيمانه أكثر مقاربةً للروح الكلاسيكية في صنعته.

تردد الحيرة:

هذه مرحلة يتأرجح فيها بين الإيمان والإنكار، فيلتحم الموقفان في البيت أو القطعة أو القصيدة، فهو فيهما متقلب لا يجد رسوخاً في أي جانب، وتسمع صوت تألمه وحيرته وارتيابه وعذاباته.

يقول في قصيدة «من أنا»

نسيتُ حقيقةَ الأشياء لَمَّا ... لمستُ وسادتي تحت الظلام [12]
تُحدِّثني فأسمعُ من صَداها ... صفاءَ الروح أطلقَها منامي
وحين هفتْ إليَّ عَمِيتُ عنها ... وقد عَمِيتْ ونحن على التزام
تلاقينا لنشهدَ ما علمنا ... وعُدتُ ولم أجدْ إلا حُطامي
أقمتُ لدى المساجد حدَّثَتْني ... بأخبارٍ صَغَوْت لها جسام
وتسحرني الكنيسةُ إذ تغني ... ترِقُّ بها الصلاةُ مع المدام
غمامٌ ليس يَسقيني ويمضي ... فأهفو بعد ذلك إلى غمام
وكمْ حجرٍ رأيتُ به نقوشاً ... وَعيتُ كلامها ووعت كلامي
وأَبْهَمَ حين لم تُسفرْ بنفسي ... معانٍ كالنقوشِ على الرِّجام

تُقدم لنا هذه الأبيات نفساً حائره مترددة تسللت الشاعر، انزوت عنها الحقيقة لمَّا تحسست ما كان عليه من أفكار ومعارف، فإذا هي مقيمة في بحر من الظلمات متلاطم، فصارت أفكار الشاعر القديمة تحدثه فلا يتسمَّع من رجعها إلَّا فراغاً صافياً-والصفاء أمارة الفراغ- وكلَّما أقبلت عليه صدف عنها، لأنَّها لا تبصر وهو كذلك لا يبصر، فكلاهما في بحر من العمى المعرفي مطبق، لقد تلاقيا سعياً وراء الحقيقة والمعرفة، لكنَّه آب ولم يجد ثمَّة معرفة بل حطاما، لقد لزم المساجد حيناً فأصغى لأخبارها، ثم سبته الكنائس بما فيها من مشهيات فأجاب، ثمَّ يقرر أنَّ ما تقلب فيه من أفكار لم يشف غليله، ويستغرب من قدرته على إدراك

معاني النقوش على الأحجار وعجزه عن إدراك معاني نفسه، فانظر كيف صوَّر حيرة نفسه وتنازعها!

ويقول في قصيدة «صورة»

جلبتُ شيئاً فلمَّا رحتُ أمْسِكه ... لمْ ألْقَ شيئاً سوى كَفِّي وأنفاسي [13]

ولمْ أجِدْ غيرَ معنى الشوقِ في خلدي ... أفقاً يعِزُّ على مِرآة قِرطاسي

ضوءٌ من العدم المجهول يسْمعُه ... شعري ينادم كأساً بين أرماسِ

وخطرةُ المرحِ المحجور غانيةٌ ... منها كُليبٌ يرويِّ سيفَ جساسِ

ما دمتِ فيَّ شعوراً لستُ أبْصرُه ... وليس يُفْصحُ عن أكمامِ أغراسي

ففي دموعي لك العتبى وكم عرفت ... يأسي وحسبي إيماني ووسواسي

تدور هذه الأبيات حول معانٍ غائمة حائرة كحيرة نفسه، فقد تبخرت عنه الحقيقة التي ظنَّ أنَّه احتازها، وتبددت من نفسه كل المعاني سوى معنى الشوق أفقاً عزيزاً في محراب معارفه، لا شيء هناك سوى العدم، وكأسه تصغي لأشعاره القابعة تحيطها القبور، لا ذرَّة من خاطر مرح، فالمرح في دنياه كالغانية التي دونها السيوف والدماء فلا يُطاق وصلها، ثم يخرج قليلاً ليصف شعوره لتلك المرأة فهو شعور مبهم، لكنَّه يستعتب دموعه لها، وهي التي عرفت يأسه، ويكفيه اجتماع الإيمان والوسواس فيه، لقد صوَّر حيرته بنقله لما يجيش في نفسه من توتر وتناقض مستعيناً بمفاهيم وأدوات وطرائق الرومانتيكية. والملاحظ أنَّ أبياته لم تخلُ من روح صوفية وقد صاغها على روي وبحر قصيدة شاعر الصوفية الأكبر الحلاج التي يقول في مطلعها

واللهِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غَرُبَتْ ... إلا وحبُك مقرونٌ بأنفاسي [14]

لكن المجذوب يتفوق بلا مقايسة بصناعته هذه على صناعة الحلاج.

ويصرح بالحيرة والشك في قصيدة «الفقر الأبله»، فهي تحكي تردده بين العبث والالتزام، يقول:

وجاء مع الصبحِ عقلي التقيُّ ... فأغضيتُ في أسفٍ مفحم [15]

فيا عقلُ دعْ عنك هذا الشماتَ ... فإنَّك في الشك لم تَسْلَمِ

فعقله التقي يأتيه مع الصبح، لكنَّه أسف لمجيئه لأنَّه يودُّ أنْ يظلَّ في النزغ، فيخاطبه ألا يشمت به بما اجترحه في ليله من مآثم ويذيعه، ثم يصدمه بحقيقة أنَّ عقله نفسه لم يسلم من الشك.

في قصيدة «توفيق الشاعر في الدامر» التي قالها في صديقه الشاعر الكبير توفيق صالح جبريل يحكي عن حيرته وعجزه عن حياة التقليد والتقى، ودعَّم حيرته هذه بجملة إنشائية طلبية (أين المفر) في مطلع جملته الشعرية، وهذا وصف صادق لحاله التي عاشها مشدوداً بين طرفين، ويصف فعال أشياخه في البيت الثاني من تعبيد حياة الناس لله وتمسكهم بأحكام الفقه في حياتهم.

أين المفرُّ من التُّقى ومشائخٍ ... طبعوا صبايَ على هدىً ومآثر [16]

شادوا الحياةَ مساجداً وتعبدوا ... لله في فقهٍ يُضيئُ مُصابر

ثم دون فاصل يتأوَّه تشوقاً لمتع الحياة ويدعو لاستباق زمانه بالنهل منها، فكم أدبرت عنه وصعُب تطالبها، فلنتزود عبَّاً منها استباقاً للزمن.

أواهُ من مُتعِ الحياة فإنَّها ... شاقَتْ على تَعَبٍ وطولِ تدابر

فلنسبقِ الزمنَ الشحيحَ بِلَذَّةٍ ... عَجْلى تُزَوِّدُ عابراً من عابر

ثم يقرر مفارقته لألواحه وحياته الأولى حياة القرآن والتقى، وما كان يلبسه أو يحمله تعوذاً، فراق هجر.

فارقتْ ألواحي وقمتُ مُهاجراً وتمائمي خاصمتُها ومَحَابري

وفي آخر القصيدة يستغفر ربه في هزيع الليل الأخير ومع دوي القرآن رأى نفسه الصبية الطاهرة.

استغفرْ المولى وهاك رسالةً شعراً على شعرٍ كتبتَ محاذر
الليلُ رقَّ وطارَ صوتُ مؤذنٍ وبدا الصباح على تلاوة ذاكر
يتحصَّنُ الأشياخ في أورادهم ورأيتُ نفسيَ في صباي الطاهر

وهو لا يزال مشدوداً بحبلٍ بين طرفين، طرفٌ فيه يقيم تمرده، والآخر تدينه، لكنه يستسلم دائماً لإرادة شيوخه وطغيانهم، وإنْ كان هذا الاستسلام ظاهرياً دون قناعة راكزة، فهذا شيخه أتى يسقيه ويجدد له التعاويذ شرباً بالمحاية[17]، ونفثاً بالقراءة، ويصور المجذوب هذا الطقس فالشيخ قد أسبل طرفه وبدأ في نفث بعض آية الذكر الحكيم في وجهه، والمجذوب قد أغضى وهو مصطبر على هذا الفعل المكره عليه، ثم يقرر-وكأنَّه يرد على الشيخ- أنَّ دينه هو هذه الحياة وبهارجها ولا شأن له بما وراء البعث، ثم يقفز ليعلم بأنَّه على موعد مع إحداهن يوم الخميس ليزيد يقيننا بما يؤمن، يقول:

مُسْبلٌ طرفَه ويَنْفُثُ في وجْهي فأغْضِي على اصطبارٍ بئيس [18]
وَلَعِي بالحياة ديني، وما شَأني بيومٍ وراءَ تلكَ الرِّمُوس
ألمَحَتْني بنانها الخَفِرَ المعقودَ سُعْدى تقولُ: يوم الخميس

ويقول عن توبتاه المتكررة

كم توبةٍ عَرِيتْ بين الذنوبِ، لها أحرقتُ جنةَ آثامي وأوزاري
تأبى تُراجعُ شيطاني يُراجعها حتى تعودَ إلى كأسي بأعذار
أخرجتُها من محاريب مُطهرةٍ عذراءَ تسكرُ من سلسالِ أقماري
شكرتُ كأسي بغيبِ الشكرِ تمنحُني ما رَوَّقَ الطينُ من برقٍ وإعصار

هنا يذكر أبواته المتعددة إلى الهدى، فينفض يديه عن الآثام، لكنَّ شيطانه لا يتركه، بل يُراجعه لا يزال به حتى يغويه ويعود به إلى عالم الآثام، فيخرج نفسه من محاريب الطهر إلى حوانيت الآثام، ثُمَّ يختم بشكره للخمرة منحها إياه صفاء الحياة.

ويقول وصراع المحافظة وما ترغب فيه نفسه يحتدم:

أرَّقَه ما أباحَ من حُرمٍ ودينُه مُذْ وَعَى الحياةَ حُرَمْ [١٩]
أراحَه أنَّه استفاق فلا خوفٌ دعا أو تَرَقُّبٌ وَنَدمْ
تَعبَّدَ النفسَ والحياةَ كما يُريدُها القلبُ فالضميرُ صَنَمْ
مُجَلَّلٌ بالجلالِ رَوَّعني عتابُه من ملالةٍ وَسَقمْ
ولم أتُبْ وارتجعتُ سالف لذَّا تي فتوبتي عن الذنوب وَهَمْ

يبدأ متوتراً لما أباحته نفسه له من محرمات، ثم يستطرد ليواسي نفسه بقوله إنَّ دينه كله محرمات، ثم يبدو مرتاحا لتلك الإباحيات فقد وصف حاله بالإفاقة فلا خوف ولا ندم، لقد تعبد الحياة كما يهواها، ثم

يقرر بعدم توبته إنَّما ارتجع سالف لذاته وما قاله عن توبته لا يعدو أن يكون وهماً.

يؤكد شكوكه جلية في هذا البيت:

تُطهـرني مـن حـيرة الشـك غابـةٌ بهـا الحـبُ جُـرحٌ راضـعٌ وحنـين [20]

يقصد بالغابة هنا غابات الجنوب حيث أنشأ قصيدته هذه هناك، وجاء هذا البيت في سياق يتحدث عن الغابة، وجد الشاعر أقواماً هناك مختلفين تماما وأديانا مختلفة وحياةً كاملة في كنف الغابات، ويزعم أنَّ هذه الغابة تطهره من حيرة الشك حيث أنَّه التمس فيها حباً حنيناً كالجرح اللذيذ الذي لا يبرأ لاستقوائه بالغذاء.

النماذج الماضية كلها تدور حول تردده وحيرته بين الالتزام والتمرد، فقد جمعت بين الحالين مما يشي بأنَّه كان يعاني ولم يحسم قراره بعد.

تمرده على الدين، ونزوعه للكفر:

قرر المجذوب بنفسه التمرد على الدين، بعد حالة الشك والحيرة التي تلمسناها، وأذاع قراره هذا في بيت في قصيدة «أعداء وصديق»، ذكر فيه أنَّه سيغني التمرد، ولا يخفى ما في معنى «غناء لحن التمرد» من صدوح وطرب، فهو يحتفي بالتمرد على دينه ولا يواريه، هذا على الأقل ما فهمته من قوله:

شـبابي حـرٌّ مـن قصيـدٍ ومنـبرٍ عـلى عُـوْدِه غنيـتُ لحـنَ التمـردِ [21]

وبعد أنْ يذكر لوحه الذي يدرس فيه القرآن ويمتدحه، فهو كالمصباح لحياته ويذكر أثره المشرق عليها، يعلن فراقه له، يقول:

ثـم اختلفنـا عـلى التأويـلِ وانصرفـتْ نفـسي تُكابـرُ أهـوائي وإنْـكاري [22]

وضـاع لَوحـي وأورادي أمـا علمـوا أنِّي وهبـتُ لوجـه الليـل أنـواري

فهو يعلن هنا هجره لأمسه المنير بالقرآن وتمرده عليه، حتى أضاع في تلافيف هذا الهجر ومقتضياته ألواحه، وهجر أوراده التي كان يتعبد بها ليلاً، لقد وهب ليل عبادته لمشرق أنواره التي اعتقدها ودان لها، هذه من أقوى صور تمرده على أمسه ودينه.

لاقيـتُ جيـلاً بـلا ذاتٍ وكـم رفعـوا سـداً حـمانيَ عـن ذاتي وأوطـاري

يبيـتُ عنـديَ مـن يخلـو بسـبحتِه كغامـزٍ لنهـودِ الغيـدِ مشـتار

الجسـمُ طـينٌ ولم تبـدعْ سرائـره إلا بسـبيلٍ مـن اللـذات جـرار

لقد التقط أفكاراً شكلت حصناً مانعاً له عن أفكاره التي كانت تشكل ذاته فاعتنقها، ثم صار لديه سواءً المتبتل المتعبد ومتبع الأهواء، فعنده أنَّ الإنسان خُلق من طين ولا سبيل لانطلاقه وإبداعه إلا بالانطلاق وراء الملذات، ومن صور تمرده على الدين واستهتاره بنسكه ما جاء في قصيدة «فأر صديق»

لا تحسِـبنِّي واعظـاً في جُمعـةٍ فالوعـظُ مكسـبُ عاجـزٍ وسـتارُ [23]

طـوقٌ تقـادُ بـه الـكلابُ وحيلـةٌ للحُـبِّ وهـيَ ضَغِينـةٌ وإسـارُ

فيضع المجذوب رأيه في الوعظ وهو لا ينفك عن وعيه للدين في حال تمرده، فالوعظ عنده من صور العجز، وهو قيد وطوق يقاد به المطيعون من البشر.ومن أقوى صور تمرده على الدين، ثورته على السماء هذه.

خـلِّ عنـك السـماءَ لا تَعْـرفُ الرحمـةَ حتـى تشـيعَ بـين العبـادِ [24]

أقْفَلَـتْ بابَهـا، وأَطْفَـأَتِ المصبـاحَ واسـتعصمتْ وراء سِـدَادِ

كَـمْ قرعنـا صفاتهـا وهـي أُمُّ الغيـبِ لَفَّـتْ وليدهـا في مِهـادِ

وخطر هذه الأبيات أنَّ محل النقد هي الذات الإلهية.

هكذا وقفنا على نزاعات ومواقف المجذوب وأحواله حيال الدين، فبدأنا بنزوعه الإيماني وهو ما نشأ عليه، وما أورثته له بيئته المحافظة، فبدا في أشعاره مؤمناً ملتزماً صادقاً، تقوى فيه روح الدين وتثور؛ خاصة حينما يتعلق الموضوع بالمستعمر أو الأجنبي، فله حساسية مفرطة تجاههم، ثم عرضنا ما تعلق بمرحلة تردد الشك فلا هو مؤمن ثابت الإيمان ولا ناكر مستقر النكران، بل يجمع بين الحالين، أو يغدو مؤمناً ويمسى كافراً حتى بلغنا مرحلة اطمئنانه للإنكار-وما أظنُّه يطمئن- لكنْ ما يجب تأكيده هنا أنَّ هذه المراحل ليست مراحل عمرية، إنما هي حالات نفسية توالت عليه وعاشها دون ترتيب، وما يمكن أنْ نطمئن إلى أسبقيته هو سبق حالة الإيمان، لتعلقها أكثر بمحضنه الأول ونشأته، قبل أنْ تطَّلع ذاته على أفكار وفلسفات غريبة عن بيئته أو أوضاع اجتماعية قلَّبت سكينته، وهذا لا يمنع أنْ تتوارده هذه المرحلة في مراحل أخرى من حياته ويستقر عليها، هذا على الأقل ما أرى.

تنازعه في الأساليب والمذاهب الشعرية:

كان محمد المهدي المجذوب تصيبه نوازعه في كل شيء، فهو بين الالتزام والتمرد في كل شيء، ونقف هنا لنطلَّ على موقفه من الأساليب والمذاهب الشعرية وطريقته فيها، ونتقدم بذكر آرائه النقدية أولاً.

يقول المجذوب في مقدمة ديوانه « ليس لي تعريف للشعر، لم أفكر في هذا قط»[25]، ويقول «ليس لي مذهب شعري، فقد حاولت التعبير عن نفسي بصدق، ولم التفت إلى مذهب نقدي، ولم أجعل اللغة غاية، وأخشاها، واشتهي الخروج من قوانينها الصارمة، ولا أعرف تقطيع البيت على التفاعيل، وما زلت أتعجب ممن يطيق هذا التركيب وأشهد له بالبراعة»[26] فهو يقول الشعر هكذا على سليقته عفواً كيفما جاء واتفق، فلا تحده لديه حدود أو تعاريف، ولا التزام له تجاه مذهب أو مدرسة يترسم معالمها؛ لذا جاء شعره على هواه بتلقائية وتدفق وصدق، فاختلف النقّاد في تحديد مدرسته الفنية تخالفاً بيِّناً، فعدَّه عبده بدوي واقعياً، لكنَّه احتاط فقال مع ذلك عرف كيف يمد ظلَّه على كلِّ التيارات[27]، وأظنُّ أنَّ بدوي قد ركزت في نفسه قصائد المجذوب الواقعية ففسرته على هذا الحكم، فجعل الواقعية هي العمدة عند المجذوب، أمَّا هدَّاره فزعم أنَّه كان متردداً بين الرومانتيكية بكل مقوماتها والواقعية بكل اتجاهاتها في المضمون والشكل[28]، ويفصل هدَّره رأيه بأنَّ المجذوب ظل مجذوباً إلى التيار الرومانتيكي فترة طويلة استغرقت أكثر من عشرين سنة[29]، أما زغلول سلام فقد فصَّل أكثر وزعم «أنَّ أكثر شعره على صلة وشيجة بجماعة أبولو أكثر من صلته بجماعة الشعر الحر، ذلك أنَّه تكوَّن في ظلِّ مفاهيمها العامة، وقرأ لشعرائها، ويغلب على اتجاه هذه الجماعة الاتجاه اللبرالي، أو الحرية الذاتية، والطابع الرومانسي عامة بنظرته السوداء للمجتمع والناس، وسخريته اللاذعة المُرَّة، وعواطفه الثائرة، ونزعاته الصوفية، وخيالاته الغائمة، وعباراته الرمزية، هذا إلى جانب فلتات في التعبير قد توحي إلى قلة التدقيق في اللغة»[30]، وأراني أميل لتفصيل زغلول، فكل ما خطَّه زغلول من صفات تراها محققة في شعر المجذوب، فشعره جماع كل تلك المدارس تستكنُّ فيه، وتقف فلتاته في التعبير التي عبر عنها بإدخال اللغة العامية دليلاً عل دقة وصف زغلول سلام.

بين التقليد والتجديد:

نعى المجذوب في مقدمة ديوانه «الشرافة والهجرة»؛ نعى على أبناء العرب الذين ذهبوا إلى أوربا وقد بُهِروا بما رأوا من مذاهب كلاسيكية ورومانسية، فكانوا مقلدين تابعين، ونعى على الذين قعدوا في

محراب التراث العربي لا يتحركون تقديساً له، ولم يخرجوا عليه، وأكثره لا قيمة له على حدِّ قوله[31]- ثم يقرر بقوله « ثُمَّ عدتُ لأكتب شعراً على كيفي، غير مبالٍ بالفريقين المجددين والمقلدين، لإحساسي العميق بأنَّ الشعر السوداني مأخوذ من أعماق هذا الوطن بأي صورة جاء، وأنَّني أسعى إلى هذا الوطن بما أعاني من شعر ولغة[32]، لذا نراه في أي طريقة وافق نتاجه قوانينها، وعلى أي مدرسة واقع شعره مبادئها، نراه يتجانب سيموتها، ويتجاوز رسومها، فلا ينضبط له نص كامل على قواعد أي مدرسة قاربها، سواءً أكان متبعاً أم مجدداً، فنجد تمرده في أسلوبه الشعري، وخروجه على أصحاب التقليد والتجديد على السواء، فيكتب شعره على كيفه كما قال، وهذا الخروج الذي استطابه يقوده وعي بسودانية التي أراد لها أنموذجاً محدداً.

إذن اختلفت طرق وأساليب المجذوب في كتابة شعره؛ فاختلفت نظرات النقاد إليه، حسب ما وقع في نفس الناقد من قصيد، وحسب زاويته التي نظر منها، فمنهم من وقع على بعض قصائده، فنظر من زاوية فرأى أنَّه أعاد جزالة الجملة الشعرية وفخامة موسيقاها التي تضعضعت بعد رحيل العباسي وأصحابه من مدرسة الإحياء[33]، فيقترب إذن به من الإحيائيين، ومنهم من أسرته قصائده ذات النزعة الصوفية والمعاني الغائمة والسوداوية والمصير والموت فأحاله للرومانتيكية، وطائفة وقعت على قصائده التي يتناول فيها صور من واقع الحياة كقصائده في النشال وماسح الأحذية فقال بواقعيته.ونجد في قصائد المجذوب قصائد على نمط شعر التفعيلة والشعر الحديث، فالمجذوب كان يكتب على نمط التقليد ويتمرد عليه نزوعا نحو الحداثة، ويكتب على نمط الحداثة ويتمرد عليها نزوعا نحو التقليد، وكان مجدداً في تقليده، ومقلداً في تجديده، كان متمردا على التقليد بوجهيه الغربي والعربي، فلم تَتَبَهَّرَه من الغربي طرائقه ومدارسه، ولم تستبيه من وجهه العربي أصالته وحسن ديباجته فيعكفها، بل انتقى ما انتقى من كل بستان، وتنكب طريقه فكان نسيج وحده.

نزوعه نحو التقليد:

لكنه كان متمسكاً بجزالة قصيدته، متباصر بغريب المفردة في بعض الأحايين، حتى طالما أحاج المثقف إلى المعاجم، وكان يستحضر التراث كثيراً، يقول:

أُجالِسُ ميمونَ بنَ قيسِ بنِ جندلٍ حَدا رحْلَهُ الأعشَى أَسيً وجنونُ [34]

يقول فضيلي جماع « صحيح أن انتماء المجذوب لثقافته العربية والإسلامية كان واضحاً في شعره، لكن حتى هذا الانتماء كان المجذوب حريصاً على تفسيره محلياً وتلوينه داخل إطار رجراج يبحث عن ثبات- بمعنى آخر يبحث عن صورة تميزه عن الآخرين، لذا فإن حسَّه العربي الذي تنضح به قصائد مثل «فلسطين»، «نموت وتحيا مصر»، «بغداد»، «خواطر عربية»، وغيرها من القصائد سرعان ما يصب عليه المجذوب جام غضبه فيحد من انطلاقه [35]

خروجه على التقليد:

وقد سجل خروجه شعرا عن التقليد يقول:

ومَلَلْتُ من شِعْرِ الأغارِبِ ما بهِ إلا مهانةُ جائعٍ يَتَقَرَّبُ [36]

طَبْلٌ أَدُقُّ بهِ وما في رَجْعِهِ شَيْءٌ سوَى أَنِّي أَصيحُ وأَصْخَبُ

هنا يستهزئ المجذوب بالتقليديين ويثور على الشعر الذي يتكفف الناس، لنيل أربٍ، أو دفع مسغبة، أو تزلف عظيم، فيمتلئ بعبارات ميتة لا جديد فيها، وهذا وجه من تمرده على الأنماط القديمة للشعر.

وبـدأت شـعري بالهجـاءِ وفاتنـي غـزلٌ بكاذبـة المطالـعُ تعْـذُب [37]
كُتُبـي تنـام عـلى الرُّفُـوفِ جُلُودُهـا عرَبِيـةٌ وبهـا القديـم الأجـرَب
السـوقُ يَـوْم السـبتِ فأسـع لبيعِهـا وَصَدِيْقُـك الحـذَّاءُ فيهـا يرغـب

في خاتمة قصيدته "الشرير المتعلم»، قرر أنَّه قد نحَّى الغزل الكاذب عن مطلعها رغم أن الابتداء بالغزل تعذب به القصائد، خلاف ما كانت تفعل العرب فافتتحها بالهجاء مخالفاً تلك السنَّة، ثم انثنى على كتبه العربية القديمة، قرَّر بيعها بأباخس الأثمان، ومن ذا يبخسها أكثر من الاسكافي، كناية عن افتقارها للإفادة، هي ثورته على القديم إذن. وقد نوَّع في القوافي واتخذ بحوراً حديثة كما كتب شعر التفعيلة وكتب قصيدة النثر ويعد أفضل مثال لها قصيدته «الزعيم»[38]

موقفه من الوقوف على الأطلال:

الوقوف على الأطلال نهج الأقدمين، وقد تُرك عهد العباسيين [39]، إذن الوقوف عليها في ذاته قد وقع تجاوزه في عصور اللغة الزاهرة عند فحول شعراء تلك العهود التي مثلت مرجعيةً لشعراء الإحياء، لكن هذا الموقف لم ينعدم عنده، رغم قلته، فلم يرتقِ ليبلغ مبلغ السنة عند المجذوب، فقد وقف على الأطلال في قصيدته «ذكرى» يقول:

لمـن طلـلٌ وقفـتُ عليـه صُبحـاً يُذكـره الحُـداءُ هـوىً قديمـا [40]

فرغم أنَّ هذا البيت لم يأتِ مطلعاً لهذه القصيدة، فقد أتى بعد سبعة أبيات، لكنه وقف فيه على الأطلال مع ذلك، ثم اعتذر عن ترك الوقوف على الأطلال في مفتتح قصيدته «خواطر عربية» التي أُلقيت في مهرجان شوقي وحافظ، يقول

لـو لا أسـاي بـدأتُ بالغـزل كالعهـدِ مـن شـعرائِنا الأُوَلِ [41]

فقد منعه الأسى من الابتداء بالوقوف على المقدمة الطلية، إذن هو مؤمنٌ بها مريدٌ لها، لكنه يتحاشاها وجلاً من نقد أو لوم، فقد كانت حراب النقَّادة مشرعة زمانه على مترسمي خطى التراث، وقد عانى منها العباسي وأصحاب مدرسة الإحياء ما عانوا.

إذن يمكن أن نقول إنَّ شعر المجذوب لم يخل من المقدمات الطلية بالمرَّة، بل جاءت فيه تلك المقدمات على قلَّتها، وجاءت بعض أبياته تحسر فيها على عدم استطاعته الابتداء بالغزل؛ كأنما يعتذر من ترك تلك السنة، وبهذا نلمح شيئاً من تقليديته من هذه الخصاصة.

اغترافه من الإفرقانية:

ومن تمرده على المثال المحتذى في الشعر وتجديده أنَّه اطَّرق مجاهل إفريقيا في شعره، وأفرد لها مساحة واسعة، فقد كان الاتجاه الغالب هو تجاهل العناصر الإفريقية أو إنكارها وتضخيم العناصر العربية[42]، ولم يكن طرقه للجانب الإفريقي طرقاً عابراً، إنَّما تمثل الروح الإفريقية في شعره، وتماهى مع الأُنموذج الإفريقي، وتمثل معياره الجمالي، وأسلوب حياته المتعاكسة مع الأنموذج العربي، وصوره وأخيلته، بل تنكر لثقافته ولسانه وقومه وتبنى ذاك الأنموذج مما يعني أنَّه تجانب السمت العربي، وهذا مظهر من مظاهر تجديده شاخص، ومن استلهامه لحياة الثقافة الإفريقية بما شمل ذلك تقاليدها ومعتقداتها، وحديثه هنا عن معتقد من أهم معتقداتهم الا وهو الكجور والقتل الطقسي ، يقول:

غبطتُ العرايا أطرقوا تحت وابلٍ ... خُشوعاً لآيات (الكُجُور) لهم سردُ [43]
يصيدُ لهم من كل أفقٍ سحابةً ... وإنْ شاء لم يطمرهم وله المجدُ
وما عبدوا عقلاً ظلوماً وإنما ... هو القلبُ في أهوائه الحلُّ والعقدُ
ويُدفنُ شيخُ الحيِّ حياً وسرَّه ... بنُوه لهم فخرٌ بما أجملوا عِدُّ
لدى حجرةٍ في الأرضِ والموتُ صاحبٌ ... يُعاقره الخمرَ المريسةَ واللحدُّ
ومن فوقِه طبلٌ صخوبٌ ورقصةٌ ... تطوفُ به منها التحيةُ والودُّ

وله غير ذلك كثير أنما اكتفينا بهذا المثال.

ما بين رصانة الفصحى ولطافة العامية

لغة الشعر بين الفصيح والملحون عُدتْ لدى العرب خروجاً عن قواعد مدرسة عمود الشعر[44]، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته استخدام العامة من الناس لفن شعري وظفت فيه العامية على حساب الفصحى، يقول « لما شاع فنُّ التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أنْ يلتزموا فيها إعراباً، واستحدثوا فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة»[45]، هنا يؤرخ ابن خلدون لدخول العامية في الشعر الفصيح، لكن علماء اللغة والأدب يمنعون استخدام الألفاظ العامية في الشعر والأدب من مدرسة عمود الشعر.

لذا يأتي إدخال المجذوب للعامية من باب التمرد على نهج عمود الشعر، وهذا منحىً شاخص في شعر المجذوب وفّق فيه أيما توفيق، وصار عليه علامة، وله فيه فلسفة بسطها في المقدمة التي كتبها في ديوان «ألحان وأشجان» للشاعر محمد محمد علي حين يدافع عن إقحام حمزة الملك طمبل ألفاظاً سودانية في شعره، يقول « ولكن حمزة عبر عن نفسه بألفاظه، وبلغ من شجاعته وصدقه أنَّه أدخل الفاظاً دارجة في شعره حرصاً على لغة التعبير»[46]، وهذا سماه عبد المنعم أبو إدريس بكلمة «سؤال» حين قال» أنا اعتقد أنَّ محمد المهدي المجذوب أحد الذين عبروا عن سؤال في شعرهم، وذلك يتجسد في التعبيرات السودانية مثل واجترع المريسة لأنَّ عبارة اجترع هذه لن نجدها في أي لغة غير السودانية وفي مجال التعبير العامي قلَّما نجد له قصيدة خالية من التعبيرات والمصطلحات السودانية»[47]، ورغم اختلافنا مع عبد المنعم أبو إدريس في نفيه كلمة (اجترع) عن العربية، حيث أنَّها جاءت تصاريفها في القرآن الكريم[48]، كما تفيض بها كتب اللغة والمعاجم العربية فلا سبيل إلى التشكيك فيها عروبتها[49]، إلا أنَّنا نوافقه في المعنى العام الذي أسماه (سؤال)، وفي شحن قصائد المجذوب بالتعابير السودانية.

ومن أمثلة إدخال العامية في شعره قوله

وأتتْ من "دُوكتها" تَسْعَى ... تسأله: ماذا يا رجلُ [50]

وقوله:

نقيق الدلاليك[٥٢]تحت المساء ... تضاربَ مُستعراً واشتجر [51]
يُوشْوِشُ مُتكئاً دُلّقٌ ... عليه جلال النُّهى والخَطَرْ

ونجد هناك مصالحة بين العامية والعربية ساهمت في تنقية لغة الشعر من الوعورة اللفظية»[53] والملاحظ أن عامياته تندمج في النص الشعري اندماجاً كلياً بحيث نحتار إذا حذفناها ماذا نصنع بدلاً عنها، ومؤيدو العامية يرون أنَّها تعزز الاستجابة للنص الشعري، ونجد مفكرين وشعراء عرب كباراً يقفون وراء تحبيذ تطعيم اللغة العربية الشعرية بالدارجة مثل الشاعر سعيد عقل، وقد انفتح مجال اللغة العامية أخيراً عند الشعراء المحدثين ممن يكتبون قصيدة التفعيلة

تمرده على المعاني:

يقول حسن أبشر الطيب « فجَّر في الكلمة من المعاني ما أعانه على خلق تشبيهات بكرة، وصور مشرقة، وتراكيب مكثفة، كان نتاجها أنْ خلص إلى معجم شعري متميز يرفض تحنيط الكلمات في معانٍ تقيدها وتحدُّ من انطلاقها، وقد ألفنا عند كثير من الشعراء أنَّهم يجعلون من الصباح مرادفاً للخير والبشر والأمل، ويخافون الليل، بل يجعلون منه مرادفاً للمجهول الذي يتأبط النكبات، والقضية عندهم لم تتعد قضية الأبيض والأسود ولكليهما من المقررات المحنطة ما يفلُّ أيَّ محاولة للخروج عن المألوف، محمد المهدي يرفض هذا وينأى عنه، فيجد في الليل اللحظة المحببة التي ينشدها والتي تصقل أحلامه، ويتحدى الصباح بأنَّه ليس بقادرٍ على محو ما أينع الليل»[54] وقد آثرنا أن نثبت كل كلام حسن أبشر لأهميته وقد أتى بهذين البيتين تدليلاً على رأيه:

يُـزَوِّرُ الليـلُ أوهامـي ويصقلُهـا مِثـل الكواكـبِ مِـنْ صَفْـوٍ وإشراقِ[55]
ليـسَ الصبـاحُ بمـاحٍ في تَدَفُّقِـه مـا أينـعَ الليـلُ مِـنْ حُسْـنٍ وأَنْمـاقِ

بل إنه يخشى الصباح ويخشاه من أنْ يسوق إليه فجيعة، يقول:

مـا لِهَـذَا الصبـاحِ تَحْـذَرُهُ النَّفْـسُ وَتَخْشَـاهُ مُبْكِـراتُ العُيُـونِ[56]
مَـا لِهـذَا الصبـاحِ أَثْقَـلَ إحْسَـاسي وَرَدَّ الـيراعَ فيـه يَمِينـي
مَرِضَـتْ شمسُـهُ وَقَـصَّرَ مَسـعاهُ وَحَـارَتْ طُيُـورُه في الكـونِ

لكن هناك من الشعراء من سار أو سبق في هذا المنحى، فهذه نازك الملائكة تعشق الليل، فهو صدى وحيها ورؤياها التي تتمنى، تقول:

إيهِ يا عاشقةَ الليلِ ووادِيهِ الأغنِّ[57]
هـو ذا الليـلُ صـدى وحـيٍّ ورؤيـا متمنـي
تضحـكُ الدنيـا ومـا أنـتِ سـوى آهـةِ حـزنِ
فخـذي العـودَ عـن العشـبِ وضميـه وغنِّـي
وصفـي مـا في السـماءِ الحلـوِ مـن سـحرٍ وفـنِّ

ومن صور تجديده في المعاني وصفه للنهود بالدوم يقول:

عَدَلـتْ هدْمهـا وألمـحُ كالـدَّومِ[58] حِقَاقـاً جَهِلْـن معنـى التوقِّـي[59]

فقد خرج عن الوصف العربي الذي أَلِف وصف النهود بحُقَّ العاج وبالرمان، يقول عمرو بن كلثوم:

وثَدْيـاً مِثْـلَ حُـقِّ العَـاجِ رَخْصـاً حَصَانـاً مِـنْ أُكُـفِّ اللاَمِسِـيْنَا[60]

ويقول بشار:

وقـوامٌ يعْلُـو القـوام ونحْـرٌ طَـاب رُمَّانُـهُ عليْـهِ الأَيـاء[٦١]

وهذا نزوع منه إلى السودانية، فوصف النهود بالرمان لا يؤدي غرضه في مجتمعنا السوداني لندرة الرمان وفي هذا أفلح المجذوب.

تمرده ونزوعه نحو الغواية النزوة والشهوة

برغم نشأة المجذوب في بيئة صوفية محافظة إلا أنَّه أطلق لنفسه العنان في شبابه الباكر، وغرف من رياض الإثم واستاقها فترة من الزمن وكان صريحا في الأمر، وهذا ليس بغريب في تاريخ الأدب العربي حيث يجمع الشاعر بين التهتك في شعره والالتزام، فأبو نواس الماجن نجد له أشعاراً في الالتزام والزهد والحكمة بل كان يتفوق على بعض من عرفوا بالزهد بسبب قوة ملكاته، يقول

ألا كل حـرٍّ هالِـكٍ وابـنُ هالِـكٍ وذو نَسَـبٍ في الهالكـينَ عَريـقِ [62]

إذا امتَحَـنَ الدّنيـا لَبيـبٌ تكَشّـفَتْ لـهُ عَـنْ عَـدوٍّ في ثِيـابِ صَديـق

فكأنما كان يلتقط أنفاسه أثناء مجونه فيفكر في إيمانه ومصيره، وتوارده الأبيات من حين لآخر ينغص بها إلى الناس التعلق بالدنيا الفانية مصوراً ما يرقبهم من موت، قاضياً عليهم ليلاً أو نهاراً، كما قضى على آبائهم، وكأنما النسب الذي يجمع بين الآباء والأبناء، ليس ما منحوه لهم من الوجود المشترك الذي تلقوه عنهم، وإنما ما منحوه لهم من الموت والهلاك الذي ينشب فيهم جميعاً أظفاره.

وهبـت شـبابي للغاويـات جهـرة ولم أُخـف عـن ربي كـؤوس ومـوردي[63]

هذا إعلان صريح لتمرده وجريه وراء المجون والغواية بعلانية دون خوف من أي كائن كان، بل حتى من ربه.

يرسم في قصيدة «خرائب الليل» صوراً من نزواته ومغامراته الليلية مع بائعات الهوى، فقد قادته خطاه إلى دار إحداهن ليجد غيره أيضاً قد سبقت به شهوته، لقد كانت صاحبته في غاية التبذل والصفاقة والعِذار، فهي في شغل عنه وعن تأوهاته بأساورها وغفلاتها وهو ينزو عليها، كأنما كان يواقع صورةً جامدةً لا حياة فيها، فلا تثقب آهاته آذانها، بل كانت تَعِبُّ من كؤوس الخمر وهي مستلقية تحته كالجثَّة، لعلَّ لذة الخمر أثيرة لديها أشدُّ من الوطء

صافيـتُ بائعـةَ الأسى تسـطو عـلى روحـي ومـالي [64]

كاشـــــــــــفتُها فتسـمعتْ لسـوايَ مـن صرعـى الليـالي

الواقفيـــــــــــن ببابِها متلاحمـين عـلى انفصـالِ

تَسْهـــــــــــو وتَشْـغلُها أسـا وِرُهـا المضيئـةُ لا ابتهـالي

أأبيـتُ أرمـــــــــــقُ صـورةً صـــــــــــماءَ قاسيةَ الجمالِ

تُصغـي ولا تُصغـي وتجـترعُ الكـــــــــــؤوسَ ولا تبـالي

والمشهور هو التغزل في مثل هذه المواقف، وتسمية المرأة بالحبيبة، وتجاوبها بل وشدة شبقها في المواقعة لا كما وصف.

يقول في قصيدة أخرى إنَّ حسن تلك المرأة قشرة، وجسمها هزال؛ لكن الليل والسكرة قد زيناها له:

سرى النـومُ عنهـا حُسْـنَها فهـو قِـشرةٌ نَفَـتْ صِبْغَهـا مِـنْ فِتْنـةٍ ودلالِ [65]
لقـد بهرتنـي أولَ الليـل زهـرةٌ فيـا قُبْـحَ مـا زوَّرتُـه بِخَيـالي
جـلا الصبـحُ مـا أخفـاه ليـلي وسَـكْرَتي ومـا سَـتَرتْ مـن قِلـةٍ وهُـزالِ
فيـا صبـحُ مـا أقسـاك تُفـشي ولا تَـرَى فَرِفْقـاً بحـال المُومِسـات وحَـالي

فشاعرنا لا يتورع من قصِّ مغامراته التعيسة، ولا يتورع من إظهار صاحبته في صورة قبيحة قاتمة، ولا من اتخاذ كلمة «مومس» يطلقها عليها، فقد أُثِر أنَّ أكثر الشعراء جراءة لا يجرؤ على هذا المسلك، بل يواري بكلمة «حبيب» ويتمدح صاحبته.

يحكي المجذوب عن سراه في إحدى لياليه الآثمة إلى منزل إحدى المومسات، يقول:

قلـتُ أسْري، فأقْتُـلُ الهـمَّ في صَـدري قَتْـلاً بـكل خمـرٍ زعـاقِ [66]
بـين خـوفٍ مـن العواقـب سـوداءَ وشـوقٍ إلى هبـاتِ العنـاقِ
وَحَـدانِي لذائـذٌ مـلأتْ جِسْـمي دِفئـاً وأرْهَفَـتْ مـن مذاقـي

ثم يكل كل الأمر إلى شهواته التي ساقته في تلك الليلة المطيرة وهو محروسا بنشوة الخمر

لا أرى إنمـا تـرى شـهواتي العميـاءُ خـدْراً منـوراً في خيـالي

ثم يبدأ في وصفٍ فيه حسية مفرطة، وقد غير في روي الأبيات

لا أُبـالي بمـا يكـونُ فـلي شُـغْلٌ بجسـمي يَغُـوْصُ حينـاً ويَطْفُـو
وذِرَاعـينِ حَـوْلَ عُنْقِـي تَشُـدَّانِ فأصْحُـو عـلى ذهـولٍ وأغْفُـو
وفَـمٍ في فَمِـي يَلِـجُ رضيعـاً لَيْـسَ يـدري بـأي ثـديٍ يَـرِفُ

هذا يذكرنا بدوقلة المنبجي في بيتمه حيث أنشأ وصفا للمواقعة فقال:

ولهـا هـنٌ رابٍ مجسـته ضيـقٌ مسـالكهُ بـه وقـدُ [67]
وإذا طعنـتَ طعنـتَ في لبـدٍ وإذا نزعـتَ يـكادُ ينسـدُّ

في قصيدته (غمائم الطلح) نجده صريحاً أيضاً في وصف الملذات بحسية بلغت حد الإفحاش، يقول هدارة» إنه يبلغ في صراحته حداً يذكرنا بمجان العصر العباسي «[68] يقول المجذوب:

يـا دِفْءَ (شيءٍ) إذا مـا الليـلُ أرْعَشَـهُ بَـرْدُ الشِّـتَاءِ كَفَـانِي السُّـهْدَ مَقْـرُوْرَا [69]
كالطِّفْـلِ أفْلَـتَ ثَدْيَـاً ثُـمَّ رَنَّحَـه أمـنُ الطفولـة تَنْوِيمـاً وَتَخْدِيـرَا
وقمـتُ أَحْفِـزَه حينـاً وأُوْقِظَـه حتـى تَنَبَّـه ظَامـي الفُـوهِ مَفْغُـورا
أَمْسَـيْتُ أُرْضِعَهـا المَحْـضَ الصَّفـيَّ دَمـي حتـى انثنيـتُ رضيـض الجِسْـمِ مبهُـورا

ويصر على أن اللذة التي يدعيها في شعره حقيقية لا متخيلة يقول:

ولسـتُ أدْري سِـوى اللذائـذِ بالحـ ـسِّ وهـلْ غيرُهـا تَصِـحُّ قِسَـم [70]

في قصيدته انطلاق نجد تطلُّعه للحرية واغتراف كل ما يرغب فيه من شهوة بغير وازع، ثورة تجتاح كل شيء فيثور على الحياة الحضرية ويهرب إلى الفطرة.

فيـا ليـلَ الجنـوبِ وأَنْـتَ حـانٍ خرائـدُه اللذائـذُ لا النُّجـومُ [71]

نَسـيتُ بِـكَ العواصـمَ قاسـياتٍ وفي حاناتِهـا رَخَـمٌ وبـومُ
أُنـاسٌ في الثيـابِ لهـم رِيـاءٌ وكلٌ في صغائِرهـا (زعيـم)
وأجـترعُ المريسـةَ في الحَـوَاني وأَهْـذَرُ لا أُلامُ ولا ألـومُ
وأُصْرَعُ في الطريـق وفي عيـوني ضبـابُ السُّـكْرِ والطـربُ الغَشُـوم

وقد أكثر المجذوب في أشعاره بعامة من ذكر الخمر؛ مما دعا عبده بدوي يزعم أنَّ هذا الإكثار يدعم الاتجاه العدمي[72] عنده، وقوله هذا ليس بشيء، إذ أنَّ المجذوب لم ترسخ له قدم في مذهب بعينه، فكان يتجول بين المذاهب، ويتقلب بين الفلسفات كما رأينا، أما العدمية فمذهب واضح المعالم، له أصول وحدود، ويرى بدوي أنَّ المجذوب لم ينجح في الانسحاب ليرى قدراً أكبر وأعمق في الكون وفي النفس؛ لأنَّه فضل شرب المريسة الرخيصة بلا طقوس جمالية، وأنَّ الأكثرية فضَّلت أنْ تجترع الحباب الذي يسقسق في الأفواه كالطير، وفضَّل المجذوب شرب الخمور الرخيصة حينما قال واجترع المريسة[73]، وأقول إنَّ المجذوب لم تكن لتحتجب عليه تلك الأنواع من الخمور، فقد قارف البيئة الإنجليزية وعرف دخائلها، لكنَّه آثر عليها حياة البساطة التي تعشقها، بل إنَّه آثر حياة القرية على مدينته الخرطوم ولعن الحواضر في أشعاره.

تمرده على العروبة:

النيـلُ مـن غبـشٍ فليـس بأخـضرٍ وتميـلُ باديـةٌ عليـه وتـشربُ [74]
عـربٌ ومـا سـمعوا بسـيرةِ أحمـدٍ وسـألتُ آدم هـل أبُوْهُـم يعـربُ
وقفـوا عـلى وجـهِ الحضـارةِ زاهيـاً وتعـوَّذوا مـن حسـنِها وتهيبـوا
جعلـوا القصـورَ أثافيـاً وأراحهـم طلـلٌ وتسـآلٌ عليـه مخيـب

ينثني سخرية على قومه القابعين على ضفاف النيل-وهم عرب الأرومة- وصرفني عن إرادته للعرب عامة قرينة (النيل) وهو علامة السودان، فينعى عليهم جهلهم تاريخ الرسول (ﷺ) الذي يدَّعون تحدرهم من نسله، ولا أظنُّ أنَّه يرمي إلى السيرة النبوية هنا، فهي محفوظة في موالدهم ومدائحهم، لكنَّه يريد تاريخ العرب بصفة عامة، الذي لا ينفتح إلَّا على من أخذ نفسه على درسه بعلمية، ثم يأتي ليشكِّك في تلك النسبة العربية لقومه، ويوهن من شواهد صدقها بسخرية موجعة، تكمن في سؤاله آدم عليه السلام عنها. ثم ينعتهم بالجلافة التي تفرُّ من وجه الحضارة وتستعيذ، فهي شيطانٌ إذن في اعتقادهم، فمن طباعهم التي يعددُها أحالتهم للأحجار التي تُشاد بها القصور أثافياً يضعون عليها قدورهم وجفانهم، لكنهم يُقدِّسون الأطلال والخرائب، فيقفون عليها، ويسألونها، كدأبهم في أشعارهم، والبيتان الأخيران يصحان قولاً في عامة العرب، إذ هي من صفاتهم على رأي ابن خلدون [75].

وسلاسِـلُ الأنَسْـابِ حَـوْلَ رِقَابِهـمْ تُـرْوَى كـما يُـرْوى القصيـد وتُكْتَـب
دَقُّـوا شِـفَاه بناتِهـم لم يَشْـفِهِم وَسْـمُ الشُّـلُوخ ولا الخِفـاضُ المُرعـب
أَأَلْوُمُهـم وألِفْـتُ بـين رُبُوعِهـم قَيْـدِي ونفـسي بَيْنَهُـم تَتَغَـرَّب

يعود المجذوب لذكر سلاسل أنسابهم نقداً واستهزاءً وسخرية، فهي عنده مصطنعة يتخذونها كالقلائد تتدلى على صدورهم زينةً، أو لعلَّه أراد أنَّها طوقتهم فلا يجدون محيداً من ترسم أعرافها التي تشدهم إلى ثِقَل الماضي.

ثم يعدد بعض رسوم قومه، التي تخالف أعراف العرب-كما يزعم- مثل دقِّ شفاه النساء، ورسم

الشلوخ على خدود النساء زينة وتمييزاً تُعرف به القبيلة، والخفاض تحصيناً للفتاة من الغواية، وقتلاً للرغبة الجامحة أو تقليلاً لها، فهي أعراف سودانية قُحة في زعمه، لكنَّها لم تنهض عند قومه دليلاً على سودانيتهم، ونفي عروبتهم، كيف له أن يلومهم وهو نفسه مقيدٌ بقيود قومه، فلا يبحْ بما ينطلق به قلبه مما خالف قولهم، فهو إذن غريبٌ بينهم.

ابتدر قصيدة «تحية إلى جنوب السودان» بذكر عذارى الجنوب اللائي يسرن عارياتٍ دون ستر من ثوب أو قماش، ثم أنشأ تغنياً بمفاتنهن، ووصفاً لحياة أهل الجنوب الفطرية بالعدل، حتى ينتهي ليقرر كرهه لقومه العرب حين يقول:

سـلامٌ عليكـم عـدتُ للعـرب كَارِهـاً ... ولي وطـنٌ فيهـم ذبيـحٌ مُقَسَّـم [76]

يُرَوِّعُنـي منهـم حبيـبٌ مُقَنَّـعٌ ... حبيـسٌ مُضـاعُ النفـسِ في الكيـس يُختـم

هـم جعلـوا الأعـراضَ مُـوسى وَجِلْـدةً ... وقتـلاً إذا مـا بـاحَ بالنفـسِ أبْكـم

لقد صار كارهاً للعرب وعاداتهم، متمرداً عليها بعد أن تَغَشَّته طلاقة الجنوب وسحر جماله، وعفوية حياتهم، ثم يضمِّن أسباب كرهه؛ فوطنه فيهم ذبيحٌ مقسم، لكن أشدُّ ما أراعه هو صورة المرأة ووضعها فيهم، فهي مكبوتة حبيسة الجدران، حبيسة الثياب التي اشتملتها فلا يبين منها شيء، تعيش في إسار تقاليد بالية ارتهنتها من خفاض فرعوني، فقد جعلوا الختان مدعاة للشرف، وبَكَارة البَكَارة عنواناً للعفة، وجعلوا البوح بالحب جريرة جزاؤها القتل، وهذا تعريض برسوم عرب السودان وعاداتهم.

ويعترف بدمه الإفريقي في قصيدة «فجر كذوب» يقول:

عنـدي مـن الزنـجِ أعـراقٌ معانِـدَةٌ ... وإنْ تشـدقَ في إنشـادي العـربُ [77]

يدَّعي المجذوب هنا نسبةً إفريقية زنجية رغم تشدق العرب بقصيده، وهذا لا يعني تبرؤه من نسبته العربية بالكلية، فهي قائمة مضافٌ عليها نسبة ودم زنجي، وهذه صارت مقبولة الآن، لكنها كانت منكرة في زمان الشاعر لذا يكمن في هذا الإنكار تمرده، وتحقيق القول إنَّ الشاعر هنا يؤكد انتماءه للزنج بسبب، لكن عبد الله علي إبراهيم شكَّك في وعي الشاعر بانتمائه الإفريقي هذا إذ يقول « المجذوب يشبه تحالف الهاربين في يأسه من إصلاح الثقافة العربية الإسلامية، فهو قد خلع عباءة العربية بمحرماتها ونواهيها الكاسية ليصطنع بدائياً نبيلاً في الجنوب يصوب بها ذهنياً علل وآفات تلك الثقافة»[78]، يمكننا قبول أو رفض مقالة عبد الله على إبراهيم هذه، فهي في أفضل استقبالاتنا لها لا تتعدى سوى الزخرف الذي يضاف إلى حقيقة وعي المجذوب بانتمائه الإفريقي ولا تنفيه، فلماذا نحصر وعي المجذوب في هذا السبب الذي اقترحه عبد الله علي إبراهيم هكذا مفتقراً إلى دليل، وسواد بشرة المجذوب وشلوخ وجهه كلها تصيح بحقيقة عرقه الإفريقي أو بعضه، وكيف يصوب المجذوب علل وآفات الثقافة العربية بتنصله منها أو ادعاء النسبة الإفريقية، وكان عبد الله على إبراهيم قد ذكر فيما ذكر ابتغاء هؤلاء -المجذوب وتيار المدرسة الآفروعربية التي وصفها بالهاربين تهويناً من فكرهم- أنهم أرادوا السعي وراء الإباحية المنطلقة في الجنوب يستافونها، وتهمة كهذه لا تجوز في المجذوب، فهو لم يكن هارباً فقد جهر بمغامراته في الشمال قبل الجنوب فلم يكن محوجا إلى تقية أو تقاة، ولم يكن الشمال حينها بريئاً فتكفيك نظرة خاطفة إلى ديوانه لترى ما كان عليه الحال في الشمال.

يقول:

عـربٌ يُقَيِّـدُني لسـاني مُعْربـاً فيهـم ومـا رَحِمَـتْ هـواي نـوارُ [79]
قَتَلـوا الحسـين وطفْلـه وتوضـؤوا بـدمٍ وكـبَّرَ حولـه الكفـار
وبَرئـتَ يـا جـاري وهَمُّـك لقمـةٌ نسـبٌ تتيـه بمجـده الأحجـار

هنا يتقصد العروبة العامة لا عروبة السودان الخاصة، فيقول بعروبته وبرهانه هو لسانه المُعْرِب، وتسيغ لنا العبارة أن نفهم أنَّه عربيٌ لساناً لا دماً، كأنَّه يتحفظ على هذه الدعوى، ولعلَّه اتخذ اسم نَوَار زوج الفرزدق رمزاً لكل نساء العرب، إذ رفضنه، وأَبَيْنَ أنْ يبادلنه حباً بحب، إذن يترجح فرضنا هنا أنَّه يقول بعروبته لساناً وثقافةً لا دماً لذا رفضت نساء العرب حبه، ثم أنشأ يعدد مخازيهم من قتل للحسين سبط الرسول الكريم وطفله، ووضوؤهم بدمه، ثم وصمهم بالكفر، ثم دعا لجاره بالتبرؤ من هذا النسب الخاوي من مجد.

يقول:

فمـن لي بهـذا (الجُـورِ) والعُجْـمُ أهلُـه بِـأَنِيَ منهـم لا خَشَـاةُ ولا قصـدُ [80]
غنـيٌ عـن الدنيـا جميعـاً وإن أكـن فقـيراً فـلا سِـبْدٌ لـديَّ ولا لِبْـدُ
فمـن لي بهـذا (الجُـور) أنـسى بظِلِـه لسـاني ومـا أسـدى شُـيوخي ومـا عـدُّوا
تُـراثي أصـدافٌ وريـشٌ ونخلـةٌ أُعانقُهـا والغـابُ مـن حولنـا يشـدو

يتمرد شاعرنا هنا على أهله ويدعي أنَّه من العجم، لا خشية من شر يتوقاه بهذا الادعاء، ولا رغبة في خير يسترجيه، إنَّما هي إرادة صادقة تنبع من كيانه، وقوله (والعجم أهله) يؤكد به صدق رغبته، لأنَّ هذه المعلومة معروفة بالضرورة، لأنَّه سيستغني بهذه النسبة عن تكاليف الدنيا وإنْ كان معوزاً، وهو على وعيٍ كامل بأنَّه سينسى لغته ومآثر أجداده، ويرث بدلاً عنها هذه الأصداف والأرياش والانطلاق في غابات الجور.

الالتزام بعروبته:

مـال عـن كأسـه وكـفَّ ربابـه وطـوى الصمـتُ وجهَـه والكآبـةْ [81]
ذلـك الصاحـب الجنـوبي صافـاني وأخفـى مُصَلِّبـاتٍ حِرابـه
لم أُغَـيِّر عليـه جلـدي ولا بدَّلـتُ قلبـي أُصولـه وانتسـابه

هنا يعود في قصيدته (من الجنوب) ليؤكد عروبته وصحة انتسابه، وكان الأحرى به في هذا المقام -إنْ كان لا يزال في إنكاره لأصله- أنْ يقول أنا منك مثلاً، لكنَّه قال إنَّه لم يبدل أصوله ونسبته العربية، فهذا ارتداد لأصله الأول والتزام به.

وأنـا الشـاعرُ أهْـلي جَعَـلٌ والمجاذيـبُ مَكاشِـيفُ الغُمَـر [82]
مَعْـشَرٌ يَفْتَخِـرُ اللـهُ بهـم منهـم الراهـبُ مـوسى والنقـرْ
قـل لمـن يسـخرُ مـن أهْـلِ القُـرى ويَـراني بَدَوِيـاً في الحـضر
قَلِّـب التاريـخَ وانظـر نسـبي وتأمـلْ سـيرتي بـين السـير
وأنـا المعتـز بالفصحـى هـدىَ حـين تَعْتـزُ بأصنـاف الخُـضَر
والمكَايـلابُ وشـيخي عَطـوَةٌ نَخلُـه الباسـقُ معسـولُ الـدِّرر

صَبَّحُوا التركَ وباتوا لَيْلَهُمُ في ضياءِ السيفِ يتلون السُور

هذه قصيدة فخر كاسمها، عاد فيها إلى التزامه الأول، بدأ فيها بمدح قبيلته الكبيرة (الجعليون) وتلي مدحاً بعشيرته وفخذه (المجاذيب)، وفخر بمركزهم الديني، وذكر نفراً من ساداتهم، وطرفاً من مقاتلتهم للترك، ثم انثنى تنويهاً بأهل القرى أهله، ففخر بهم على أهل الحضر، وفخر بنسبه فيهم، وسيرة أهله أهل القرآن، ثم فخر عليهم بعروبته وإسلامه فما سواهم لا خلاق لهم، والمجذوب هنا نراه ملتزماً تجاه أهله وعروبته.

الخاتمة:

بعد درس موضوع : تنازع المجذوب بين التمرد والالتزام، في هذه الدراسة ، وبالرغم من أن المجذوب كله متنازع، لكننا حددنا عناصر بعينها لغرض الدراسة وأسقطنا الأخرى كما نوهنا في المقدمة.

لقد وقفنا على تأثير النشأة الأولى في تكوين المجذوب النفسي، فهو من بيت من البيوتات الدينية الكبيرة في السودان التي تربي أبناؤها على نمط محدد وصارم من الالتزام نشأ عليه شاعرنا، وظنَّ أن الدنيا كلها على ما هو عليه، فكانت صدمته الكبرى حينما وفد المدرسة فوجد فيها ما وجد من تخالف وغرابة فتاه فيها، لقد بدأت الاختلافات والتوترات تدبُّ في نفسه، لكنه ظل يقبض شيئاً من نهجه الذي نشأ عليه، ولما حضر الخرطوم درس المدارس العليا فالجامعة، ثم صار أفنديا فعظمت فيه شخصيته الأخرى، صارت داخله شخصيتان متناقضتان، هكذا ظل متأرجحاً بين هاتين الشخصيتين طوال حياته.

تناولت الدراسة أولاً نزوعه للإيمان الذي بدا قوياً ومرتبطاً في الغالب بالجهاد، ثم مرت به مرحلة من الشك والحيرة فنراه يجمع في القصيدة الواحدة بل والبيت الواحد سكينة الإيمان وحدَّة الإنكار، وهكذا ظل في أرق الحيرة والشك وسط صراع نفسي محتدم حتى يبلغ مرحلة الإنكار والتمرد بالكلية على الدين، بل غنى للتمرد في أشعاره وثار على السماء واتهمها بالتجرد من الرحمة ، ويجب أن نقرر هنا وفيما يلي أن حالاته ونزعاته هذه لم نرتبها هنا كمراحل عمرية، إنما هي حالات نفسية تتغشاه على غير ترتيب ناظم.

وفي ناحية الأساليب والمذاهب الشعرية فلم يلتزم مذهباً شعريا معيناً، فظل يكتب على كيفه، فاختلفت آراء النقاد في تصنيفه المدرسي، وظل متردداً بين اتباع المناهج القديمة والحديثة في كتابة الشعر، فلم ينضبط له نص وفق اتجاه معين، فنراه كلاسيكياً إحيائياً ونجده حداثياً يكتب قصيدة النثر، وقد اتخذ قافية الخليل ونوَّع في القوافي، واختلفت مواقفه من الوقوف على الأطلال، فوقف عليها واعتذر عن إهماله الوقوف عليها، وترك الوقوف عليها.

والمظهر الشاخص هو انغماسه في الأفريقانية وتمثله لروحها في شعره، فقد تماهى من الأنموذج الإفريقي ومعياره الجمالي وثقافته، واستظهر عاداته وتقاليده في وقت كان الغالب فيه تجاهل العناصر الإفريقية، والظاهرة الجديرة بالالتفات أيضا استخدامه للكلمات السودانية العامية داخل نصوصه المعروفة برصانتها بل وتباصره أحياناً بالغريب، لقد وفِّق في ذلك إيما توفيق وهذا مظهر من مظاهر تمرده على مدرسة عمود الشعر والإحيائيين، وقد تمرد على المعاني والتشبيهات العربية الراسخة، فابتكر معاني جديدة على خلاف ما كان عليه العرب، بل على نقيض ما كانوا عليه.

تمرد المجذوب على ثقافة قومه وجرى وراء نزواته رغم نشأته الدينية الصارمة وصوَّر في شعره

مغامراته الجنسية واقترافه للمحرمات بجراءة كمظهر من مظاهر تمرده على أخلاق قومه.

ثم إنه تمرد على عروبته وعروبة قومه وسخر منها ورماهم بكل قبيحة، وسخر من أنسابهم وعيرهم بالشلوخ ودق الشفاه وممارسة الخفاض الفرعوني، وصرح بكرهه للعرب وانتقد موقفهم من المرأة ثم اعترف بدمه الإفريقي، ثم يعود ملتزماً بعروبته وصحة نسبته مفتخراً بها وبقومه عارضاً بطولاتهم وتدينهم.

ردت الدراسة أسباب هذا التنازع إلى سببين، سبب نفسي فطري هو أنَّ فطرته ونفسيته التي فطر عليها كانت مؤهلة لتوليد هذه التناقضات لما فطر عليه من ذكاء وشفافية، ثم ما أقامه عليه أهله على نمط من التربية ملتزم ومثالي، فلاقى أنماطاً مختلفة من البشر في مدرسته التي أرسل إليها فكانت صدمته الأولى، ولما وفد الخرطوم ونهل من مدرستها الأميرية ثم الجامعة وانفتح على ثقافات مشتبكة ومتنافرة زادت دهشته، وزاد من وقعها عليه نفسيته الشفيفة الصادقة فصار متقلباً لا يهدأ له قرار، يتذبذب حينا إلى محضنه الأول فيبدو ملتزماً في كل شيء، وتأسفه حيناً ما اعترته من فلسفات تخالف ما نشأ عليه فيصدر عنها.

كان المجذوب يعبر في شعره عن حالاته النفسية ما بين اليقين والحيرة والتمرد، لم يكن عابثاً، بل كان صادقاً في مواقفه المتناقضة التي لا يثبت لها قرار، وكان جريئاً في إعلان مواقفه لا يهتم بتناقضها إنما يهتم بالتعبير عن حالته الآنية، كيفما جاءت بكل جراءة، وكان دائم التقلُّب.

المصادر المراجع:

(1) المجذوب، محمد المهدي حوار: مجلة الثقافة السودانية، مصلحة الثقافة، العدد (1) مج (2)، نوفمبر 1976/ (10).

(2) جماع، فضيلي: قراءة في الأدب السوداني الحديث، ط(ا)، دار جريدة عمان للطباعة والنشر-سلطنة عمان، 1991، ص (88-89).

(3) المجذوب، محمد المهدي: ديوان الشرافة والهجرة، ط (2)، دار الجيل- بيروت، 1982 ص (138-139).

(4) الجهمية أو المعطلة هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، ظهرت في الربع الأول من القرن الثاني الهجري، على يد مؤسسها الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية ويقولون بأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به، والجهمية ينفون الصفات والأسماء عن الله انظر، ابن حزم، علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، د. ط، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، د. ت، ج (4)، ص (15-78-106).

(5) انظر، أبو العز، صدر الدين علي الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة (1)، الناشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر 1418هـ ج (3) ص (41).

(6) ديوان الشرافة والهجرة، ص (52).

(7) المجذوب، محمد المهدي: ديوان نار المجاذيب، دار الجيل-بيروت، الشركة الأهلية-الخرطوم، 1982، ص (222)

(8) الشراة فرقة من الخوارج، يكفرون أصحاب المعاصي في الصغائر والكبائر، ويتبرؤون من عثمان وعلي، ويتولون الشيخين أبا بكر وعمر، وهم لا يستحلون أموال الناس ولا يسبون النساء ولا يخالفون في دين ولا سنة، وهم يقولون العصاة كفار نعمة لا كفار شرك، وواحد الشراة: شاري وقد سموا بذلك لقولهم شرينا أنفسنا في طاعة الله، وبعضهم يجعل الشراة وصفا لكل الخوارج ، انظر، الش هرستاني، أبو الفتح محمد: الملل والنحل، الناشر مؤسسة الحلبي، ص (114)، وانظر، الملطى، أبو الحسن محمد: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط (2) ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، 1977، ج(1) ص (53).

(9) سورة التوبة، آية (111).

(10) ديوان نار المجاذيب، ص (357).

(11) ديوان نار المجاذيب، ص (125).

(12) ديوان الشرافة والهجرة، ص (23).

(13) الحلاج، ديوان الحلاج: جمع لويس ماسينيون، نشر بالمجلة الآسيوية عدد (يناير – مارس) 1931، ط (2) 1955 ص (20).

(14) نار المجاذيب، ص (-281 283).

(15) الشرافة والهجرة، ص (63)

(16) ديوان نار المجاذيب، ص (352).

(17) ديوان الشرافة والهجرة، ص (114).
(18) آيات من القرءان تكتب في لوح وتمحن بالماء ليشربها المريض، انظر عون، قاموس اللهجة العامية، مادة (م، ح، ا)، ص 731.
(19) الشرافة والهجرة، ص (67).
(20) ديوان الشرافة والهجرة، ص (98).
(21) الشرافة والهجرة، ص (67).
(22) ديوان الشرافة والهجرة، ص (98).
(23) ديوان الشرافة والهجرة، ص (146-148).
(24) ديوان نار المجاذيب، ص (329).
(25) ديوان الشرافة والهجرة، ص (9).
(26) انظر د. بدوي، عبده: الشعر في السودان، سلسلة عالم المعرفة (41)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، 1981، ص (173).
(27) انظر، هداره: تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ط (1)، دار الفكر-بيروت، 1972، ص (323)
(28) انظر المرجع السابق، ص (329).
(29) سلام، زغلول، مقال عن المجذوب، جريدة الصحافة، عدد 23/ 3/ 1968.
(30) انظر الشرافة والهجرة، ص (9).
(31) انظر الشرافة والهجرة، ص (9).
(32) ديوان الشرافة والهجرة، ص (10)
(33) انظر، قراءة في الأدب السوداني الحديث، ص (90)
(34) ديوان الشرافة والهجرة، ص (114).
(35) قراءة في الأدب السوداني الحديث، ص (102-103).
(36) ديوان الشرافة والهجرة، ص (40-42).
(37) المرجع السابق، ص (42).
(38) ديوان الشرافة والهجرة، ص (20)
(39) يقول أبو نواس:
(40) صِفَةُ الطّلولِ بلاغَةُ القِدْمِ فاجْعَلْ صفاتِكَ لابنَةِ الكَرْمِ
(41) ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحقيق جعفر عبد الغفور الحديثي ط (1)، نشر هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث- أبو ظبي الأمارات، 2010 ص (140)
(42) يقول أبو نواس:
(43) صِفَةُ الطّلولِ بلاغَةُ القِدْمِ فاجْعَلْ صفاتِكَ لابنَةِ الكَرْمِ
(44) ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحقيق جعفر عبد الغفور الحديثي ط (1)، نشر هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث- أبو ظبي الأمارات، 2010 ص (140)
(45) ديوان نار المجاذيب ص (55).
(46) المرجع السابق، ص (246).

(47) انظر النويهي: محاضرات عن الاتجاهات الشعرية في السودان، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، 1957، ص (47).

(48) ديوان نار المجاذيب ص (348-349).

(49) انظر المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ط (1)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 2003 ص (10-18).

(50) ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي: مقدمة ابن خلدون، الناشر دار القلم سنة النشر 1984، مكان النشر بيروت، ج 2 ص (386).

(51) علي، محمد محمد: ديوان ألحان وأشجان، ط2، الخرطوم دار البلد للطباعة والنشر، ص9

(52) أبو إدريس، عبد المنعم، صحيفة الصحافة، عدد (4202)، تاريخ 5/ 2/ 2005، ص6

(53) قال تعالي: (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)، سورة إبراهيم آية (17)

(54) انظر مادة (ج ر ع) في المعجم الوسيط: تأليف مصطفى، إبراهيم، وآخرون، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، ج (1)، انظر الزبيدي، المرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

(55) ديوان نار المجاذيب، ص (-30 40).

(56) الدلاليك ج دلوكة: وهي نوع من أنواع الطبول.

(57) ديوان الشرافة والهجرة، ص (14).

(58) انظر، صديق، عبد الهادي: أصول الشعر السوداني، ط (2)، دار البلد- الخرطوم1989، ص (73) - الملائكة، نازك: ديوان نازك الملائكة، المجلد الأول، دار العودة-بيروت1997، ص (547-548)

(59) - ثمار الدوم تُجنى من شجر شبيه بالنخل إلا أن لها فروعاً يحمل كل فرع منها قنواً كقنو النخلة، وثماره شبيهة بالرمان، لكنها جافة، وتبطنها بذرة ضخمة يحيط بها اللب الذي يمثل طبقة خفيفة، انظر، حمد النيل محمد الحسن: السودانية في الشعر والنقد، ط (1)، مطبعة جامعة الخرطوم،2018، ص (102).

(60) - ديوان الشرافة والهجرة، ص (111).

(61) - كلثوم، عمرو: ديوان عمرو بن كلثوم: تحقيق إميل بديع يعقوب، ط(1)، دار الكتاب العربي- بيروت، 1991، ص (68) .

(62) (58) -برد، بشار: ديوان بشار بن برد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة 1950، ج (1)، ص (118)

(63) أبو نواس، الحسن ابن هاني: ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، ط (1)، هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث، 2010، ص (714)

(64) ديوان نار المجاذيب، ص (363).

(65) الشرافة والهجرة، ص (61).

(66) ديوان نار المجاذيب، ص (199).

(67) المرجع السابق، ص (392-393).

(68) اختلفت المراجع في نسبتها، فمنها من نسبتها إلى علي بن جبلة، انظر ديوان علي بن جبلة العكوك، تحقيق زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة-العراق 1971 ص (98)، ومنها ما نسبته لأبي الشيص، انظر

أشعار أبي الشيص الخزاعي، تحقيق عبد الله الجبوري، ساعدت وزارة التربية على نشره-بغداد، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ص (46) ومنها من نسبتها إلى دوقلة المنبجي، انظر الأسدي، كريم مرزة يتيمة الدهر الدعية، دوقلة المنبجي، صحيفة اللغة العربية تصدر برعاية المجلس الدولي للغة العربية، الاثنين 5/ 10/ 2020.

(69) نار المجاذيب، ص (353).

(70) المرجع السابق، ص (-20)

(71) العدمية هي رفض جميع المبادئ الدينية والأخلاقية، والاعتقاد بأن الحياة لا معنى لها. يهدف هذا الموقف الفلسفي إلى أن العالم كله بما في ذلك وجود الإنسان، عديم القيمة وخال من أي مضمون أو معنى حقيقي، وحسب هذا المذهب ينحصر الأديب العدمي في تذكير الإنسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالاً عدمياً، وبذلك ينضج فكر الإنسان نضجاً يرفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم إلى مرتبة الأديب المدرك له، والذي يلغي الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، فالعدم هو الوجه الآخر للوجود.، انظر أستاذة ألياس، نانسي هيوستن: النزعة العدمية في الأدب الأوربي، ترجمة وليد السويركي، ط (1) هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث-الامارات، 2010، ص 17 وما بعدها.

(72) انظر وصف ابن خلدون للعرب وقد ضمن بعضه المجذوب في الأبيات، مقدمة بن خلدون. ص(149).

(73) ديوان الشرافة والهجرة، ص (126-128).

(74) نار المجاذيب ص (222).

(75) عبد الله علي إبراهيم، الافروعربية أو تحالف الهاربين، مجلة المستقبل العربي، المجلد الخامس، العدد الثاني 1987.

(76) ديوان الشرافة والهجرة، ص (148)

(77) ديوان نار المجاذيب، ص (351).

(78) ديوان الشرافة والهجرة، ص (131-132)

(79) المرجع السابق، ص (178-179)

ثانياً الصحف والمجلات

(80) أبو إدريس، عبد المنعم، مقال صحيفة الصحافة: عبد المنعم أبو إدريس، عدد (4202)، تاريخ 5/ 2/ 2005.

(81) الأسدي، كريم مرزة، يتيمة الدهر الدعية، دوقلة المناجي، صحيفة اللغة العربية تصدر برعاية المجلس الدولي للغة العربية، الاثنين 5/ 10/ 2020.

(82) سلام، زغلول، مقال، صحيفة الصحافة، نشر بتاريخ 23/ 3/ 1968.

(83) ماسيون، لويس: ديوان الحلاج: نشر بالمجلة الآسيوية عدد (يناير – مارس) 1931، ط (2) 1955

(84) المجذوب، محمد المهدي، حوار، مجلة الثقافة السودانية، مصلحة الثقافة، المجلد1، العدد (1)، نوفمبر 1976.

(85) إبراهيم، عبد الله علي، الافروعربية أو تحالف الهاربين، مجلة المستقبل العربي، المجلد الخامس، العدد الثاني 1987.

استخدام تقنيات المعلومات في تعليم علوم المكتبات والمعلومات
دراسة تطبيقية على قسم المكتبات والمعلومات بجامعة النيلين

د.شذى حمد الله محجوب حمد الله
أستاذ مساعد بقسم المكتبات والمعلومات-
جامعة النيلين وجامعة أم درمان الأهلية - السودان

المستخلص

مرّ استخدام تقنيات المعلومات في العملية التعليمية بتطورات متباينة، وكان لهذا الاستخدام أثر واضح في مجال تعليم المكتبات والمعلومات، لأنه طريقة فعالة تساعد على حل الكثير من المشكلات التعليمية وتحقيق أهداف العملية التعليمية بمواكبة النظرة التربوية الحديثة التي تعد المتعلم محور العملية التعليمية وتسعى إلى تنميته. حيث أرادت الباحثة التعرف على واقع استخدام تقنيات المعلومات في تعليم علوم المكتبات والمعلومات بقسم المكتبات والمعلومات بجامعة النيلين، ومدى توفير التدريب التقني، والصعوبات التي تواجه ذلك.استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في عرض موضوع استخدام تقنية المعلومات بجميع أنواعها وتطوراتها في تعليم المكتبات والمعلومات. من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي أن هناك استخدام مرتفع لأهم تقنيات المعلومات، وأكثرها أهمية للاستخدام في تعليم علوم المكتبات والمعلومات هي شبكة الإنترنت، ويليها في الترتيب البريد الإلكتروني، ثم استخدام الأقراص المدمجة، ثم التعليم بواسطة الحاسوب ثم نظام نقل الملفات، أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام تقنية المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات ومدى توفير التدريب التقني اللازم للطلاب والطالبات. ومن المعوقات قلة الأجهزة وعدم تجهيز المعامل بالصورة المطلوبة. أوصت الباحثة بضرورة التخطيط لاستخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات بشكل منهجي منتظم، وأهمية إعداد قاعدة بيانات لذلك لتسهل عملية تحديد الاحتياجات الخاصة بطلاب القسم، والتخطيط لخدمات نظم المعلومات والتوزيع الأمثل للإمكانات والموارد الخاصة بتقنيات ونظم المعلومات. ولتتبنى استراتيجية تعليمية معتمدة على التقنيات الحديثة، يجب زيادة التنسيق والتعاون بين الإدارة والقسم لتأهيل الشبكة والمعامل وأدوات تقنيات المعلومات .

Abstract:

The use of information technologies in the educational process has gone through different developments, and this use has had a clear impact in the field of library education and information, because it is an effective method that helps to solve many educational problems and achieve the objectives of the educational process by

keeping pace with the modern educational outlook that the learner is the focus of the educational process and seeks to develop it. The researcher wanted to learn about the reality of the use of information technologies in the education of library science and information in the Department of Libraries and Information at The University of AL Neelain, and the extent of providing technical training, and the difficulties facing it.The researcher used the descriptive analytical approach to present the use of information technology of all kinds and its developments in library and information education. One of the most important findings of the study is that there is a high use of the most important information technologies, the most important for use in the education of library science and information is the Internet, followed in the order of e-mail, then the use of CDs, then computer education and then the file transfer system, also the absence of statistically significant differences between the use of information technology in library education and information and the extent to which technical training is provided to students. One of the obstacles is the lack of equipment and the failure to equip the factories with the required image.The researcher recommended the need to plan the use of information technologies in the education of libraries and information systematically, and the importance of preparing a database for this to facilitate the process of identifying the needs of section students, planning information systems services and optimal distribution of capabilities and resources for information technologies and systems. In order to adopt an educational strategy based on modern technologies, there must be increased coordination and cooperation between management and department for network rehabilitation, laboratories and IT tools.

تمهيد:

شهد استخدام تقنيات المعلومات في العملية التعليمية تطور واسع، وأثر هذا الاستخدام في مجال تعليم المكتبات والمعلومات بتوفير وسائل تعليم تفاعلية، حيث أن استخدام تقنيات المعلومات في التعليم بطريقة فعالة، يساعد على حل الكثير من المشكلات التعليمية ويساعد على مواكبة النظرة

التربوية الحديثة التي تعتبر المتعلم محور العملية التعليمية وتسعى إلى تنميته من مختلف الجوانب لتحقيق أهداف العملية التعليمية.

مشكلة الدراسة :

رأت الباحثة أن تتعرف على واقع استخدام تقنيات المعلومات في تعليم علوم المكتبات والمعلومات بقسم المكتبات والمعلومات بجامعة النيلين والإجابة على التساؤلات الآتية:

1. ما هو واقع استخدام تقنيات المعلومات في التعليم بقسم المكتبات والمعلومات؟
2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام تقنيات المعلومات في مجال تعليم علوم المكتبات والمعلومات وتوفير التدريب التقني اللازم للطلاب والطالبات؟
3. هل هناك علاقة ارتباطية بين استخدام تقنيات المعلومات في تعليم علوم المكتبات والمعلومات وإدراك الإدارة لاستخدام تقنيات المعلومات في التعليم.
4. ماهي الصعوبات التي تواجه استخدام تقنيات المعلومات في تعليم علوم المكتبات والمعلومات بالقسم؟

أهداف الدراسة:

1- التعرف على واقع استخدام طلاب المكتبات والمعلومات لتقنيات المعلومات.

2- معرفة أهمية التدريب التقني اللازم لطلاب المكتبات والمعلومات.

3- تسليط الضوء على مدى اهتمام الإدارة بتوفير تقنيات المعلومات لقسم المكتبات والمعلومات.

4- معرفة الصعوبات التي تواجه استخدام تقنيات المعلومات في تعليم علوم المكتبات والمعلومات.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة على عرض موضوع استخدام تقنية المعلومات بجميع أنواعها وتطوراتها في تعليم المكتبات والمعلومات، بغرض تحقيق الأهداف التعليمية، وتطوير أساليب وأدوات التعليم وبالتالي التأهيل الأمثل لطلاب قسم المكتبات والمعلومات بجامعة النيلين.

الكلمات المفتاحية :

- تقنيات المعلومات
- التعليم الإلكتروني
- تعليم علوم المكتبات والمعلومات

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي بما يتوافق مع متطلبات الدراسة.

أدوات جمع البيانات :

تمثلت أدوات جمع البيانات في الانتاج الفكري المنشور في الجزء النظري للدراسة وجمع البيانات بأسئلة المقابلة والملاحظة المباشرة والاستبيان في الجزء التطبيقي للدراسة.

مجتمع البحث :

طلاب قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب - جامعة النيلين للعام الدراسي 2017- 2018م

عينة الدراسة:

بعد الحصول على بيانات إحصائية عن العدد الكلي لمجتمع الدراسة المكون من حوالي 420 طالب وطالبة، وزعت الباحثة عدد (300) استبانة على عينة عشوائية من طلاب قسم المكتبات والمعلومات. إلا أن ما تم إخضاعه للدراسة هو عدد 255 استبانة بنسبة (60.7%) من العدد الكلي لمجتمع الدراسة.

أدوات تحليل البيانات

تم استخدام بعض الأساليب الإحصائية الوصفية والمتوسط المرجح، وبعض أساليب الاستدلال الإحصائي متمثلة في اختبار (ANOVA) لقياس التباين، واختبار (مربع كاي) لجودة المطابقة، ومعامل ارتباط (ألفا كرونباخ).

الدراسات السابقة:

1- جاسم محمد جرجيس. أضواء على برامج تدريس علوم المكتبات والمعلومات في الوطن العربي مع إشارة خاصة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة. - cybrarians journal . - ع 12 (مارس 2007) . - 2018/3/12 . - متاح في -http://www.journal.cybrarians.org/index.php?option=com_content&view=article&id=391:2009 Itemid=55&49-01-10-20-05-catid=163:2009&01-29-09-20-07

تناولت هذه الدراسة برامج تدريس علوم المكتبات والمعلومات في الوطن العربي مع إشارة خاصة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، ودراسة التطورات العلمية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في البلاد والعالم ومواكبة متطلبات العصر في إعداد كوادر مهنية للعمل في المكتبات ومراكز المعلومات المتعددة، لتتولى فيها أعمال التنظيم وإدارة الإنتاج الفكري وتقديمه للمستفيدين بالشكل والنوع والكم اللازم لتحقيق الإفادة القصوى من خدمات دقيقة وسريعة للمعلومات و توصلت الدراسة لعدم وجود برامج لتدريس المكتبات والمعلومات في الإمارات، يصبح دور المكتبات والمعلومات في تنمية البلاد مفقوداً تماماً. وهنا تظهر ضرورة استحداث مثل هذه الدراسات. وهنالك عوامل كثيرة تستدعي الاهتمام بالقوى العاملة في المكتبات وإعدادها الإعداد الأكاديمي الذي يزودهم بالمهارات والمعرفة للقيام بعملهم بطرق عملية مقننة، مع وضع اعتبار خاص للعوامل التالية:

- الاهتمام بالتعليم عامة وبالتعليم العالي خاصة والبحث العلمي بما يسهل تحويل المجتمع الإماراتي إلى مجتمع متحضر، ومواكب للتطور الذي يحدث في العالم، وهذا يشكل تحدياً للمكتبات.
- الاهتمام بنشر الثقافة التقنية والإلكترونية بما يحقق محو الأمية التكنولوجية والمعلوماتية بين أفراد المجتمع.

2- عبد اللطيف صوفي. « المكتبات الجامعية والبحث العلمي في مجتمع المعلومات ". المجلة العربية للمعلومات، مج 2، ع 2، 2000، ص 29 – 64 .

تناولت دراسة صوفي التحديات التي يواجهها التعليم عامة، والتعليم العالي بصفة خاصة، والتي تتمثل في تحدي الإعلام العالمي، والثورة التكنولوجية، والشبكات المحلية، والمكتبة الافتراضية، بالإضافة إلى تحدي البحث العلمي.. وتناولت الدراسة المنافسة التي بدأت بين (المكتبي العلمي) (والمكتبي المتخصص في المكتبات)، وشددت الدراسة على ضرورة تكوين المكتبيين في تخصصات علمية متنوعة

في كل مجال، وبالرغم من أن الدراسة تناولت المكتبات الجامعية والبحث العلمي في مجتمع المعلومات بصفة عامة، إلاّ أنها حفلت بالعديد من الأفكار المتعلقة بتعليم المكتبات والمعلومات في الوطن العربي.

3- إيمان فاضل السامرائي. « المعلوماتية وتأثيرها على تدريس علم المكتبات والتوثيق في العراق والأردن: دراسة مقارنة ". المجلة العربية للمعلومات، مج 22 ، ع 2 ، 2001 ، ص ص 47 – 78 .

وتناولت دراسة السامرائي تأثير المعلوماتية على علم المكتبات والتوثيق في العراق والأردن، وقد أوردت الدراسة نماذج من برامج الجامعات الأمريكية، وحاولت مقارنتها مع برامج الجامعات في كل من الأردن والعراق، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات.. من أبرزها : ضرورة التفكير الجدي لتحويل الأقسام إلى كيانات مستقلة، ترقى إلى مستوى معاهد أو مدارس تجمع كافة التخصصات : مكتبات، توثيق، معلومات ، نظم ... إلخ ، والتركيز على تكنولوجيا المعلومات، مع المحافظة على التوازن مع التراث العربي والإسلامي، وتأهيل الدارسين على مهارات التعامل مع الكمبيوتر، وإدارة قواعد البيانات، واستخدام الأقراص المكتنزة والأوعية المتعددة، ومصادر المعلومات الإلكترونية على شبكة الإنترنت، ضرورة التركيز على الجانب العملي التطبيقي في كافة الموضوعات، والتأكيد على اللقاءات العربية المستمرة لتبادل الآراء، العمل على التجديد, التطور ومواكبة القرن الحادي والعشرين .

العلاقة بين هذه الدراسة والدراسات السابقة :

اطلعت الباحثة على الدراسات التي تتعلق باستخدام تقنيات المعلومات ولها علاقة بتعليم المكتبات والمعلومات واتفقت مع معظمها في اطارها النظري، واختلفت عنها في أنها ركزت على التطبيق على طلاب قسم المكتبات والمعلومات بجامعة النيلين، لتحليل الاتجاهات الخاصة بالطلاب في استخدام التقنيات لتلقي المعلومات.

الإطـار النظري :

مفهوم تقنية المعلومات:

التعريف الاصطلاحي: يعرف مصطلح تقنية المعلومات بأنه تطبيقات المعرفة العلمية والتقنية في معالجة البيانات من حيث الإنتاج والصيانة والتخزين والاسترجاع بالطرق الآلية، ويقصد بتقنية المعلومات في هذه الدراسة وسائط تقنيات المعلومات المستخدمة في نظام التعليم الإلكتروني. ([1]) ويعتبر المفهوم العلمي لتقنية المعلومات من المفاهيم الحديثة نسبياً وتتمثل في استخدام الوسائل الإلكترونية في علميات خزن وحفظ واسترجاع وبث ونشر المعلومات بدلاً من الوسائل التقليدية. وقد اتجهت الدول الكبرى في تقدمها التقني إلى إدخال هذه التقنية في التعليم، وقد قطعت في ذلك شوطاً كبيراً باستثمارها في المناهج الدراسية وتنمية القوى البشرية في تطوير التقنية وتصديرها للخارج. وقد سعت مؤسسات التعليم العالي في عدد من دول العالم في تقديم خطط جديدة وخدمات تعليمية عالية الجودة إلى الدارسين في أماكنهم البعيدة. فالتقنية قد تغلبت على عاملين أساسيين هما الزمان والمكان مما جعل التعليم والتدريب متاحاً لمن يرغب أينما كان في أي جزء من أجزاء العالم وفي الوقت الذي يتناسب مع طالب الخدمة. وتعرف تقنية المعلومات على أنها «خليط من أجهزة الكمبيوتر ووسائل الاتصال ابتداء من الألياف الضوئية إلى الأقمار الصناعية وتقنيات المصغرات الفيلمية والاستنساخ، وتمثل مجموعة كبيرة من الاختراعات والتكنيك الذي يستخدم

المعلومات خارج العقل البشري»([2]) وقد أعطى عبد الرزاق يونس تعريفا شاملا لمصطلح تقنية المعلومات (Information Technology)) بأنه تطبيقات المعرفة العلمية والتقنية في معالجة المعلومات من حيث الإنتاج والصيانة والتخزين والاسترجاع بالطرق الآلية ([3]). ولقد أحدثت تقنية المعلومات ثورة على عملية التعليم والتعلم، مما أدى إلى إعادة النظر في أهداف التعليم وأساليب التدريس بشكل عام لكي تكون التقنية أحد الأهداف الأساسية لتطوير العملية التعليمية، ولذلك فإن التقنية غير التعليم مما يتطلب تحديد عدد من المتطلبات التي تتوافق مع تقنيات القرن الحادي والعشرين منها:

الاعتماد المتزايد على الاتصالات الحديثة وتقنيات الحاسب الآلي، التي تساهم في تحقيق الإبداع والبحث لدى الطلاب.

تغيير دور المعلم كمصدر أساسي للعلم والمعرفة إلى باحث، ومستخدم للتقنية، ومنتج للمعرفة ومتعلم طوال الحياة.

مشاركة القطاع الخاص وبعض المنظمات المحلية ليكون لهم دور فعال في تطوير التقنية في التعليم.

التعاون بين الطلبة والمعلمين والباحثين لتصميم المناهج.

أهمية تقنية المعلومات في تطوير التعليم:

السبب الرئيس لإعطاء تقنيات المعلومات أهمية خاصة دخول ثورة المعلومات في جميع نواحي الحياة، حيث أحدثت تغييراً جذرية في المجتمع، فلم تعد التقنيات مجرد وسائل مساعدة يستخدمها عدد قليل من المختصين والعلماء كما كان في السابق، وإنما أصبحت واسعة الانتشار وظاهرة من مظاهر الحياة اليومية التي يستخدمها الإنسان في مجال عمله، وأداة للاطلاع على ما يقوم به الآخرون من أعمال ومنجزات. فخلال السنوات القليلة الماضية هناك نمو في عدد الطلاب غير المتفرغين الذين يلتحقون بالبرامج الأكاديمية في الجامعات. وهناك عدد من العوامل أدت إلى نمو عدد هؤلاء الطلاب. وثمة ملاحظة مهمة مفادها أن نجاح تطبيق التقنيات الحديثة له علاقة مباشرة بقبول وتبنى المستخدمين لهذه التقنيات، فالجامعات التقليدية تواجه تحديات مختلفة لتشجيع أعضاء هيئة التدريس لتبنى طرق التدريس المعتمدة على التقنيات الحديثة في تدريسهم للمواد الدراسية حتى تتمكن من البقاء في المنافسة مع الجامعات الافتراضية المعتمدة على التقنيات، ومعنى ذلك أن الجامعات التي لا تعطي أهمية أو حماسا لاستخدام تقنيات التعليم لا تحقق من أهدافها التربوية إلا اليسير بالرغم من الجهود المبذولة في تحقيق هذه الأهداف. ([4]) وفي الوقت الحاضر، أصبح مفهوم التعليم النابع من التقنيات الية والمرئية الحديثة عاملاً مساعداً، وبحكم أن التعليم هو القاعدة الأساسية لانبثاق التقنية وتطويرها، فإن إدخال التقنية في مجال التعليم والاستفادة منها في أساليب التعليم سوف يساعد كل من المعلم والطالب في الاتصال بقواعد المعلومات واكتساب مهارات البحث وتحويل الآراء والأفكار إلى حقائق عملية يمكن الاستفادة منها في فهم المواد الدراسية وتحقيق الإبداع وتطوير المجتمع تقنياً. ولقد أصبح احتياج المملكة من القوى البشرية المدربة المعدة إعداداً تقنياً أكبر من أي وقت مضى؛ مما يستدعي إحداث تطوير في نظام التعليم عموماً ونظام التعليم العالي خاصة وطرقه وأساليبه، ليقوم بدور فعال في التنمية.

المتطلبات الأساسية لإدخال التقنيات في تعليم المكتبات والمعلومات:

إن إدخال التقنية ليست عملية سهلة، وليست مجرد معامل أو أجهزة في قاعات الدراسة، حيث لا تمثل الأجهزة سوى أقل من خمس تكاليف المناهج والأساليب المستخدمة لتشغيل هذه الأجهزة وتدريب القوى البشرية حسب الأسس العلمية الحديثة. كما أن التقنية ليست مجرد تشغيل الأجهزة أو التدريب على بعض البرامج المتوفرة في السوق ([5]). ووجودها ليس لمجرد شغل أوقات الفراغ أو التسلية، ونجاح إدخال التقنية يتوقف على وجود المناخ التعليمي المفتوح في المؤسسة التعليمية؛ حيث تتوفر الإدارة والأكاديميون الذين لديهم الرغبة في التطوير، لكي يمكن الاستفادة من تقنيات الحاسب الآلي في تعليم المكتبات والمعلومات.

أولاً: التنظيم الإداري:

«تُعدّ الإدارة من العوامل الأساسية التي تساعد على نجاح أهداف التقنية في التعليم العالي، لما للإدارة من دور بارز في وجود المناخ التعليمي الملائم في المؤسسة التعليمية، حيث تسود العلاقة القوية بين الإدارة والأكاديميين وتحفزهم على العمل الجاد، ويعتمد هذا النوع من الإدارة على التفاهم والتعامل والاحترام المتبادل بين الإدارة وأعضاء هيئة التدريس وتشجيعهم على التطوير المهني. لذا فإن النجاح الفعال للتقنية في التعليم يعتمد على مناخ تعليمي ملائم للإبداع والابتكار والمشاركة في اتخاذ القرارات. وحيث يُعدّ التعليم في مجال المعلومات والمكتبات من أنواع التعليم الذي يحتاج لأنظمة وإدارة تمتاز بالكفاءة، والمعروف أن الإدارة التقليدية تميل للمركزية والجمود، بينما يكمن نجاح التعليم في اللامركزية والمرونة اللازمين لتكامل عديد من المكونات المتباينة في نسق متكامل يسعى لبلوغ غاية مشتركة. وجامعة النيلين لها إدارة مركزية توفر مناخ تنظيمي جيد للتطبيق. ([6])

ثانياً: القوى البشرية:

توجد علاقة وثيقة بين استخدام التقنيات الحديثة في التعليم والإعداد الأكاديمي بالنسبة للأساليب والوسائل المستخدمة في التعليم، فليس من المتوقع أن المدرس الذي يتبع الأساليب التقليدية يكون لديه الرغبة والحماس في التدريب على التقنيات الحديثة وتشجيع الطلاب على استخدامها. كما وتشترك فئات متنوعة، وجديدة، من البشر في التعليم الإلكتروني عن بعد، وتزداد عدداً وتنوعاً في التعليم متعدد القنوات. فبدلا من مجرد «ثنائي» المدرس والطالب يقوم التعليم بمساندة التقنيات. ويتعين أن تتفاعل الأطراف الثلاثة كفريق كفء، مع تغير دور المعلم والمتعلم عن المتعارف عليه في التعليم التقليدي. فالمعلم الكفء ليس ملقنا لكم معين من المعلومات، ولكن ميسرُ للتعلم من خلال التواصل القائم بين المعلم والمتعلم. وإلى جانب ذلك يوجد فرق تصميم وإنتاج للمادة التعليمية، والفنيون والإداريون وفى الإدارة التعليمية على مستوياتها المتباينة، ومقدمو خدمات الاتصال المختلفة وغيرهم.

ثالثاً: المواد التعليمية:

إن تطوير المواد التعليمية، المشوقة والفعالة، في تعليم المكتبات والمعلومات أمر يجب أن يتم من خلال فرق متكاملة تضم تربويين وخبراء، في الموضوعات وفى التقنيات ووسائط الاتصال المستخدمة، وغيرهم. ويجب أن يقوم إنتاج المواد التعليمية على تبنى نموذج «البحث-التطوير-التقييم-المراجعة» باستمرار. ويمكن أن يتكون فريق عمل إنتاج وتصميم المواد التعليمية من مجموعات متفاعلة ومتكاملة مع بعضها يعملون

في منظومة واحدة ولا يمكن تفضيل إحداهما على الأخرى حيث إن كل واحدة منها تقوم بواجبها المرسوم والمحدد مسبقاً وفقاً للمعايير الكلية المحددة من قبل إدارة التعليم الإلكتروني عن بعد. كما وأن جودة تصميم المواد التعليمية وسهولة استخدامها لابد أن يلقى اهتماماً كثيراً من قبل القائمين على التعليم الإلكتروني، وتمثل ندرة المواد التعليمية الصالحة للتعليم عن بعد باللغة العربية مشكلة خاصة، يتعين العمل على تلافيها تمهيداً للدخول القوي في هذا المضمار. كما ويلزم النظر إلى تكلفة تصميم وتطوير المواد التعليمية فعلى سبيل المثال في الولايات المتحدة، تقدر تكلفة إنتاج الدقيقة الواحدة من برامج التلفزيون التعليمية الجيدة تبلغ بحوالي ثلاثة آلاف دولار. ولذلك كثير ما يتم التأكيد على أن الاستفادة من التعليم الإلكتروني عن بعد يجب أن تكون من الاتساع والعمق بحيث تتحقق معادلة معقولة بين التكلفة والعائد. وحاليا توجد بجامعة النيلين عمادة للتعليم الإلكتروني بدأت نشاطها بتفعيل الامتحانات الإلكترونية في معظم كليات الجامعة.

رابعاً: البنية الأساسية لتقنية المعلومات:

إن تكلفة التعليم الإلكتروني ، خاصة التفاعلي منه، مرتفعة لدرجة يمكن أن تكون مانعة للانتشار. إذ حتى في الولايات المتحدة الأمريكية تحول القيود المالية أحياناً دون توافر المعدات والبرمجيات ومداخل شبكات الاتصال اللازمة لهذا النوع من التعليم الإلكتروني عن بعد. ويزيد من التكلفة على المدى الطويل، التقادم السريع لكثرة المعدات والبرمجيات المستعملة في التعليم التفاعلي عن بعد. وخلاف التكلفة، هناك شروط عديدة للاستخدام الفعال للمعدات الحديثة من أهمها التدريب الفعال والصيانة المستمرة. ويترتب على قلة توافر هذه الشروط تضاؤل استخدام المعدات الحديثة إلى جانب طفيف من إمكاناتها. وقد يصل الأمر لبوار المعدات، وقلة الاستفادة من البرمجيات، تحت ظروف البيروقراطية الإدارية. ([7])

خامساً: العوامل الاجتماعية:

وتمثل العوامل الاجتماعية للتعليم عن بعد محدداً جوهريا لمدى نجاحه، وهنا تظهر عدة مشكلات تتطلب اعترافاً أكاديمياً من ناحية، ومواجهة جادة من ناحية أخرى. وخلاصة الأمر أن الاستغلال الناجح لاستخدام تقنيات المعلومات، والتعليم متعدد القنوات خاصة باستعمال تقنيات المعلومات يقتضي ثورة حقيقية في التعليم ككل. فكل المكونات التي سبق الإشارة إليها يتعين أن يتكامل في منظومة متناغمة داخلياً، وتلتئم في تناغم أيضاً مع نسق التعليم، الأمر الذي يوجب ضرورة التجريب واكتساب الخبرة التراكمية من خلال التقييم الرصين والتطوير المستمر.

أهم وسائط تقنية المعلومات الحديثة التي يمكن استخدامها في تعليم المكتبات والمعلومات :

1 – شبكة الإنترنت:

تستخدم شبكة الإنترنت، في عملية التعليم كشكل من أشكال الدراسة عن بعد, وبدأ هذا الشكل من التعليم، من خلال المراسلة الورقية مع الجامعة، ثم المراسلة الصوتية باستخدام أشرطة الكاسيت، ثم المرئية باستخدام أشرطة الفيديو، وأخيراً عبر تقنيات المعلومات مثل الإنترنت. ويُعدّ التواصل بالجامعة أو الكلية، عبر الشبكة شكلاً شاملاً يتحلى بميزة أساسية هي عملية التفاعل ما بين الطالب والمدرس، أو بين الطالب وزملائه، عبر وسائل تقنية متطورة أهمها منتديات النقاش التي تسمح بالتحاور حول المواضيع, وأيضا المؤتمرات الفيديوية التي تبث بالصوت والصورة في الزمن الحقيقي.([8])

بعض فوائد شبكة الإنترنت بالجامعات والكليات الوصول إلى مصادر المعلومات، والحصول على أحدث الأخبار، وأوراق البحوث، والإحصائيات، والصور، والأصوات، ولقطات الفيديو.

استشارة الخبراء، والاتصال مع الطلاب من بلدان أخرى، وتسهيل عملية الحوار بين الآباء والمدرسين والأساتذة في المسائل المعقدة عبر الإنترنت.

الاتصال مع الطلاب من بلدان أخرى، والتحاور معهم في المواد الدراسية والثقافية، والعمل معاً على بعض المشاريع المشتركة، واكتساب معارف عن حضارات أخرى.

تسهيل عملية الحوار بين الآباء والمدرسين، فيما يتصل بشؤون أبنائهم، مما يعزز تفاعلية العملية التعليمية/التربوية.

2 –الحاسب الآلي وأدوات الاتصال الحديثة:

بدأت تقنية الاتصالات في عام 1844م بإنشاء أول نظام للبرقية بين مدينتي بالتيمور الأمريكية وواشنطن، ثم تقدمت هذه التقنية بقوة بعد اختراع الهاتف عام 1867م. ثم استمرت تقنية الاتصالات في التطور من ذلك الحين إلى وقتنا الحالي الذي شهدت فيه الاتصالات تطوراً كبيراً في مجالات الحاسب الآلي وبرمجياته، والأقمار الصناعية، والألياف البصرية، والهواتف الخلوية، وأنظمة المعلومات الية.

وفي عام 1983م اختارت مجلةTime)) الأمريكية الحاسب الآلي ليكون شخصية العام مؤكدة حقيقة هي أننا في عصر الحاسب وأننا نعيش ثورة تقنية. أما الآن وبعد أن انكمشت أجهزة الحاسب الآلي في الحجم وتنامت في القوة، انخفضت أسعارها انخفاضا هائلاً بصورة مدهشة ومثيرة للاستغراب، وسكن الحاسب كل ركن من أركان حياتنا فقد أصبحنا نقف على أعتاب ثورة أخرى ستتمخض عن اتصال رخيص التكلفة على نحو غير مسبوق. فأجهزة الحاسب ستشترك كلها في منظومة واحدة للاتصال ببعضها البعض على المستوى الكوني، وستكون شبكة يطلق عليها المعلومات السريعة ((Information Superhighway. والسلف المباشر لهذه الشبكة هو الإنترنت ([9]).

كما وأن لكل تقنية مادتها الخام التي تتعامل معها، وأداتها الأساسية التي تعالج بها هذه المادة، ومصدر طاقتها الرئيس الذي يستخدمه لتحويل تلك المادة الخام إلى منتجات يتم توصيلها إلى المستفيد من وسائل التوزيع المختلفة والتي لابد أن تتلاءم مع طبيعة هذه المنتجات وظروف استخدامها. فإذا طبقنا هذا الإطار العام على تقنية المعلومات، فمادتها الخام هي البيانات والمعلومات والمعارف، وأداتها الأساسية هي بلا منازع الحاسب الآلي وبرمجياته وشبكاته التي تستهلك طاقته الحسابية في تحويل المادة الخام إلى سلع وخدمات معلوماتية، أما التوزيع فيتم من خلال التفاعل الفوري (Direct Interaction) بين الإنسان والآلة، أو من خلال أساليب البث المباشر وغير المباشر كما هي الحال في أجهزة الإعلام، أو من خلال شبكات الحاسب التي تصل بين حاسب وآخر أو بين وحداته الطرفية (Terminals). ([10])

3 –شبكات المعلومات والاتصالات:

أتاحت الاتصالات وتقنيات المعلومات الحديثة للمتعلمين الفرصة لعقد اجتماعات ولقاءات مناقشة مع معلميهم وكل فرد منهم في منزله أو مكان عمله وذلك عن طريق نظام المؤتمرات بواسطة التليفون أو الفيديو أو الحاسب الآلي، وفيما يلي تعريف بكل وسيلة من وسائل إتاحة المعلومات بشبكات المعلومات

والتي يمكن استخدامها في نظام التعليم باستخدام تقنيات المعلومات كالآتي :

1- اللوحات الإخبارية الإلكترونية (Electronic Bulletin Boards))

وتُعدّ نظم اللوحة الإخبارية الإلكترونية أحد نظم الاتصالات المعتمدة على الحاسب الآلي التي تسمح للمستخدم عن طريق جهاز الحاسب الشخصي وخط تليفون وجهاز مودم "MODEM" أن يرسل ويستقبل الرسائل، والغرض الرئيس من استخدام اللوحات الإخبارية الإلكترونية هو تقديم خدمة المشاركة في المعلومات لمجموعة من الأفراد ذوي الاهتمامات المشتركة، وكذلك تسمح للمستخدمين أن يرسلوا ويستقبلوا البرامج، وملفات النصوص بتكلفة منخفضة جداً. وظهر استخدام اللوحة الإخبارية الإلكترونية في مؤسسات التعليم المفتوح وخصوصاً باستراليا كوسيلة إتاحة تفاعلية ذات اتجاهين للمعلومات. ([11])

2- البريد الإلكتروني (Electronic Mail)):

يعد البريد الإلكتروني من الوسائل التقنية الحديثة التي تستهدف تسهيل تبادل المعلومات على الفور، في شكل نصوص (Text)) أو صوت (Voice) أو رسومات (Graphics))، ويتم ذلك باستخدام نظم البريد المعتمدة على الحاسب الآلي في استقبال الرسائل وتخزينها ونقلها من أماكن بعيدة. وقد استخدم البريد الإلكتروني في مؤسسات التعليم بشكل واسع حيث تتيح المؤسسة للمتعلم أكثر من عنوان لها ليستطيع أن يراسلها باستخدام البريد الإلكتروني وترسل له المؤسسة رداً أيضاً.

3- نقل الملفات (FILE TRANSMISSI N PR T C L):

تسمى هذه الخدمة بنقل الملفات ((FTP من وإلى الحاسبات المرتبطة بالإنترنت ويمكن أن تستخدم في استنساخ كميات كبيرة من البيانات، وذلك من خلال البرمجيات اللازمة لذلك، وتتسم هذه البرمجيات بالتفاعلية، حيث توافي المستفيد برسالة تنبيه، كما تستجيب لما يقدم لها من أوامر. وتحتاج إلى استخدام بروتوكول نقل الملفات، حيث يحدد المستفيد الحاسب ويأمر البروتوكول بتنفيذ الاتصال. وبمجرد أن تكتمل دائرة الاتصال يبدأ المستفيد في التعامل مع الحاسب، حيث يمكنه الحصول على قائمة بالملفات المتاحة، أو استرجاع نسخا من ملف أو أكثر. كما تُعدّ هذه الخدمة من أهم خدمات الإنترنت حيث توفر عددا ضخما من الملفات الممكن نقلها، كما أن هناك من يقومون بتطوير البرامج المختلفة وإرسالها إلى (FTP) لتصبح متاحة لجميع مستخدمي الشبكة.

4- خدمة مجموعة المناقشات (DISCUSSI N GR UP)):

تحتوي شبكة الإنترنت على الآلاف من مجموعات المناقشة مصنفة حسب الموضوعات، ويطلق عليها كذلك (جماعات المناقشة) أو (خدمة المؤتمرات)، وأحيانا تسمى (لوحات النشرات الإلكترونية)، وتجمع هذه اللوحات الخصائص التالية:

- تسمح لأي فرد بإصدار رسالة ليطلع عليها الآخرون.
- توزيع الرسالة على عدد كبير من المشتركين.
- تهتم بموضوع معين.
- تنشر نسخ من الرسالة مثل البريد الإلكتروني.
- تكفل هذه الخدمة للمستفيد فرصة الاستماع إلى المحادثة، أو توجيه أسئلة، أو تسجيل مداخلة. ([12])

5- المؤتمرات عن بعد، وهذه المؤتمرات نوعان:

المؤتمرات عن طريق الحاسب الآلي Computer Conferencing)) وتقوم على أساس الاتصال عن طريق كتابة الرسائل وتخزينها في موقع مركزي وتتاح لمجموعة المستفيدين في أي وقت حيث يتناقشون ويتحقق الحوار بينهم فالمعلم والمتعلم يستطيع كل منهما القراءة والرد في أي وقت ومن أي مكان بحيث يكون لكل مشترك في الحوار منفذٌ خاصٌ "Terminal" يتصل مباشرة أو عبر اتصالات سلكية أو لا سلكية بحاسب إلكتروني مركزي ويقوم هذا الحاسب بتحرير الرسائل إلى الجميع.

المؤتمرات عن طريق الفيديو (Video Conferencing):

وفيها يتم نقل الصوت والصورة واللون والحركة لجميع المشاركين في الاجتماع في مواقع مختلفة يستمعون ويشاهدون في وقت واحد، حيث تنتقل إشارات الصوت والصورة بين موقعين أو أكثر ويستخدم في التعليم المفتوح والتعليم الإلكتروني عن بعد في لقاءات مجموعات من المتعلمين مع الموجه أو المرشد ويستخدم في التدريب من بعد في شكل مجموعات وفي التوجيه "Tutorials" والعروض "Demonstrations" والمقابلات الشخصية، كما يستخدم في التنمية والإعداد المهني لأعضاء هيئة التدريس. ومن الجامعات التي تستخدم هذا الأسلوب الجامعة البريطانية المفتوحة حيث تستخدمه في أساليب الاجتماع عن بعد بين المعلم والمتعلمين وكل منهم في موقع مختلف عن الآخر.

الدراسة التطبيقية والتحليل

أولاً: الإحصاء الوصفي لمتغيرات مفردات العينة

متغير النوع

جدول (1) توزيع مفردات العينة حسب النوع

	النوع	التكرار	النسبة المئوية (%)
1	ذكر	153	60
2	أنثى	102	40
المجموع		**255**	**100**

يتضح من الجدول (1) أن نسبة الذكور بلغت60% بينما بلغت نسبة الإناث 40% من مفردات العينة.

استخدام الحاسب الآلي في تعليم المكتبات والمعلومات

	الاستخدام	التكرار	النسبة المئوية (%)1
1	نعم	188	73.7
2	لا	67	26.3
المجموع		**255**	**100**

جدول (2) توزيع مفردات العينة حسب استخدام للحاسب الآلي في التعليم

يتضح من الجدول (2) أن 73.7% تقريباً من أفراد العينة يستخدمون الحاسب الآلي في مجال دراستهم، وهو مؤشر جيد ينعكس على معرفة أفراد العينة لتقنيات المعلومات المستخدمة في التعليم أو

بعضها، في حين بلغت نسبة أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الحاسب الآلي في مجال العمل أقل من 26.3%. وهذا يعد مؤشر جيد جدا لارتفاع مهارات الطلاب لاستخدام أهم أدوات تقنيات المعلومات التي تؤثر على مستواهم.

استخدام الإنترنت

م	الاستخدام	التكرار	النسبة المئوية (%)
1	نعم	222	87
2	لا	33	13
المجموع		**255**	**100**

جدول (3) توزيع مفردات العينة حسب استخدامهم للإنترنت

يظهر الجدول (3) 13% فقط لا يستخدمون الإنترنت، في حين أن 87% من أفراد العينة يستخدمون الإنترنت، وهي نسبة عالية وتنعكس إيجابياً على مصداقية الإجابة. ولاحظت الباحثة أن الاستخدام يتم بصورة أكثر عبر الهواتف النقالة لتوفر اشتراك مناسب ماديا لشريحة الطلاب.

ثانياً: ترتيب استخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات

لمعرفة أكثر التقنيات يمكن استخدامها في تعليم المكتبات والمعلومات وفقاً لاتجاهات مفردات مجتمع الدراسة، تم حساب المتوسطات المرجحة والانحراف المعياري وحساب معامل الاختلاف لكل تقنية، وبعد ذلك يتم إجراء الترتيب تنازلياً لتقنيات المعلومات طبقاً لمعامل الاختلاف، وذلك كما يوضحه الجدول (4). توصلت الدراسة التطبيقية والتحليل إلى أن هناك توافق بين اجابات مفردات العينة كانت مرتبة على التوالي ابتداء بالإنترنت بنسبة 91.7% تقريبا، والبريد الإلكتروني بنسبة 90.1% والأقراص المدمجة بنسبة 82.3% والتعليم بواسطة الحاسب الآلي بنسبة 80.3% تقريباً. في حين لم تلقى المحادثة بالإنترنت تأييداً كبيراً من قبل مفردات عينة البحث. ويشير ذلك أن استخدام شبكة الإنترنت لها أولوية في الاستخدام حسب اتجاهات مفردات العينة مما يُظهر أهمية هذه التقنية واستخدامها في التعليم، كما يؤكد أهمية دور الإنترنت في التعليم. ولاشك أن استخدام البريد الإلكتروني يأتي في المرتبة الثانية من حيث الاستخدام فهو يُعدّ داعماً لاستخدام الإنترنت، وينبع ذلك من اهتمام أعضاء هيئة التدريس في التواصل مع الآخرين من خلال البريد الإلكتروني رأت الباحثة من خلال تجربتها في قسم المكتبات والمعلومات بأن الطلاب يزداد حماسهم عندما يتم مطالبتهم بإرسال الواجبات عبر البريد الإلكتروني.

جدول (4) ترتيب أهمية تقنيات المعلومات المختلفة لاتجاهات طلاب وطالبات قسم المكتبات والمعلومات

م	التقنيات	أوافق		لا أدري		لا أوافق		المجموع		المتوسط المرجح	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الأهمية
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%				
.1	الإنترنت (Internet))	234	91.7	6	2.3	15	5.8	255	100	4.65	0.78	0.61	1
.2	البريد الإلكتروني (Electronic Mail)	230	90.1	6	2.3	19	7.4	255	100	4.48	0.95	0.89	2
.3	الأقراص المدمجة (CD ROM))	210	82.3	15	5.8	30	11.7	255	100	4.16	0.95	0.91	3
.4	التعليم بواسطة الحاسوب (Computer Based Instruction)	205	80.3	25	9.8	25	9.8	255	100	4.10	1.08	1.16	4
.5	نظام نقل الملفات (File Transfer Protocol) (FTP)	180	70.5	50	19.6	25	9.8	255	100	3.94	0.99	0.98	5
.6	مجموعة الأخبار (News Group)	160	62.7	60	23.5	35	13.7	255	100	3.90	1.05	1.10	6
.7	مؤتمرات الفيديو (Video Conference)	159	62.3	70	27.4	26	10.1	255	100	3.78	1.01	1.03	7
.8	مجموعة الحوار (Discussion Group)	170	66.6	40	15.6	45	17.6	255	100	3.76	1.12	1.26	8
.9	الصف الافتراضي (Virtual Class)	158	61.9	52	20.3	45	17.6	255	100	3.36	1.05	1.10	9
10	المحادثة بالإنترنت (Internet Relay Chat) (IRC)	95	37.2	34	13.3	126	49.4	255	100	2.98	1.26	1.59	10

المتطلبات الأساسية لاستخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات

المتطلبات	المتوسط المرجح	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الأهمية
العوامل الاجتماعية	3.65	0.69	0.467	1
أعضاء هيئة التدريس	3.47	0.78	0.607	2
الموارد البشرية	3.34	0.81	0.642	3
دعم الإدارة	2.99	0.56	0.311	4
البنية التحتية لتقنيات	3.32	0.89	0.790	5
المناهج والمواد العملية	2.92	0.51	0.254	6

جدول (5) ترتيب أهمية المتطلبات الرئيسة لاستخدام تقنيات المعلومات في التعليم

يظهر الجدول (5) ترتيب هذه المتطلبات حسب أهميتها ودعمها لاستخدام تقنيات المعلومات من وجهة نظر مفردات عينة البحث. وتأكيدا على أهمية توفر المتطلبات الرئيسية لاستخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات، أتضح أن هناك اتفاق في الثلاث العوامل الأولي حيث أن العوامل الاجتماعية جاءت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية، يليها أعضاء هيئة التدريس المؤهلين، ومن ثم توفر الموارد البشرية القادرة على استخدام وتشغيل وصيانة مثل هذه التقنيات في المرتبة الثالثة.

العلاقة بين استخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات ودعم الإدارة لها

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	اختبارF	مستوى المعنوية α
الدعم	25	6 ,011	2 ,050		
الاستخدام	230	141 ,576	,601	3.53	0.03
المجموع	255	146 ,320			

جدول (6) العلاقة بين استخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات ودعم الإدارة

يتضح من الجدول (6) أن مستوى المعنوية (0.030) وهو أقل من (0.05)، إذا هذا مؤشر قوي للدلالة على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام تقنية المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات ودعم الإدارة لاستخدام تقنية المعلومات.

اختبار العلاقة بين استخدام تقنية المعلومات وتوفير التدريب التقني اللازم للطلاب والطالبات

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	اختبارF	مستوى المعنوية α
غير المستخدمين	15	2 ,446	765.		
المستخدمين	240	141 ,530	594.	1.45	0.27
المجموع	255	60.576			

جدول (7) العلاقة بين استخدام تقنية المعلومات وتوفير التدريب التقني اللازم للطلاب والطالبات

يتضح من خلال الاختبار في الجدول (7) أن مستوى المعنوية (0.27) وهو أكبر من (0.05)، إذا لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام تقنية المعلومات في مجال تعليم المكتبات والمعلومات وتوفير التدريب التقني اللازم للطلاب في قسم المكتبات والمعلومات.

النتـــائـج:

توصلت الدراسة للنتائج الآتية:

يستخدم طلاب وطالبات قسم المكتبات والمعلومات الحاسب الآلي بنسبة 73.7% في التعليم، ويستخدمون شبكة الانترنت بنسبة 87%. مما يدل على الاستخدام المرتفع لأهم تقنيات المعلومات. وأن أكثر تقنيات المعلومات أهمية بالنسبة لاستخدامها في تعليم علوم المكتبات والمعلومات شبكة الإنترنت، ويليها في الترتيب البريد الإلكتروني، ثم استخدام الأقراص المدمجة، ثم التعليم بواسطة الحاسوب ثم نظام نقل الملفات.

عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام تقنية المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات ومدى توفير التدريب التقني اللازم للطلاب والطالبات.

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام تقنية المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات ودعم الإدارة لاستخدام تقنية المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات.

إن العوامل والمتطلبات الرئيسة لنجاح استخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات، من وجهة نظر مفردات عينة الدراسة هي أن هناك اتفاق في الثلاث العوامل الأولي حيث أن العوامل الاجتماعية جاءت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية، يليها أعضاء هيئة التدريس المؤهلين، ومن ثم توفر الموارد البشرية القادرة على استخدام وتشغيل وصيانة مثل هذه التقنيات في المرتبة الثالثة. وتأخر دعم الإدارة لاستخدام هذه التقنيات.

من معوقات استخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات من وجهة نظر مفردات عينة الدراسة قلة الأجهزة وعدم تجهيز المعامل بالصورة المطلوبة، الحوجة لاتصال فعال بالإنترنت.

التـوصيـــات:

يمكن للباحثة تقديم التوصيات والمقترحات التالية لقسم المكتبات والمعلومات وإدارة الجامعة:

زيادة تشجيع وتوجيه الطلاب والطالبات نحو استخدام الحاسب الآلي وتطوير مهاراتهم في مجال تقنيات المعلومات.

ضرورة التخطيط لاستخدام تقنيات المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات بشكل منهجي منتظم.

ضرورة إعداد قاعدة بيانات عن استخدام تقنية المعلومات في تعليم المكتبات والمعلومات لتسهيل عملية تحديد الاحتياجات الخاصة بطلاب القسم، والتخطيط لخدمات نظم المعلومات والتوزيع الأمثل للإمكانات والموارد الخاصة بتقنيات ونظم المعلومات.

على إدارة الجامعة إعداد برامج تدريبية لتأهيل كوادر علمية متخصصة في مجال استخدام تقنيات المعلومات في التعليم.

إعداد برامج ودورات تدريبية للطلاب والطالبات في مجال استخدام الحاسب الآلي والإنترنت، لتطوير وتنمية مهاراتهم التقنية.

زيادة الوعي والإدراك العام بأهمية تقنيات المعلومات والاستفادة منها في مختلف مراحل التعليم ليسهل استخدامها والاستفادة منها مستقبلاً.

لتبنى استراتيجية تعليمية معتمدة على التقنيات الحديثة، يجب زيادة التنسيق والتعاون بين الإدارة والقسم لتأهيل الشبكة والمعامل وأدوات تقنيات المعلومات.

المصادر والمراجع:

(1) عبد الرزاق يونس، تكنولوجيا المعلومات، (الأردن: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1989م)، ص17.

(2) محمد محمد الهادي، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها، (القاهرة: دار الشروق، 1409هـ)، ص 32.

(3) عبد الرزاق يونس (مصدر سابق) .

(4) علي الراشد، الجامعة والتدريس الجامعي، (جدة: دار الشروق، 2002م)، ص165.

(5) محمد عبد الله المنيع، تطوير مؤسسات التعليم العالي الحكومية والأهلية في المملكة العربية السعودية باستخدام نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد-الجامعة العربية المفتوحة كنموذج، في: ندوة التعليم العالي الأهلي في المملكة العربية السعودية، 18-19 ذو القعدة1421هـ بحوث اليوم الأول والثاني، (الرياض: جامعة الملك سعود)، ص 161-204.

(6) جبريل بن حسن العريشي . «دور تقنيات المعلومات في تطوير التعليم عن بعد في مؤسسات التعليم العالي بقطاعيه الخاص والعام : دراسة تطبيقية على مدينتي الرياض وجدة» ., الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات . مج 15 , ع 30 , 2008 , ص ص 121-175 .

(7) نادر فرجاني، التعليم عن بعد في خدمة التعليم الأساسي في مصر. مركز المشكاة للبحث بمصر، 1999م.https://www.almishkat.org/arbdoc99/disted/disted.htm.

(8) جبريل بن حسن العريشي جبريل بن حسن العريشي . «دور تقنيات المعلومات في تطوير التعليم عن بعد في مؤسسات التعليم العالي بقطاعيه الخاص والعام : دراسة تطبيقية على مدينتي الرياض وجدة» ., الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات . مج 15 , ع 30 , 2008 , ص ص 121-175

(9) بيل جيتس. المعلوماتية عبر الإنترنت (طريق المستقبل). ترجمة عبدالسلام رضوان. عالم المعرفة، العدد 231. الكويت مارس 1998م، ص 21-37.

(10) نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، مجلة عالم المعرفة، العدد 184 (الكويت إبريل 1994م)، ص 12-16.

(11) خالد مصطفى مالك ، تكنولوجيا التعليم المفتوح، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص247.

(12) جبريل بن حسن العريشي . «دور تقنيات المعلومات في تطوير التعليم عن بعد في مؤسسات التعليم العالي بقطاعيه الخاص والعام : دراسة تطبيقية على مدينتي الرياض وجدة» .، الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات . مج 15 , ع 30 ,المكتبة الأكاديمية, 2008 , ص ص 121-175 .

صفات المرأة في أدب العقاد

د.إمتثال عبد الماجد عمر أستاذ مشارك- كلية التربية-جامعة الزعيم الأزهري

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة صفات المرأة في أدب العقاد، حيث أوضحت أن العقاد قد عرف أكثر من نوع واحد من النساء، فقد عرف المرأة أماً وأختاً، وعرفها موضع دراسة أقام عليها دراساته التي استخلص من خلالها آرائه فيها، ثم عرفها معشوقة تأخذ بمجامع قلبه، وقد هدفت الدراسة إلى: توضيح أراء العقاد في المرأة من خلال أدبه، وتبيين أن النساء اللاتي عرفهن العقاد كن سبباً لاستنتاج هذه الآراء وتعميمها على جميع النساء. تتبلور مشكلة الدراسة في هذه الورقة من أن الباحثين لم يتعرضوا لفلسفة الحب عند العقاد وآرائه المختلفة حول المرأة، منصبة نفسي-للرد على هذه الآراء، وتبرز أهمية هذه الورقة في تصحيح ما نسب إلى العقاد من آراء حول المرأة وتعميمها على موقفه منهن جميعاً، وقد اتبعتْ الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى ما هدفت إليه من نتائج.. معتمدة على أُمات المصادر والمراجع والدواوين الشعرية—ثم خُتمت الدراسة بخاتمة احتوت أهم النتائج والتوصيات والتي كان من أبرزها إن العقاد التزم موقفاً واحداً من النساء جميعاً فلم تتنوع مواقفه بتنوع من عرفهن.

الكلمات المفتاحية: صفات، امرأة، أدب، أخلاق

Abstract:

The study handled the woman's attributes in Alagad's literature, it clarified that he knew more than one kind of woman, he knew the woman as a mother and a sister, he knew her as a subject of study where he conducted his studies and extracted his views. He knew the woman as a love that he adored. The study aimed to clarify Alagad's attitudes towards the woman via his literature, and it was revealed that the women he knew were the cause for his views and generalizing them to all the women. The problem of the study is crystallized in the fact that researchers have not exposed Alagad's philosophy of love and his various views about woman. I took upon my shoulders the response to these views.

The significance of the paper is represented in correcting what was attributed to Alagad and his different views about the woman and his stand towards them. The study used the descriptive analytical method to achieve the objectives depending on genuine sources, references and collections of poems. The study concluded with a number of findings and recommendations, the most important one is that Alagad had only one stand towards all the women and his stand does not vary according to the various women he knew.

Keywords: Qualities, Mirror, Literature, Ethics

مقدمـــــــة:

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً .. } (1)

واضح من الآية الكريمة أن المرأة (سكن) للرجل ، وليس من المألوف أن يحذر إنسان عن سكنه ، أو يتجافى عن الهدوء والطمأنينة فيه ، ولكن الأستاذ العقاد وبحكم معرفتي به – من خلال أدبه – كثيراً ما يحذر ذلك السكن ، ويتجافى عن الهدوء والطمأنينة فيه ، فقد عرفته شكاكاً ، يشك في المرأة حتى في أبسط الأشياء ، فيصفها بصفات لا ترضاها ولا يرضاها مناصريها : كالرياء ، والخيانة ، ويجردها من العطف .. وبعد وقوفي على مجمل آرائه في المرأة دفعتني الغيرة على حقوق بنات جنسي أن أجمع ورقة بحثية في هذا الموضوع بعنوان (صفات المرأة في أدب العقاد) . محاولة الرد على بعض آرائه في المرأة ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في إثارة عدد من التساؤلات التي تحاول الورقة الإجابة عنها:

1- ما الصفات التي وصف بها العقاد المرأة من خلال أدبه ؟

2 - ما الأسباب التي دعت العقاد ليحكم على النساء بالسلوك السافل الدنئ ؟

3- من مِن محبوباته جعلته يعمِّم هذا الحكم على جميع النساء ؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في كلٍّ مما يأتي:

1- كشف آراء العقاد في المرأة من خلال أدبه

توضيح المبررات المنطقية لمواقفه من المرأة عموماً أو من بعض النساء ممن تعرف عليهن في مسيرة حياته

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الورقة لتحقيق جملة من الأهداف؛ أهمها:

1- توضيح أراء العقاد في المرأة من خلال أدبه

2- دحض تعميم آرائه على كل النساء

منهج الدراسة:

التزمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على: خطة قوامها: مقدمة: تضمنت مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها، المنهجية المتبعة في الدراسة، وهيكلة الموضوع حيث قُسمت لأربعة مباحث خصصتُ المبحث الأول لأمنا حواء والثاني لأخلاق المرأة، وكان الثالث للتفاوت بين الجنسين، والرابع وسمته بنساء في حياة العقاد ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات تشفع بقائمة المصادر والمراجع التي أُعتمِدت في دراسة هذه الورقة

الجدير بالذكر أن أراء العقاد حول المرأة تتركز في ثلاثة محاور كبرى، هي:

أولاً: صفاتها الطبيعية، وتشمل الكلام على قدرتها وكفايتها لخدمة نوعها وقومها

ثانياً: حقوقها وواجباتها في الأسرة والمجتمع

ثالثاً: المعاملات التي تفرضها لها الآداب والأخلاق، ومعظمها في شئون العرف والسلوك (2)

أمنا حـــــواء:

تحدث العقاد عن المرأة منذ أن أخرجت حواء آدم من الجنة إلى يومنا هذا ، حيث تحدث عنها في كتابه المسمى (هذه الشجرة) معتمداً في ذلك على وسوسة الشيطان لحواء بالأكل من الشجرة التي نهى الله عن أكلها ، فيصف طبيعتها بالولوع بالممنوع والدلال و الاغواء والاغراء وسوء الظن والمراوغة والتناقض والعناد وضعف الإرادة، حيث يقول : «رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت فأعطت بعلها معها أيضاً فأكل ، فانتفخت أعينهما وعلما أنهما عريانان ... ونادى الرب آدم وقال له أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال: من أخبرك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب للمرأة: ماذا الذي فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت ... « [3]

هذه القصة الخالدة في الأديان الكتابية، جعلها العقاد رمزاً خالداً إلى طبيعة المرأة: فهي – على حد قوله – تفعل ما تنهى عنه، وهي تغري الرجل، وفي كل من هذين الخلقين، يرى العقاد دليلاً مجملاً على خلائق وصفات مفصلة تنطوي في ذلك الرمز الكبير، معضداً حديثه في ذلك بقول الشاعر الجاهلي طفيل الغنوي:

إنَّ النساءَ كأشجارٍ نبتنَ معاً منها المرارُ وبعضُ المرِّ مأكولُ

إن النساء متى ينهينَ عن خُلقٍ فإنَّه واجبٌ لا بد مفعولُ [4]

حيث يرى أن هذا الشاعر البدوي – ابن الفطرة وابن البادية- أُلهِمَ خلاصة قصة الشجرة في بيتيه المطبوعين، وخلاصتها أن المرأة تغري بأكل المر الذي لا يساغ أو لا يسوغ، وأنها تفعل ما تنهى عنه، فهو عندها (واجب لابد مفعول)، فكل خلق كامن في المرأة – عنده – يظهر في هذا الولع الممنوع [5]

ثم يواصل العقاد في أن هذه الشجرة التي أكلت منها حواء لأنها نهيت عنها، والتي طعمت منها ثم أطعمت آدم معها – هذه الشجرة هي عنوان ما في المرأة من خضوع يؤدي إلى لذة العصيان، ومن دلال

يؤدي إلى لذة الممانعة، ومن سوء ظن وعناد وضعف، واستطلاع جهل، وعجز في المغالبة ... (6)

والجدير بالذكر أن هذه الصفات قد تختلف من امرأة إلى أخرى، فقد تختفي في امرأة تماما، وقد تظهر في غيرها بنسب متفاوتة – وليس الرجل بمنأى عن بعضها.

ثم إن جل كتب التفاسير برأت حواء بل وآدم من الخطيئة وعزت الغواية إل إبليس حيث يقول الرازي في تفسير الآيات أعلاه عرضاً آراء من قال بمعصية آدم عليه السلام ثم فند هذه الآراء بالدليل والبرهان فكان من ضمن هذه الوجوه

الوجه الأول: أنه كان عاصياً والعاصي لابد وأن يكون صاحب كبيرة لقوله تعالى: « وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» [7] وإنما قلنا إن العاصي صاحب كبيرة لأن النص يقتضي كونه معاقباً لقوله تعالى: «وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ " [8] الوجه الثاني: أنه كان غاوياً لقوله: «فغوى» والغي ضد الرشد لقوله: « قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ "[9] فجعل الغي مقابلاً للرشد

الوجه الثالث: أنه تاب والتائب مذنب، وإنما قلنا إنه تاب لقوله تعالى: «فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم "(10) وقال : « ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ «[11] وإنما قلنا التائب مذنب لأن التائب هو النادم على فعل الذنب والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلاً للذنب فإن كذب في ذلك الإخبار فهو مذنب بالكذب وإن صدق فيه فهو المطلوب

الوجه الرابع: أنه ارتكب المنهي عنه في قوله " أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ "[12] « وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ «(13) وارتكاب المنهي عنه عين الذنب

الوجه الخامس: أنه اعترف بأنه لولا مغفرة الله إياه لكان خاسراً في قوله: « وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ « (الأعراف 23) وهذا يقتضي كونه صاحب كبيرة [14]

ثم يفند الرازي هذه الوجوه من عدة جوانب:

أولاً: إن كلامكم يتم لو أتيتم بالدلالة على أن ذلك كان حال النبوة، وذلك ممنوع فلم لا يجوز أن يقال إن آدم – عليه السلام – حالما صدرت عنه هذه الزلة لم يكن نبياً، ثم بعد ذلك صار نبياً

ثانياً : لا نسلم أن آدم وحواء قبلا من إبليس ذلك الكلام ولا صدقاه فيه لأنهما لو صدقاه لكانت معصيتهما في هذا التصديق أعظم من أكل الشجرة لأن إبليس لما قال لهما : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين « [15] فقد ألقى إليهما سوء الظن بالله تعالى ودعاهما إلى ترك التسليم لأمره والرضا بحكمه وإلى أن يعتقدا فيه كون إبليس ناصحاً لهما وأن الرب تعالى قد غشهما ، لا شك أن هذه الأشياء أعظم من أكل الشجرة ، فوجب أن تكون المعاتبة في ذلك أشد ، وأيضاً كان آدم عليه السلام عالماً بتمرد إبليس عن السجود وكونه مبغضاً له وحاسداً له على ما أتاه الله من النعم ، فكيف يجوز من العاقل أن يقبل قول عدوه مع هذه القرائن ، وليس في الآية أنهما أقدما على ذلك الفعل عند ذلك الكلام أو بهده؟!

ثالثاً : وهو اختيار أثر المعتزلة ، أنه عليه السلام أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه ، وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة ، بيان الاجتهاد الخطأ أنه لما قيل له : « وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ «فلفظ «هذه» قد يشار به إلى الشخص وقد يشار به إلى النوع ، وروي أنه عليه السلام أخذ حريراً وذهباً بيده وقال :

« هذان حل لإناث أمتي حرام على ذكورهم « (16)وأراد به نوعهما ، وروي أنه علية الصلاة والسلام توضأ مرة وقال « هذا وضوءٌ لا يقبل الله الصلاة إلا به « (17)وأراد نوعه ، فلما سمع آدم عليه السلام قوله تعالى : " وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ « ظن أن النهي إنما يتناول تلك الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة أخرى من ذلك النوع إلا أنه كان مخطئاً في ذلك الاجتهاد لأن مراد الله تعالى من كلمة « هذه» كان النوع لا الشخص والاجتهاد في الفروع إذا كان خطأً لا يوجب استحقاق العقاب واللعن لاحتمال كونه صغيرة مغفورة كما في شرعنا(18)

هذا وإذا برَّأت كتب التفسير سيدنا آدم من الخطيئة وعزت ذلك لإبليس فتبريئه حواء من باب أولى ، ثم إذا سلمنا بأن الغواية كانت من الشيطان ، فإنها كانت لكليهما ، وأن الحديث في هذا الشأن جاء من الله تعالى بصيغة المثنى في معظم الآيات { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ }(19)

« وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَا، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ «[20] والملاحظ من الآيات أعلاه أن الخطاب لم يكن لحواء بل كان لكليهما، فلم خص العقاد حواء بالخطيئة دون آدم عليه السلام، هذا ما نبرر له في المباحث المقبلة

أخـــلاق المـــــرأة:

خيانة المرأة:

وصف المرأة بأنها خائنة تخون من تحب، ويصفها بعدم الوفاء من خلال قصته (سارة) حيث يقول على لسانها: (اسمع يافلان إنني لا أؤمن بصداقة المرأة للمرأة، ولا عزاء لي في معاشرة الصديقات المزعومات على الإطلاق، فإن لم يكن إلى جانبي رجل أهابه، وأحبه واعتمد على سنده، فأنا في وحشة الهالكين، وأنا ضعيفة ... ضعيفة ...ضعيفة، لا طاقة لي على دفع الغواية ..... فما هو إلا موعد أو موعدان حتى أحس كما يحس كل رجل يفهم طباع المرأة التي يهواها، إنها لم تحافظ على وفائها، ولم تحفظ جسدها أيام الغياب) [21] ومن هذا النص الذي ساقه العقاد على لسان محبوبته سارة، ندرك ما يرمي إليه وهي أن المرأة مخادعة غاوية، تفنى أمام من تحب لتوهمه أنه المقصود بفنائها، [ويصور في إحدى قصائده تجاهلها و خداعها له .... فيقول:

هل درى من أحبُّه أين في الحب مطمعي
هل معي الآن قلبه مثلما قلبه معـــي

****

هل أراه بناظري أم أرى الطيف بالرجاء
ربما بات زائري وهو في البعد كالسماء

****

ليته يكشف الضمير ليتني بالهوى أبوح
فاكشف الروض يا عبير إن عطر الهوى يفوح
****

شرعة القلب شرعتي ما احتياجي إلى شفيع
إن تسلني فحجتي في يدي - زهرة الربيع [22]
****

[وليس في هذه الأبيات ما يشير صراحة إلى خداعها أو ارتباطها به في سلوكها، فعبَّر في قصيدة أخرى ارتباطها بالخداع ومدى ملازمتها له حتى صارت جزءاً من طبيعتها؛ يقول في قصيدة (المرأة والخداع):]

خلِّ الملامَ فليس يثنيها حبُّ الخداع طبيعةٌ فيها
هو سترها وطلاءُ زينتها ورياضةٌ للنفس تحييها
وسلاحُها فيمن تكيد به من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طول ذل بات يشقيها
أنت الملوم إذا أردت لها ما لم يرده قضاء باريها
خنها ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أغلى غواليها [23]

وقد أعجبني رد د. عبد الحي دياب على الأستاذ العقاد في مسألة خداع المرأة والدعوة إلى خيانتها إذ قال دياب: «ولست أدري ما الحكمة في الدعوة إلى خيانة المرأة؟ هل خيانتها تؤدي حقيقة للوصول إلى قلبها؟ أعتقد عكس ذلك، وذلك بأدلة العقاد نفسه، إذ قال لنا فيما سبق: إن المرأة أصدق في قوانين الأخلاق فيما توحي به الفطرة وأن كل امرأة في هذه الشئون قادرة أن ترى الطير من مسيرة الأبد لامن مسيرة ثلاثة أيام ، وإذا صح كلام العقاد - وهو لاشك صحيح - فإنها تعرف خيانات زوجها ، وحينئذٍ تدعوها هذه المعرفة إلى الخروج عن حد الاعتدال ، حيث إن الوفاء حد - كما قال العقاد نفسه » (24)

التناقض من صفات المرأة:

من الصفات التي تشكل أخلاق المرأة - كما يرى العقاد - التناقض، والتناقض عنده خلة لا مناص منها في تكوين المرأة خاصة، لأنها خلة ملازمة للأنوثة في الزم لوازمها، وهما: الأمومة والحب بشتى معانيه، فاللذة والألم نقيضان في كل كائن حي، لكن هما يمشيان سوياً في أحساس المرأة فتجمع بينهما اضراراً من حيث تريد ومن حيث لا تريد إذ إن أسعد ساعاتها هي الساعة التي تتحقق فيها أنوثتها الخالدة وأمومتها المشتهاة، وهي ساعة الولادة (25)

ففي تلك الساعة يغمرها فرح لا يوصف إذ هي تنجب ذلك المخلوق الحي الذي صبرت على حمله حتى أسلمته إلى الدنيا راضية مرضية، ولكنها مع هذا هي أشد ساعات الآلام والأوجاع في جسد الأم الطريح بين الموت والحياة. فالنقيضان في إحساسها يلتقيان ويتجاوران، فيمتزجان أحياناً فلا ينفصلان. ومن هنا تراها في غبطة وهي تعاني الألم، وتراها في ألم وهي تختلج بالسرور [26] ويفسر لنا سر هذا التناقض بأن المرأة خُلِقت يتنازعها إحساسان: إحساس العاشقة والوالدة، فإذا تنبه فيها إحساس العاشقة، رأيت فيها

مراما بعيداً وسرها أن يكون مستعلياً على خصومه، وإذا تنبه فيها إحساس الأمومة آثرت الرفق وودت لو أن الأرض كلها رخاء (27)

ثم إن العقاد يرى أن هناك حالتان تضاعفان ظهور التناقض عند النساء الا وهما

طبيعة المراوغة: في تراوغ وتدلل لأن قيمتها موقوفة على غيرها أو معلقة بنظرة غيرها إليها ... فهي تحب أن تعرف قيمتها، ولا تعرف قيمتها إلا بمقدار ما تكلف الرجل من الصبر عليها واحتمال الدالة المحببة منها والدلال والمراوغة نوع من الإباء، أو نوع من المخالفة والعصيان، وإغراء بتكرار الطلب وتكرار الممانعة ... يتمنَّعْنَ وهنَّ الراغبات

طبيعة الاستغراق في الساعة التي هي فيها ونسيان ما قبلها وما بعدها، فيبلغ العجب أشده بمن يراقبها أن يراها تنتقل بين أطوارها كما ينتقل الممثل بين أدواره ولا يخلط بينها ولا يستبقي من سوابقها بقية في تواليها. فمن المشاهد أن الرجل إذا قضى يوماً أو أسبوعاً في مناداة اسم من الأسماء – لا سيما نداء المفاجأة – أخطأ فسبق به لسانه في محلة أخرى لا يود أن يذكره فيها، بل لعله يود أن يكتمه ولا يومئ إليه. وقلما يشاهد هذا في محادثات المرأة ولو تلاحقت بين ساعة وساعة، لأن الساعة التي هي فيها تستولي عليها فلا يزل لسانها بالإشارة إلى غيرها، لأنها تستعين هنا بطبيعتين أصليتين فيها، هما: طبيعة النفاق، وطبيعة الاستغراق (28)

الذي عندي أن العقاد قد أصاب في الحاق صفة التناقض بالمرأة، إذ لابد من التناقض في طبع الأنثى لأنها شخصية حية خاضعة للمؤثرات التي تتناولها من عدة جهات، فهي مستجيبة للأثر الحاضر، وقد تبدها الآثار الحاضرة من كل صوب لا من صوب واحد

فالمرأة من جهة عضو في بيئة اجتماعية هي: الأمة أو المدينة أو القبيلة، فهي هنا زوجة أو بنت أو أخت أو صاحبة عمل، تجمعها بتلك البيئة الاجتماعية صلة العرف والشريعة

والمرأة من جهة انثى لها تركيب حيوي يربطها بمخلوق آخر لا يتم وجوده بغيره

والمرأة من جهة أخرى أم تحب أبنائها بالغريزة والإلفة، وتصبر في سبيلهم على مشقات وآلام يؤدها الصبر عليها في غير هذا السبيل وهي بعد هذا كله كائن حي من حيث هي وليدة الحياة في جملتها أياً كان هذا النوع الذي تنتمي إليه، والأمة التي تعيش بينها، والعلاقة التي تجمعها بالزوج أو الأهل أو البنين

وقد تختلف عليها هذه الوجهات جميعاً، فلا مفر لها من التناقض معها، لأن مقاصد الفرد المستقبل والأنثى المفتونة والأم التي تنسى نفسها في حنانها، والكائن الاجتماعي الذي يرعى مطالب العرف والشريعة، أو الكائن الحي الذي تهزه الحياة بهذه النوازع كما يهزه بما عداها- كل أولئك يختلف ويتناقض لامحالة، ولا يتأتى التوفيق بينه إلا في الندرة العارضة.

المرأة والرِّياء :

ومن صفات المرأة التي تشكل أخلاقها – عند العقاد – الرياء، وله في مسألة رياء المرأة آراء قديمة قدم كتابه (الإنسان الثاني) حيث ذهب فيه إلى أن المرأة اشتهرت بالرياء، وهو من علامات ضعف الثقة بالنفس، فتتظاهر بما يروق للناس ويوافق آرائهم ارتياباً منها في نفسها واستصغاراً لرأيها

فالعقاد يرى أن الأداة البالغة من أدوات الإغواء والإغراء هي قدرة المرأة على الرياء والتظاهر بغير

ما تخفيه، فهذه الخصلة قد تسمو فيها حتى تبلغ رتبة الصبر الجميل والقدرة على ضبط الشعور ومغالبة الأهواء، وقد تسفل حتى تعافها النفوس كما تعاف أقبح الخصال والنفاق، وقد أعانتها عليها روافد شتى من صميم طبيعة الأنوثة

فمن أسباب القدرة على الرياء أن المرأة قد ريضت زمناً على إخفاء حبها وبغضها، لأنها تخفي الحب أنفة من المفاتحة به والسبق إليه، وهي التي خُلِقت لتتمنع وهي راغبة، وتخفي البغض لأنها محتاجة إلى المداراة كاحتياج كل ضعيف إلى مداراة الأقوياء

ومن أسباب القدرة على الرياء أو القدرة على ضبط الشعور -كما تحلو تسميتها له – أن مغالبة الآلام قد عودتها مغالبة الخوالج النفسية مادامت في غنى عن مطاوعتها والكشف عنها

صفات أخرى:

ألحق العقاد بالمرأة صفات هي بريئة منها في كثير من الأحيان ، فيجردها من صفة جُبلت عليها منذ الأزل ألا وهي (صفة **الحياء**) ، يقول العقاد : « من ضلال الفهم أن يخطر على البال أن الحياء صفة أنثوية ، وأن النساء أشد استحياء من الرجال ، والواقع أن المرأة لا تعرف الحياء بمعزل عن تلك الغريزة العامة ، وأن الرجال يستحون حيث لا تستحي النساء ، فيستترون في الحمامات العامة ، ولا تستتر المرأة مع المرأة إلا لعيب جسدي تواريه ... ولا تستر المرأة للفطرة شيئاً يمكنها أن تبديه، إذا كان في عرضه مجلبة للنظر والاستحسان » [29]

وحقيقة الأمر أن هناك فئة من النساء من هذا النوع، وقد تكون هذه الفئة ممن عرفهن العقاد، ولكن ليس معنى هذا أن يعمم العقاد حكمه على جميع النساء، لأن لكل قاعدة شواذ ويرى العقاد أن المرأة جاهلة مستبدة، وحتى النظافة التي جبلت عليها منذ زمن بعيد – يجردها منها، ويرى أن المرأة تتنظف بإيعاز من الرجل ولإرضائه، [30] ولا يتوانى العقاد من إلحاق الصفات المرذولة بالمرأة، فها هو ذا يجردها من الشجاعة، وهو بذلك يخالف بعض ما عرفت به النساء في الواقع من ذلك أن بعض النساء تمتعن بشجاعة وقوة إرادة فاقت الرجال، وإن كانت السمة الغالبة عليهن الاحجام، مما جعل الرجل – الذي بفطرته، حب السيطرة – يحظر عليها ما حباها الله به، وينابيها بالرجوع عن رأيها، ويجعلها قابعة في المنزل، وإذا أرادت الخروج عن هذه الدائرة الضيقة ظن بها الظنون.

ثم يصف العقاد المرأة بأنها ضعيفة ، وعند العقاد أن الولع بالممنوع والعناد خلاصة طبائع المرأة التي تنمي إلى أسباب كثيرة لا تنحصر في سبب واحد ، ولكن السبب الأكبر أنها تُؤمر وتُنهى ، وأنها تُؤمر وتنهى لأنها أضعف من آمرها وناهيها ، ولاتزال معه أبداً بين لذة الخضوع ولذة العصيان ، ولعلها لا تعصي إلا لتعود كرة أخرى إلى خضوع أعمق وأشهى من خضوع البداية ولا تولع المرأة بالممنوع لأنها محكومة وكفى، أو لأنها محكومة لضعفها واعتمادها على من يمنعها ، بل هي تولع بالممنوع لأنها تتدلل ولأنها تسئ الظن ولأنها تعاند ، ولأنها تجهل وتستطلع ، ولأنها موهونة الإرادة لا تطيق الصبر على محنة الغواية والامتناع . وكل أولئك عنوان لخصلة أخرى من ورائها، هي خصلة الضعف الأصيل [31] وإن العطف الذي تُعامل به إنما هو ناتج عن ضعفها ، وعندي أن هذا الرأي فيه الكثير من التعسف ، وإن نادت الشرائع الإسلامية بحسن معاملتها للمرأة فهذا لا يعني التقليل من شأنها أو أنها ضعيفة - كما يزعم العقاد بل على العكس فهو عزة

لها وكرامة ، فالله سبحانه وتعالى يقدرها حق تقدير فقد أكد الإسلام على دور المرأة في الحروب ومشاركتها للرجل في ذلك بما يتلاءم مع طبيعتها؛ فالمرأة تستطيع مشاركة الرجل في المعارك من خلال الاعتناء بالجرحى والعناية بهم، كما سجّل التاريخ مشاركة بعض النساء في المعارك من خلال القتال كما فعلت نسيبة بنت كعب المازنية التي زادت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم معركة أحد . ومن مظاهر تكريم الإسلام كذلك للمرأة أن أكّد على حقها في التعليم؛ سواءً كان بتحصيل العلم أو تعليم الناس، ومثال على ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت تعلم الناس علوم الفقه والشريعة رضي الله عنها وأرضاه، فالمرأة إذن صانعة الأجيال وملهمة الرجال.

ويستطرد شاعرنا في وصفه للمرأة، حيث يلحق بها **صفة العناد**، فهي عنيدة تفعل ما تُنهى عنه وتنتهي عما تؤمر به، وهي تغري الرجل، وعنده أن كل ولع كامن في المرأة يظهر في الولع بالممنوع (32)، مستنداً في ذلك على قول الشاعر الجاهلي (طفيل الغنوي)

إنَّ النساءَ كأشجارٍ نبتنَ معاً منها المرارُ وبعضُ المرِّ مأكولُ

إن النساء متى ينهينَ عن خُلق فإنَّه واجبٌ لا بد مفعولُ

ونراه يعزي سبب عنادها إلى أنها محكومة؛ وأن من دأب المحكوم أن يحن إلى التمرد والمخالفة، ويتلذذ العصيان للمسيطرين عليه؛ حتى يثبت وجوده. والذي عندي أن تمرد المحكوم على حاكمه صفة تشمل الرجال والنساء على حدٍ سواء لا النساء فقط كما يقول العقاد

التفاوت بين الجنسين:

المرأة والجريمة:

ويذهب العقاد إلى المقارنة بين المرأة والرجل في كثير من الأمور، ففي مسألة الإجرام مثلاً، يقول الأستاذ: إن المرأة ليست بأسلم جانباً من الرجل في هذا الجانب، لأنها أميل منه إلى الشحناء والشجار، ولقد أغناها عن أن تكون مجرمة بنفسها أنها تجرم بيد الرجل، لأن أكثر الجرائم إنما يقع بسببها ولأجلها، فهي تدرك ما تشاء من الجريمة دون أن تتحمل تبعاتها، وقلما تقع مصيبة أو كارثة – في رأي العقاد – إلا وكانت وراءها امرأة، فهي وإن كانت أقل من الرجل عبثاً فليس أقل منه خطايا وآثام (33) والمرأة وإن أجرمت، إلا إن إجرامها في الواقع دون إجرام الرجل، وليس هناك أدنى مقارنة بين نسبة إجرام الرجل وإجرام المرأة، أياً كان السبب في ذلك. ومن الغريب أن العقاد يجعل المرأة تجرم بيد الرجل. ولا يفعل الرجل ذلك إلا إذا وصل به الضعف أمامها بحيث لا يملك نفسه فتشكله المرأة على حسب هواها، فتجعله مجرماً!!

هذا ، ويستمر العقاد في ربطه بين المرأة والرجل في كل شيء كأنها كلبه الأمين ، فهي عنده لا تستطيع أن تؤدي في حياتها أبسط الأدوار التي يقوم بها -الرجل ، ثم يقول مجيباً على من يعزون سبب تفوق الرجل على المرأة بأن المرأة كان محجور عليها في القرون الماضية – يقول : إن الحجر نفسه دليل على التفوق ، ثم يستطرد أن المرأة لم يكن محجور عليها في طبخ الطعام بل زاولته قبل الرجل بألوف السنين ، ولكنه تفوق عليها ، كذلك الحال في استعمال أدوات الزينة ، حيث إن المرأة تلجأ إلى الرجل في أفانين التزيين) (34) يقول في ذلك : « فالمرأة لا تبتدئ ولا تبتدع في صناعة من الصناعات أو فن من الفنون ، وإن طال عملها فيه وانقطعت له أحقاباً بعد أحقاب . فإن شاركها الرجل في الطهي أو الخياطة أو النسيج أو التزيين أو التجميل

– وهي صانعتها التي غبرت على مزاولتها مئات الأحقاب – كان له السبق بالتجويد والافتتان، واستطاع في هذه الصناعات نفسها أن يستأثر بإقبال المرأة وثقتها دون أن ينافسه فيها من النساء. « [35]

ثم يستطرد العقاد في مقارنته بين مقدرة المرأة ومقدرة الرجل في شتى المجالات إذ يقول : ولا ينكشف قصور المرأة وتفوق الرجل عليها في فن من الفنون ، كما ينكشف في فن الغناء والموسيقى على الإجمال ، فقد ظُنَّ خطأ أن الغناء صناعة نسائية ينبغي أن تحذقها المرأة كما يحذقها الرجل أو تربى عليه ، وقد سنحت لها فرص الحذق والاتقان في هذا الفن بين القصور وفي الأكواخ والأسواق ، فلم يؤثر لها ابتكار في التلحين ولا اختراع في الآلات ولا افتنان في معاني التعبير بالألحان والأصوات ، إذ الواقع أن الابتداء بالغناء خاصة من خواص الرجل لامعنى لتفوق النساء فيها [36] وقد أعجبني جداً تبرير العقاد لتفوق الرجال على النساء في مسألة الغناء لأنه فعلا « كل ميسر لما خلق له» يقول: « ولهذا يستوفي صوت الرجل نماءه بعد البلوغ ويعظم تجويف صدره وتكمل أوتار حنجرته وتتم له عدة المخارج الصوتية حينما تتم له مقومات الرجولة وممتلكاتها... وينعكس الأمر إذا سُلب هذه المقومات والملكات، فتضعف حنجرته وتضيق كتفاه ويشتبه صوته بأصوات النساء والأطفال، وقلما يظهر التغيير على مخارج المرأة الصوتية بعد المراهقة أو بلوغها مبلغ النساء [37] وخلافاً لما ذهب إليه العقاد؛ لم يكن عدم تفوق المرأة على الرجل قصوراً منها، ولكن الأهلية التي وضعها الله لكل من الجنسين تختلف وظيفتها حسب كل جنس، فتفوق الرجل فيما يناسب طبيعته، بينما تفوقت المرأة فيما يناسبها، فلو قام الرجل مثلاً فادعى أنه يستطيع أن يزاحم المرأة في الحمل والولادة والرضاع، لقام في وجهه مكذب من تركيب الجسم ونظام أجهزته وأعضائه

ولا يفوت أستاذنا العقاد أن يطرق باب المرأة كعاملة وأديبة وينكر براعتها في الأدب وفي شعر المراثي على وجه الخصوص، فعنده أن المرأة منذ القدم كانت تنوح وتبكي وتطيل الرثاء والحداد وترثي موتاها، لكن مع ذلك لم نجد في الآداب العالمية مرثية من نظم شاعرة تضارع مراثي الفحول من الشعراء، الذين لم ينقطعوا للرثاء ولم ينظموا فيه إلا عرضاً. والذي عندي أن الشاعرة التي فاقت الرجال في شعر المراثي موجودة، وليس لنا أن نهضمها حقها، ألا وهي الخنساء. وهو وإن أنكر براعة المرأة في الأدب والفنون فإن قريحته أوحت له أن يكتب عن أم كلثوم قائلاً:

أم كلثـــوم يا بشير ... أ من الله بالـــــــرجاء
انت من وحيـــــه ... ولله في الفن أنبياء
ذلك الصوت صوتك الع ... ذب من عرشه نداء
فيه ســـر من جنة الـ ... خلد لكنـــــــــــه ضياء
فيه ما يرفع الحجاب ... ويكشف الغطاء [38]

ولا يفوتني في ختام هذا المبحث أن اسرد نصاً لأحد بنات حواء الذي اعتبره العقاد غروراً لكني أراه عين الصواب، يقول :» ليس إلا غرور كغرور بنت حواء يزين لها أن تقول للرجل : أنا ربة الجمال وصاحبة القوة فوق الجمال ،أسعى سعيك وأدأب دأبك وليس هذا كل ما عندي ، بل إنك لتعمل ولا عائق لك يثنيك عما أنت آخذ فيه ، أما أنا فأعمل كما تعمل في حين أنهض بأعباء الحمل والوضع والحضانة والتربية ، فأغالب عامل التعب والألم وأنت تنوء بواحدٍ منها ، ولا أراني قانعة بأن أكون مثلك ، فإني لأصلب منك عوداً وأشدَّ

جلداً وأجمل منظراً وأحدَّ ذكاءً

نساء في حياة العقاد:

هذا، وبعد العرض السريع للصفات التي ألحقها العقاد بالمرأة من خلال أدبه، لابد لي من وقفة سريعة مع نساء عرفهن العقاد وارتبط بهن في حياته. -ففي قصته (سارة)، تجد أن محبوبة العقاد سارة لم تكن تعرف للحياء سبيلاً شغلتها جواذب الجسد قبل أن تفقه معناها وتسمع باسمها ومسماها، فلما كانت بنيَّة دارجة في المدرسة ذهبت يوماً إلى كرسي الاعتراف تستغفر الكاهن عن مخالفة وصية من الوصايا العشر التي حفظتها وتتوب عن مغارفة الخطيئة التي دعوها في المدرسة (متعة أو ترفاً) – على سبيل الكناية، فذعر الكاهن ولم يصدق ما يسمع، واستعادها مرة بعد مرة ..... ماذا؟؟؟ فيما دون العاشرة وبين جدران المدرسة ليس فيها إلا البنات ولاتزال بنيَّة لم يكعب ثدياها وتغترف أم الخطايا التي يغترفها النساء والرجال؟ (39)

هذه هي سارة إحدى النساء اللاتي عرفهن العقاد، عرفت طريقها للخطيئة وهي طفلة لم تتجاوز العاشرة، والعقاد نفسه يذكر لنا أنها كانت تزوره دون تكلف وتصحبه أينما أراد، دون أن تلتفت إلى العرف والمبادئ والأخلاق، وتذهب بها الجرأة أن تعترف بأن علاقتها بالعقاد لم تكن الأولى، وتعترف بلا خجل بإيمانها بصداقة الرجال دون النساء وخلوتهم بها هنا وهناك (40)

فالعقاد معذور إن وصفها بالشذوذ والتخلي عن القيم والمبادئ ، فهي وثنية بكل المقاييس ، ومعذور أيضاً إن وصفها بكل الصفات الدنيئة التي تتمثل فيها وتتجسد في شخصها ، فها هو ذا يقول عنها : « هي من ذوات الملامح والوجوه اللواتي لا يطالعنك بمنظر واحد في محضرين متتاليين – تراها مرة فأنت مع طفلة لاهية ، تفتح عينيها البريئتين في دهشة الطفولة و سذاجة الفطرة بغير كلفة ولا رياء ، وتراها بعد حين – وقد تراها في يومها – فأنت مع عجوز ماكرة أفنت حياتها في مرامي كيد النساء ودهاء الرجال ، تضحك ضحكة فتعرض لك وجهاً لا يصلح لغير الشهوات ، وضحكة أخرى – وقد تكون على إثر الأولى – فذاك عقل يضحك ولب يسخر « (41)

إذن كيف للعقاد أن يعيب على المرأة التناقض، وقد استولى قلبه على امرأة بهذه الصفات المتناقضة؟؟؟

وكل نساء العقاد اللاتي عرفهن لم يخرجن من هذا المسار، فهن شبيهات (بسارة) وإن كان لبعضهم بقية من حياء مثل (مي زيادة) و(هدية الكروان).

لكن الذي لا يُعقل أن يجعل العقاد هؤلاء النسوة مثالاً لكل نساء العالم فيصدر الحكم عليهن بالسلوك السافل الدنئ، ثم إن العقاد نفسه يدرك مكانتهن جيداً، لذلك وجدناه يصف إحدى محبوباته (الممثلة) بقوله

لوقيل بنت الهوى صدقتهم في المقال
ورثه في السخاء وفي شيوع النوال
لوكان فيك بقائي لم تخطري لي ببال
من بالهوى يبالي
كوني إذن حيث كنتي
قد هنتِ والله هنتِ

خذي عشيقين مثلي بل خذي الناس طرا
يلقاك هذا باليـــــل وذاك يلقاك ظهرا
ان تخدعيني رب نبل يخدعك نذلان مكرا
وتشربي الجام مرا
حتى يقال جننتِ
قد هنتِ والله هنتِ [42]

فهذه الممثلة خائنة ولوع بالملذات لا تحفظ جسدها أيام الغياب ومادامت تلك صفاتها فحري بالعقاد أن يصفها بكل الصفات السابقة الذكر، ولكن ليس من حقه أن يعمم هذه الصفات على جميع النساء، إذن هذه هي الممثلة كما عرفها العقاد غادرة غاوية، ويقول فيها أيضاً

هـــــذي فتاتي هـــــذه هي لا خلاف ولا اشتباه
هي في بديع قوامها هي في الصبا هي في حلاه
هي في غوايتها وآه من غوايتها وآه

****

لا تخدعني يابنية بالوفاء من اللسان
خنا وخنتي ولا أقول سلي فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معا والآن نحن الباقيان [43]

كما يصفها بعدم الوفاء إذ يقول:

هيا اسأليني واسمعي مني الجواب بلا مراء
أوفيتي لي؟ كلا لكني وفيت لك الجزاء
وكذاك أنتي وإن حلفتي وآه من حلف النساء [44]

والملاحظة الجديرة بالذكر أعلاه قولة (وآه من حلف النساء) إذ كان الأجدر أن يقول (حلفك يا سمراء) بدلاً من (حلف النساء) – لأن الممثلة كانت تدعى السمراء، لكنه العقاد يأخذ صفات محبوباته فيجعلها قاعدة عامة تشمل جميع النساء

ويكفي هنا ندحض تعميم آراء العقاد على المرأة بأن نذكره بمحبوبته (صاحبة الكروان) -الجدير بالذكر أن العقاد ترجم حبه لهذه الفتاة في ديوان أسماه (هدية الكروان) -كيف وصف بنفسه قداستها وعفتها وطهرها واعتدالها ووفائها (43) فبعد أن ملأت تلك المحبوبة حياة العقاد بهجة وضياء، وأخذت تحتل من قلبه الكبير المكان الذي كانت تتربع فيه سارة، فجأة يهدد هذا الهيام – سفر تلك المحبوبة إلى الصعيد في زيارة لبعض أهلها، فكانت خلال غيابها وفية لحبها تراسل محبوبها وتفقده (45)

فالعقاد نجده رغم وفاء محبوبته هذه يصفها بالخيانة وعدم الوفاء

خل الملام فليس يثنيها حب الخداع طبيعة فيها

ألا يكون حفظ هذه المحبوبة لعهده حتى في غيابها عنه ومراسلتها له أثناء البعد –ألا يكون ذلك دليلاً على وفائها، فلماذا يا ترى جردها من هذه الصفة، ربما لأنها من النوع المعتدل الذي يعطي بقدر على

خلاف محبوبته سارة والتي كانت ولوعاً بالملذات

كما نذكره بـ (مي زيادة) التي هي واحدة ممن عشقهن وهام بهن كيف كانت عفيفة طاهرة شريفة بعيدة عن اللهو والاغواء وكانت إذا غازلها العقاد مجرد مغازلة – تومي له بأصبعها كالمنذرة المتوعدة (46) فيبدو أن مي لعبت أخطر دور في حياة العقاد، لأنها أعطته من السعادة ما لم يكن يخطر له على بال، ولكنها وقفت أمامه نِداً لند وناوأت رجولته وسطوته وكبريائه، وصدمت أحلام العقاد بفرديتها واستغلالها وشبابها المتأنق المدرك لأصول العلاقات (47)

فالعقاد إذن أصبح محباً لـــــ (مي) بكل ما في الكلمة من معانٍ وموحيات، وإذا ما أحب العقاد فلابد من أن يكون لحبه ثمرة تطفي غليله الذي احترق به قلبه وتتنزه بها أحاسيسه، ومن هنا نراه يتلهف لتقبيل يد حبيبته، ويعد منعها له غضباً أو دلالاً أو خوفاً من الرقيب، فيقول:

صافحيني ألا مصافحة اليوم ولا قبلة على الكف عجلى
أغضبا تحمنيها أم دلالاً أم حذار الرقيب تأنين خجلي [48]

ويزداد تلهف العقاد على أن يقطف الفاكهة المحرمة، فهو لا يرضى من محبوبته أن يكون الحب طاهراً فقط، (كيف لا وهي وعيناها تحيران بما فيهما من شعاع وأنفها الذي يجمل تقاسيم وجهه، الذي يحتل فيه الفم الوردي عطر أنوثتها وبسمة فمها) (49) بل يريد منها أن تملأ قلبه بالحب الطاهر والحب الملتهب المتقد، ولكن ممن يريد العقاد أن يخطف تلك الفاكهة؟ من مي زيادة التي خُلقت راهبة في دير –على حد تعبير العقاد نفسه (50) - أمن هذه يريد أن يخطف الفاكهة كلا وألف كلا، بل إنها إذا تعدى حدوده نصبت من نفسها معلمة له وأشارت له ليقف عند حدوده (51)

هذه هي مي نراها تقف للعقاد بكل قوة وصرامة تقف له كالمنذرة المتوعدة، أولا يكفي هذا بأن يكون دليلاً على قوة المرأة لا ضعفها؟! وبعد كل هذه الصفات التي الحقها العقاد بالمرأة وأغضبها بها، يرجع لينصفها حقها، في رده على (أوتووبتجر) الألماني الذي وصف المرأة بالقساوة وبلادة الحس مستنداً على ذلك بأنها تستطيع أن ترافق المرضى وتصبر على خدمة المصابين. يقول العقاد: (وأولى ذلك عندي أن يكون دليلاً على الاستغراق في عاطفة الرحمة لا الخلو منها ... إلى أن يقول: إن الشفقة إذا لجت بصاحبها فقد ينسى ألم المعذب الذي حرك شفقته حباً لإنقاذه وتخفيف ألمه، وقد يصبر على رؤيته في أشد ساعات الألم والحزن) (52)

ومما يعضد دفاع العقاد عن المرأة رده على علقمة بن عبدة في أبياته التي يقول فيها

إِنْ تَسْأَلُونِي بالنِّسَاءِ فإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَه وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِندَهُنَّ عَجِيبُ

يقول العقاد في هذا المجال مدافعاً عن المرأة: تحب المرأة الشباب لأنه نفحة الخلود، وتحب المال لأن به تثبت جدارة الرجل، ولا لوم عليها أن تريد ثراء المال ولا تعدل به الفقر والفاقة [53] وفوق كل هذا وذاك نجده صاحب رأي خاص في مسألة نزول المرأة إلى ميدان العمل، حيث إنه لا يمانع في شغل المرأة - فهذا حق من حقوقها – لكنه الشغل الذي يتفق واستعدادها الطبيعي لرعاية البيت والأمومة [54]

طويلة هي قصة العقاد مع المرأة، ولعله لخصها لنا في سطور ضمنها قصته الوحيدة (سارة) حين

قال: (حواء أخرجت الرجل من جنة وبناتها كل يوم يُخْرِجن من جنات ... فهل المرأة ضرة الجنة تغار منها غيرة الضرائر؟ لا ندري ولكنها هي المرأة أبداً لا تريد للرجل أن ينعم بغير نعيمها أو يسعد بغير سعادتها، وليس يعنيها أن تفرح معه كما يعنيها أن تكون سبب فرحه وينبوع سعادته دون كل ينبوع، ربما أرضاها أن تكون سبب ألمه وألمها، ولم يرضها أن تشاركه السعادة الوافية، إن كان للسعادة سبب سواها (55) وجملة ما يمكن أن يقال عن المرأة: إنها تريد في كل الحالات أن تكون شغل الرجل الشاغل وقد كانت من واقع أدب العقاد ... فهو إن وصفها بتلك الصفات ففي نظره هي الدنيا بكل محاسنها، هي الدنيا بكل ما تزخر من جمال وقبح وفرح وحزن هي الدنيا.. يقول:

ماذا من الدنيا – لعمري – أريد ... انتِ هي الدنيا فهل من مزيد؟
فيك لنا نـور ونـار معا ... وأنجـم زهـر وأفق بعيد
وفيك روض مسفـر عاطـر ... وجوهـر حـر ودر نضيـد
ونشـوة الخمـر إذا قُوبلـت ... نشـوة منك متـاع زهيد
وألف إن لم تكـن نجواه مـن ... نجـواك لغـو باطل لا يفيد [56]

وعلى كل فالعقاد أحب المرأة، ومهما يقسو عليها فسرعان ما يعود ليبرر تلك القسوة

أكذبيـي مـرة أو ... فاكذبينـي مرتيـن
لف ألف من أعاجيـ ... بك في غش وميـن
لن تبيد الفارق الخالد ... يا قـرة عينـي
والسماوات التي بيـ ... نك في اللب وبيني

****

اكذبينـي واكذبيني ... كلما شئـت اكذبيني
ما غناء اللب عنـدي ... إن أبى أن تخـدعيني
أنا في ثـروة وفرٍ ... منه مهما تسـلبيني
انقصـيها أي ضير؟ ... درهماً أو درهمـين [57]

بعد هذا العرض السريع لآراء العقاد حول المرأة، نقول: إذا كان العقاد قد هاجم المرأة بقسوة في كتبه ومقالاته، حتى حاول أن يسلبها أخص صفاتها حين قال: (تضحيات الأمومة تتساوى فيها مع بعض إناث الحيوان وليست فضلاً لها أو فضيلة) (58) فإن هذا الموقف يتلاشى تماماً في شعره وإذا به يعتذر إليها ويتحمل قسوتها وتدللها ويسمح لنفسه وهو الشامخ المعتز بكرامته أن يقبل يديها اللتين تجرحانه

أهجوك يا أكرم من أمدح ... ومن باطرائي لها أصدح
قاسيـة انتي ولكنني ... أقبل الكف التي تجرح
وأعظم القسوة تلك التي ... يلهو بها المجروح بل يفرح [59]

ونقول أيضاً: سواء اهاجم العقاد المرأة أو هادنها فقد دان لها وجاش بالدمع وما ارتوى يقول:

وأشكوه مايجيبني فينفر غاضباً ... وأعطفه نحوي فيعطف راضيـا

ولما تقضى الليل إلا أقلـــه وحان التنائي جشت بالدمع باكيا
ثم أليس هي المرأة التي جعلت العقاد يشدو قائلاً
وبي سكر تملكـــــني وأعجب كيف بي سكر
رددت الخمر عن شفتي لعــل جمالك الخمر

****

نعم أنتِ الرحيق لنا وأنت النور والعطـــر
وأنتِ السحر مقتدراً وهل غير الهوى سحر؟

وعندي أن ليس للمرأة أن تغضب من العقاد، بل عليها أن تكبره لأنه وقف إلى جانبها في العام 1912، فنادى بتعليمها تعليماً عاماً لا نسوياً، صاعداً بها إلى الأفق الأعلى من الثقافة الإنسانية الرحبة

خاتمـــة:

جمعت هذه الورقة بالوصف والتحليل آراء العقاد في المرأة، وتعميمه المغالي فيما وصفهن به من صفات رذيلة: كالرياء والخيانة وعدم الوفاء ...، معتمداً فيما ذهب إليه أن من بين النساء اللاتي عرفهن العقاد من لا يعرفن للحياء سبيلاً، ومنهن الضعيفة المتخاذلة التي لا سند لها سوى الرجل؛ فكان ذلك مدعاة له ليعمِّم آراءه على كل النساء.

النتائج:

من خلال هذا العرض توصلت الدراسة إلى النتائج التالية

- إن العقاد في علاقته بالمرأة لم يهتم بالصفات الجسدية والتشبيهات الحسية، بل كان جل اهتمامه بالصفات الروحية، حيث لجأ إلى الروح يكشف جمالها

- العقاد أحب المرأة بكل نبض من نبضات قلبه، وكان الحب الشريف الطاهر عنده (الحب الفردي)، فكان لا يرضى أن تكون المرأة مشاعة بين الرجال، وإذا أحب المرأة واكتشف أن لها علاقة برجل غيره – تركها، وهذا ما فعله مع بعض محبوباته، فوصفهن بالخيانة

- إن تعميم العقاد لآرائه حول المرأة على جميع النساء كان مبنياً أساساً على أن نوعية النساء اللاتي عرفهن كن من هذا القبيل

التوصيات:

فيما يتعلق بموضوع المرأة في أدب العقاد نوصي بالآتي

1- دراسة فلسفة الجمال عند العقاد

2-ويمكن إفراد دراسة مستقلة لفلسفة الحب عنده ومقارنة ذلك بالصفات التي ألحقها بالمرأة

3- كما نوصي بإفراد دراسة خاصة لمن عرفهن العقاد – كل على حدة –ودراسة صفات هؤلاء النسوة لمعرفة ما إذا كان العقاد محقا

المصادر والمراجع:

(1) سورة الروم: آية 21

(2) عباس محمود العقاد – المرأة في القرآن –وكالة الصحافة العربية (ناشرون) –الجيزة -ص5

(3) عباس محمود العقاد ، هذه الشجرة ، دار النهضة للطباعة والنشر مصر ، الفجالة القاهرة ص 4

(4) طفيل الغنوي ، ديوانه ، شرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي ، ص 82

(5) هذه الشجرة ص 5

(6) السابق، ص 9

(7) سورة طه ،آية 121

(8) سورة الجن ، آية 23

(9) سورة البقرة ، آية 236

(10) سورة البقرة ، آية 37

(11) سورة طه ، آية 122

(12) سورة الأعراف ، آية 22

(13) سورة الأعراف ، آية 19

(14) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي ،التفسير الكبير ، منشورات دار الكتب العلمية بيروت ، ط2 2004م – 1425هـ ، ج 3 ، ص 11- 12

(15) سورة الأعراف ، آية 20

(16) تلخيص الحبير - ابن حجر العسقلاني - ج ١ - الصفحة ٣٠٧

(17) كتاب الأربعين - الحسن بن سفيان النسوي - الصفحة ٥٨

(18) التفسير الكبير ، ج3 ، ص 12-14

(19) سورة الأعراف الآيات 20 ، 21 ، 22

(20) سورة البقرة ،آية 25-26

(12) د عبدالحي دياب – المرأة في حياة العقاد –ص 344

(22) عباس محمود العقاد – ديوان عابر سبيل - نهضة مصر-الجزء السابع – ص92

(23) عباس محمود العقاد – خمسة دواوين للعقاد –الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب -1973- الجزء الثاني – أعاصير مغرب – ص134

(24) د عبدالحي دياب – المرأة في حياة العقاد –ص 346

(25) العقاد – هذه الشجرة - ص80

(26) هذه الشجرة ، ص56

(27) العقاد – مطالعات في الكتب والحياة –دار المعارف -الطبعة الثالثة – 1386 ، 1966 – ص149

(82) هذه الشجرة ، ص 63

(92) عباس محمود العقاد – هذه الشجرة –دار نهضة مصر للطباعة والنشر 2008 – الطبعة 4- ص6

(30) عباس محمود العقاد – مراجعات في الأدب والفنون –المكتبة العصرية – 1966- الطبعة 1 -ص255

(31) هذه الشجرة ، ص 6

(32) د عبدالحي دياب – المرأة في حياة العقاد –الناشر القاهرة – دار الشعب - 1968 -ص 338

(33) العقاد – بين الكتب والناس –الطبعة الثانية – دار المعارف - 1985 – ص53

(34) السابق – ص 54

(35) هذه الشجرة، ،ص 41

(36) السابق ، ص42

(73) السابق ، الصفحة نفسها

(83) العقاد – بعد الأعاصير –ص 816

(39) العقاد- سارة – الطبعة الثالثة – دار المعارف - ص 84

(04) السابق- ص 85 وما بعدها

(41) السابق ،ص 99

(42) خمسة دواوين للعقاد – أعاصير مغرب – ص 135

(34) خمسة دواوين للعقاد – أعاصير مغرب – ص127

(44) ديوان العقاد – بعد الأعاصير – ص 778

(54) العقاد- هديه الكروان –الطبعة 1 – دار العودة للنشر - 1982 - ص 54 وما بعدها

(46) عامر العقاد –غراميات العقاد–الطبعة الأولى – 1971- دار الثقافة العربية – مصر -ص 58 ومابعدها و المرأة في حياة العقاد – د عبدالحي دياب – ص86

(47) المرأة في حياة العقاد ،ص 133

(48) ديوان العقاد ،المجلد الأول ، ص 312

(49) دواد سكاكيني ، مي زيادة في حياتها وآثارها ، دار المعارف ، ص 34

(50) راجع سارة ، ص 144

(51) المرأة في حياة العقاد ، ص 86

(52) مطالعات في الكتب والحياة –ص 165

(53) المرأة في حياة العقاد –ص 342

(54) عامر العقاد – لمحات في حياة العقاد المجهولة –بيروت – دار الكتاب العربي- 1968- الطبعة 1 - ص 183

(55) سارة –ص 128

(56) ديوان العقاد – ج4 – أشجان الليل – دار نهضة مصر للطباعة والنشر ص 303

(75) خمسة دواوين – العقاد – أعاصير مغرب – ص117

(85) أحمد عبد السلام ضيف – مع عباس محمود العقاد - الطبعة الخامسة – دار المعارف – 1988-ص 152

(95) أشجان الليل –ص 302

ظاهرة الأضداد ومشكلاتها في الترجمة الآلية (مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجًا)

د. مطـــيع أحمد مالك الطيب
جامعة أمدرمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، السودان، أمدرمان

د. عبد المحسن إسماعيل أربان شايبو
محاضر بمركز العفاف – مملكة كمبوديا – جنوب شرق آسيا

المستخلص:

بعد بحث مستفيض تحت عنوان: (ظاهرة الأضداد ومشكلاتها في الترجمة الآلية (مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجًا)، توصل الباحثان إلى نتائج مثمرة، التي يمكن حصرها في النقاط الآتية: إن الترجمة الآلية لا تستطيع أن تعمل كالعقل البشري، ولا يمكنها استيعاب المصطلحات ولا مراعاة الفروق الثقافية والاجتماعية من لغة إلى أخرى. إذ أنها تعتمد على ترجمة الحرف في أغلب أحوالها بالإضافة إلى المشاكل الصرفية والنحوية واللغوية، وبناء على ذاك فإن الترجمة الآلية غير صالحة البتة في ترجمة معاني القرآن الكريم، إذ يصعب على المترجم الآلي التفريق بين الصيغ الصرفية المشتركة، كما هو الحال في اتحاد اسمي الفاعل والمفعول، والترجمة الآلية عمومًا لا تراعي الأساليب والأغراض البلاغية والمجازية كالتهكم والسخرية والاستهزاء، كذلك لا يمكن للترجمة الآلية أن تترجم عناصر الثراء اللغوي بصفة عامة والمشترك اللفظي وألفاظ الأضداد بصفة خاصة إذ أن الكلمات متشابهة أو متطابقة خطًا ومختلفة معنىً، كما لا يمكن للترجمة الآلية أن تفرق بين علامات التشكيل والصور الإملائية لأنها لا تراعي السياق الذي هو أساس التفريق بين ألفاظ المشترك والأضداد؛ فهذا الأمر يمثل صعوبة حتى في الترجمة البشرية فضلا عن الآلية، ويمكن معالجة الأمر بما يلي: إنشاء قاعدة بيانات لغوية تمكن الحاسوب من تحقيق دقة عالية في ترجمة النصوص، تدريب الحاسوب على التفريق بين ألفاظ المشترك والأضداد بحسب السياق والعوامل الخارجية وذلك باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي من أجل أن ينمي الحاسوب قاعدته المعرفية ويحسن من معالجته للنص.. وهنا لابد أن يكون الأمر مصحوبا بمتابعة ومراجعة من قبل خبراء الترجمة، جعل الحاسوب ينمي قاعدته المعرفية واللغوية ذاتيا وذلك عن طريق التكرار والمتابعة وهذا الأمر ينتج عنه ما يسمى بـ (لغة التنبؤ). وانتهجت الورقة المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم الباحثان بوصف ظاهرة الأضداد وبيان إشكالاتها في الترجمة الآلية متخذين من مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجًا، ومحاولَين إيجاد حلول لهذه الإشكالات، وتحليل نتائج الترجمة التي ترجمت بواسطة قوقل. وقام البحث على أهداف سامية التي من ضمنها: التعريف بظاهرة الأضداد وبيان إشكالاتها في الترجمة الآلية، وضع حلول للصعوبات التي تواجه المترجم الآلي في ترجمة ألفاظ الأضداد. ووصى الباحثان بضرورة إنشاء تطبيق إلكتروني من قبل الجمعيات التي تهتم بتفسير القرآن الكريم بتنسيق بين علماء اللسانيات والترجمة والتفسير والأصول وغيرهم، بحيث تكون الترجمة دقيقة خالية من المشكلات التي تتطرق إليها الباحثان.

الكلمات المفتاحية: الأضداد، الترجمة الآلية، مترجم قول، مشاكل الترجمة

Abstract:

After an extensive research under the title: (The Phenomenon of Verbal Common in Machine Translation (Google Translator from Arabic to English as a model), the researchers reached fruitful results, which can be summarized in the following points: Machine translation cannot work like the human mind, and it cannot comprehend terms. It does not take into account the cultural and social differences from one language to another, as it relies on translating letters in most cases, in addition to morphological, grammatical and linguistic problems, and based on that, machine translation is not valid at all in translating the meanings of the Holy Qur'an. It is difficult for the automatic translator to differentiate between common morphological forms, as is the case in the linking of the active participle and the passive participle, and the automatic translation in general does not take into account the rhetorical and figurative methods and purposes such as satire, irony and mockery. Machine translation cannot translate the elements of linguistic richness in general and the verbal common and the words of opposites in particular, since the words are similar or identical in writing and have different meanings. Also, machine translation cannot differentiate between diacritics and orthographical images because it does not take into account the context, which is the basis for differentiating between common and opposite words; This is difficult even in human, as well as machine translation. The matter can be dealt with as follows: creating a language database that enables the computer to achieve high accuracy in translating texts, training the computer to differentiate between common words and opposites according to context and external factors, using artificial intelligence techniques in order for the computer to develop its knowledge base and improve its text processing. Here, the matter must be accompanied by follow-up and review by translation experts, making the computer self-develop its knowledge and linguistic base through repetition and follow-up, and this results

in the so-called (prediction language). The paper adopted the descriptive analytical approach, where the two researchers describe the phenomenon of opposites and explain its problems in machine translation, using the Google translator from Arabic to English as a model, trying to find solutions to these problems, and analyzing the translation results that were translated by Google. The research was based on lofty goals, including: defining the phenomenon of opposites and clarifying its problems in machine translation, and developing solutions to the difficulties that face the machine translator in translating words of opposites. The two researchers recommended the necessity of creating an electronic application by associations concerned with the interpretation of the Holy Qur'an in coordination between linguists, translation, interpretation, origins and others, so that the translation is accurate and free from the problems addressed by the two researchers.

مقدمة:

منذ العصور الأولى والعربية تتميز بأنها لغة رفيعة، ويكفيها شرفًا أنها لغة وسعت معاني النصوص الشرعية ، فهي لغة عظيمة القدر والمكانة والمعنى ، حوت الثقافات المتنوعة ، وترجمت نصوصها إلى لغات مختلفة في الأصل ، ومازالت تعاني البحوث العلمية الخاصة بالترجمة فجوة كبيرة وتحتاج إلى جهود جبارة لتتضيق هذه الفجوة ، وإيمانًا بهذا الدور الأعظم فقد رأى الباحث أن يتناول هذه الورقة تحت عنوان (ظاهرة الأضداد وإشكالاتها في الترجمة الآلية (مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجًا) ، وتجيء الورقة في مقدمة وتمهيد و وثلاثة مباحث ونتائج وتوصيات وخاتمة.

إشكالية البحث وأهميته: الإقبال على تعلم اللغة العربية والبحث عن مفرداتها ودقة اللغة العربية عجزت وسائل الترجمة الحديثة من احتوائه، فتتعرض هذه الورقة على هذه الإشكالية البحثية في الترجمة ووضع حلول ومقترحات لها، وتكمن أهمية الورقة في كشف أخطاء الترجمة الآلية المتعلقة بألفاظ الأضداد، ومدى التعامل مع هذه الأخطاء وترجمتها ترجمة صحيحة.

فرضيات البحث:

إمكانية وضع حلول لمشاكل وسائل الترجمة الحديثة كمترجم جوجلGoogle translator

يهدف البحث إلى: التعريف بظاهرة الأضداد وبيان إشكالاتها في الترجمة الآلية، وضع حلول للصعوبات التي تواجه المترجم الآلي في ترجمة ألفاظ الأضداد.

منهج البحث: يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم الباحثان بوصف ظاهرة الأضداد وبيان إشكالاتها في الترجمة الآلية متخذين من مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجًا، ومحاولين إيجاد حلول لهذه الإشكالات، وتحليل نتائج الترجمة التي ترجمت بواسطة قوقل.

حدود البحث:

موضوعية: ظاهرة الأضداد وإشكالاتها في الترجمة الآلية، مكانية: مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجًا، زمانية: مترجم قوقل بتصميمه الحالي يناير 2021 م.

هيكل البحث:

تقوم الورقة على ثلاثة مباحث؛ لتضييق هوة مشكلات الترجمة الآلية التي تتعلق بظاهرة الأضداد، وتجيء كالآتي: المبحث الأول: ظاهرة الأضداد في التراث العربي والبحوث العربية الأصيلة، المبحث الثاني: مفهوم الترجمة الآلية وأهميتها وإشكالاتها، المبحث الثالث: آفاق وحلول لإشكالات الترجمة الآلية لألفاظ الأضداد عبر الوسائل الحديثة.

تمهيد:

تلعب الترجمة دورًا كبيرًا في نقل العلوم والمعارف، وتكمن أهميتها وقيمتها في التعرف على العلوم والثقافات المختلفة، ولا يمكن نقل الأفكار والعلوم بين الشعوب المختلفة بصورتها الصحيحة ومفاهيمها السليمة دون المعرفة الدقيقة بالترجمة. ولما كان للشعوب لغات مختلفة وثقافات متباينة، كان لزاما على المترجم أن يراعي اختلاف الثقافات والعادات عند ترجمة النص، وأن يراعي الخصائص التي تتميز بها كل لغة؛ حتى لا يسقط في وحل أخطاء الترجمة. وينبغي على المترجم أن يفرق بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي والاستعمالي. وكذلك يجب عليه أن يراعي فروق الأساليب اللغوية في اللغة المصدر واللغة الهدف كالأساليب النحوية والبلاغية وأساليب السخرية والتهكم والمبالغة وغيرها. وفي العصر الحديث ومع تطور العلم والتكنولوجيا أصبحت الترجمة عبر الحاسب الآلي تحتل أهمية كبيرة وهي ما تسمى بـ(الترجمة الآلية).

والترجمة الآلية رغم أهميتها وشهرتها إلا أنها غير دقيقة في ترجمة النص، إذ أنها لا تهتم بالسياقات، ولا تراعي العوامل المحيطة بالنص، ولا تستطيع الترجمة الآلية نقل الشعور والأحاسيس. ويزداد الأمر تعقيدا في الترجمة الآلية عند ترجمة عناصر الثراء اللغوي (الترادف، الاشتقاق، المشترك اللفظي، الأضداد). وعند ترجمة الكلمات التي تحمل أكثر من معنى لا يستطيع الحاسب الآلي إعطاء المعنى المطلوب. وإن ترجمها غالبا ما تكون الترجمة في هذه الحالة ترجمة حرفية. ومن هذا المنطلق تناولت الدراسة أحد عناصر الثراء اللغوي وهو(الأضداد) وإشكالاته في الترجمة الآلية؛ وكيفية التعامل مع هذه الإشكالات.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في أنها تبين أخطاء الترجمة الآلية لألفاظ الأضداد، وكيفية التعامل مع هذه الأخطاء وترجمتها ترجمة صحيحة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- التعريف بظاهرة الأضداد وبيان إشكالاتها في الترجمة الآلية.
- وضع حلول للصعوبات التي تواجه المترجم الآلي في ترجمة ألفاظ الأضداد.

منهج البحث:

اتبع الباحثان في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث قام الباحثان بوصف ظاهرة الأضداد وبيان إشكالاتها في الترجمة الآلية متخذين من مترجم قوقل من العربية إلى الإنجليزية أنموذجا ومحاولين إيجاد حلول لهذه الإشكالات، وتحليل نتائج ترجمة قوقل.

أسئلة الدراسة:

هنالك عدة أسئلة يحاول الباحثان أن يجيبا عليها من خلال هذه الدراسة من أهمها:

- ما الأخطاء في الترجمة الآلية لكلمات الأضداد؟
- وما أسباب هذه الأخطاء في ترجمة الآلية لكلمات الأضداد؟
- وكيف نعالج مثل هذه الأخطاء؟

مفهوم الأضداد:

لا نقصد الأضداد بمعناه اللغوي المعجمي أي الكلمة وعكسها، وإنما المقصود الأضداد بمفهومه الاصطلاحي لدى علماء اللغة: وهو أن تدل الكلمة الواحدة على معنيين متضادين ، ويسمى أيضاً ب»التضاد». يقول ابن الأنباري :» إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر[1]. قال السيوطي في المزهر :» قال أهل الأصول : مفهوماً اللفظ المشترك إمَّا أن يتباينا ، بأن يمكن اجتماعهمافي الصدق على شيء واحد كالحيض والطهر ، فإنهما مدلولا القرء ، ولا يجوز اجتماعهما لواحد في زمان واحد أو يتواصلا[2].

أسباب ظهور التضاد في اللغة:

ذكر العلماء عدة أسباب لوجود ظاهرة التضاد، وتتلخص أهم هذه الأسباب فيما يلي:

1- الإدغام والإعلال يلعبان دوراً كبيراً في وجود هذه الظاهرة [3]. وأمّا الإدغام فنحو قولك: أنا معتدّ لك بكذا وكذا وهذا أمر معتدّ به. فأصل الفاعل «معتدِد» كمقتطِع وأصل المفعول «معتدَد» كمقتطَع.

فالإعلال أمثلته كثيرة منها:

- «هذا رجل معتاد للخير وهذا أمر معتاد وهذا فرس مقتاد إذا قاده صاحبه والصاحب مقتاد له»[4].

ومن ذلك كلمة «مختار» التي تصلح لاسم الفاعل ولاسم المفعول، فالإعلال الصرفي جعل اسمي الفاعل والمفعول يتحدان هيئةً ولفظاً، إذ أصل الفعل «اختار» من «الاختيار» فيكون اسم الفاعل « مختَيِر» فعندما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قُلِبت إلى ياء، وكذلك في اسم المفعول تحولت «مختَيَر» إلى «مختار» لنفس العلة الصرفية، فإتحدت صورة اسم الفاعل مع اسم المفعول. وقريب من هذا دلالة الصيغ الصرفية على الفاعلية تارةً وعلى المفعولية تارةً أخرى، ومن أمثلة ذلك:

- كلمة «الأمين» تأتي بمعنى المؤتمِن والمؤتمَن.

- كلمة «مستور» وردت اسم مفعول كما وردت اسم فاعل ، ووروودها بمعنى اسم المفعول كثير، ولا يحتاج إلى شاهد، أمَّا مجيئها بمعنى اسم الفاعل ففي قوله تعالى:» وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا «[5]، أي ساتراً. يقول ربحي كمال:» إنه أمر مألوف في اللغات السامية إطلاق اسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، وإطلاق اسم المفعول وإرادة الفاعل، وذلك على سبيل المجاز العقلي «[6].

قال بعض العلماء إنَّ أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين، وإن كان ابن سيده قد اعترض على هذا القول بقوله: وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً «[7].»بل يرون ان الالفاظ المشتركة كانت تحمل في أصل الوضع معاني، لكنها نقلت- بسبب الاستعمال- إلى معانٍ اخرى مجازية « [8].

ذكر بعضهم أنَّ لاختلاف اللهجات سبباً في ظهور التضاد، فقد نجد الكلمة مستخدمة بمعنى في لهجة معينة، ونجدها بمعنى مضاد له في لهجة أخرى. يقول ابن الأنباري: الجون الأبيض في لغة حي من العرب، والجون الأسود في لغة حي آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر»[9].كذلك قد ينشأ التضاد نتيجة أسباب اجتماعية، كالتلطف في التعبير والتأدب مع الغير، ومثال ذلك: إطلاق كلمة «البصير» على الأعمى، وإطلاق «المولى» على العبد[10].كذلك من أمثلة الأسباب الاجتماعية لظاهرة التضاد إطلاق كلمة «السليم» على الملدوغ من باب التفاؤل.

قال الأخفش: السليم: الملدوغ وقيل له: سليمٌ تفاؤلاً له بالسلامة [11]. قد ينشأ التضاد نتيجة المبالغة في الوصف وزيادة القوة في التعبير، ليجذب انتباه السامع، يقول محمد الأنطاكي:» ألا ترانا إذا أعجبنا بشخص قلنا عنه: ابن كلب - شيطان – ملعون، وإذا استحسنا شيئاً قلنا عنه: إنه فظيع. وقد حدثنا التاريخ أن أحد خلفاء العرب في الأندلس سمَّى إحدى جواريه «قبيحة» لشدة جمالها «[12].

وذكر العلماء كذلك من أسباب التضاد أن اللفظ إذا وقع على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد، ثم تفرع إلى معنيين على جهة الاتساع. ومن أمثلتهم على ذلك «الصارخ» للمغيث والمستغيث، وسميا بذلك لأنَّ المغيث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فأصلهما من باب واحد. كذلك كلمة «الطرب» تأتي بمعنى الفرح وتأتي بمعنى الحزن، قال ابن الأنباري:» الطرب خفة تلحق الأنسان في وقت فرحه وحزنه «[13]. قد يجيء التضاد بسبب الاستهزاء والسخرية، يقول ابن الأنباري:» قد يكون الضد للتهكم والسخرية، كقولهم للجاهل إذا استهزءوا به: يا عاقل، ومنه قوله تعالى:» ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ «[14] ومن أسباب التضاد أيضاً اقتراض العرب من اللغات المجاورة، وضربوا أمثلة على ذلك منها:

- لفظ «الجلل» فقد أخذته العربية من العبرية، وأعطته العربية معنيين متضادين هما: « عظيم - وحقير « يقول ربحي كمال: « إنَّ للكلمة في العبرية معنيين متضادين هما « الكتلة الصغيرة – والحجر الكبير الثقيل «[15].

- كلمة «بسل» العربية التي تعني: الحلال والحرام، وهي في العبرية بمعنى غير الجائز شرعاً، وفي الآرامية بمعنى غير الصالح أو الملائم، كما يطلق على غير الكفء أو المؤهل وعلى الشيء المنبوذ»[16]. فهذه هي أهمَّ الأسباب التي أدت إلى ظاهرة الأضداد ً، وقد تزيد عند بعض العلماء لكن ركز الباحث على أكثرها أهمية وشهرةً، والتي أجمع عليها علماء اللغة دون خلاف بينهم.

أهمية الترجمة الآلية وتاريخها:

في ظل ما يشهده العالم اليوم من تطور في مجال التكنولوجيا. التي أصبح لا غنى عنها في شتى المجالات، باتت الترجمة الآلية تلعب دورها مع تطور وسائل الاتصال والعولمة، ففي وسط هذه الأجواء أصبحت المؤسسات بمختلف أنواعها تسعى إلى التواصل العالمي الثقافي والعلمي والمعرفي والتجاري والصناعي. ومن هنا برزت الحاجة إلى وسائل مساعدة للترجمة، فظهر ما يعرف بـ (الترجمة الآلية).

تاريخ الترجمة الآلية:

وتعرف الترجمة الآلية بأنها الترجمة التي تتم باستخدام أحدث تقنية، دون تدخل العنصر البشري في عملية الترجمة[17]. يعد القرن السابع عشر هو البداية لظهور ما يسمى بـ (الترجمة الآلية). وعلى الرغم من أن فكرة الترجمة الآلية ظهرت أولا في القرن السابع عشر إلّا أنّ التطبيق الفعلي لها لم يظهر إلّا في منتصف القرن التاسع عشر أي بعد الحرب العالمية الثانية. تضمنت تجربة جورج تاون (بالإنجليزية: Georgetown) في عام 1954م تُرجمت ستّون جملة ترجمة آلية من اللغة الروسيّة إلى الإنجليزية. كما لاقت التجربة نجاحاً هائلاً، وتمويلاً مالياً لأبحاث الترجمة الآليّة. إدّعى المبتكرون أنّ مشكلة الترجمة الآلية ستُحلّ خلال ثلاث إلى خمس سنوات. ولكن كان التطوّر الحقيقي أبطأ بكثير، وبعد أن توصل تقرير الباك (ALPAC) في عام 1966م إلى أنّ بحث العشر السنوات قد خيّب الآمال، انخفض التمويل بدرجة كبيرة. ومع آواخر الثمانينيّات زادت القوة الحاسوبية، وأصبح الحاسب أقل تكلفة مما أدّى إلى اهتماماً ظاهراً في النّماذج الإحصائية للتّرجمة الآليّة.

اقترحَ أ.د. بووث (Booth.D.A) في عام 1946 م فكرة استخدام الحواسيب الرّقميّة لترجمة اللغات الإنسانية. وفي عام 1954 م أثبتت التجربة في مبادئ الترجمة من الإنجليزية إلى الفرنسية على أجهزة أبيكسي (APEXC) في كليّة بيربيك (Birbeck) بجامعة لندن أنّ تجربة جورج تاون لم تكن أوّل تطبيق في هذا المجال[18].

أهداف الترجمة الآلية: تهدف الترجمة الآلية إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما:

1. **توفير التكلفة المادية:** إن الاعتماد على عناصر بشرية في الترجمة يفرض تكلفة أكثر مقارنة بالاستعانة بالآلة لذا ظهرت الترجمة الآلية لتقدم حلاً لهذه المشكلة، والترجمة الآلية حاليًا تخفض تكلفة الترجمة بسبة تتراوح بين 20% إلى 40% اعتمادًا على عوامل منها نوعية النص ومستوى التخصص.
2. **توفير الوقت:** تتفوق الترجمة الآلية على الترجمة البشرية من حيث السرعة ويمكن عن طريق الأساليب والآليات المستخدمة في الترجمة الآلية تقليل وقت الترجمة مقارنة بالعنصر البشري بنسبة تتراوح ما بين 25% إلى 50%. لكن الاعتماد كلياً على الترجمة الآلية يغفل حقيقة أن الاتصال في لغة الإنسان هو جزء لا يتجزأ من السياق، وأن الإنسان هو القادر على فهم سياق النص الأصلي على نحو كاف. كما أن الترجمة التي يستخدم فيها القدرات البشرية فقط هي عرضة للخطأ. لذلك وحتى نضمن أن تكون الترجمة الآلية عالية الجودة ومفيدة للإنسان، لابد من أن يقوم المترجم «الإنسان» بمراجعتها وتصحيحها.

أهم مشاكل الترجمة الآلية:

للترجمة الآلية عدة مشاكل، لعل من أهمها ما يلي: إن برامج الترجمة الآلية لا تعمل كالعقل البشري؛ لذلك لا يمكنها استيعاب المصطلحات والفروق الثقافية من لغة إلى أخرى. تعتمد على ترجمة حرفية لأغلب النصوص بالإضافة إلى المشاكل النحوية والقواعدية واللغوية. لا يمكن لبرامج الترجمة الآلية أن تترجم

المفردات المتشابهة بالكتابة وتحمل معانٍ مختلفة وخاصة في اللغة العربية. لا يمكن لبرامج الترجمة الآلية في كثير من النصوص الآلية إدارك الفروقات في علامة التشكيل الإملائية. كذلك نجد أنها لا تراعي إعادة ترتيب االكلمات وعدم دراسة تأثير السياق على معاني الكلمات في الترجمة. وأيضا لم يكن للتحليل الدلالي دور في برمجيات الترجمة الآلية.

آفاق وحلول لإشكالات الترجمة الآلية لألفاظ الأضداد عبر الوسائل الحديثة:

لاريب في أن اختلاف المجال الدلالي للفظين يبدوان مترادفين من شأنه أن يؤدي إلى إشكالات في الترجمة بصفة عامة، والترجمة الآلية بصفة خاصة ، ويظهر ذلك في موضعين:

1. اتساع مدلول الكلمة في لغة ما وضيق مدلولها في لغة اخري: ومن ذلك في القران الكريم: كلمة (أب) التي تستخدم للأب والجد، فهي للأب في قوله تعالى:» ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم»[النساء:22] فهي تقابل father في الانجليزية، وتستخدم للجد في قوله تعالي» ملة أبيكم إبراهيم «[الحج: 78] والتي يقابلها في الانجليزيةforefather[19].
2. استخدام الكلمة في أكثر من معني في لغة وفي معني واحد في لغة أخري: ومن ذلك كلمة (آثار) في القرآن الكريم؛ فهي تترجم الي effects في قوله تعالي «فانظر الي آثار رحمة ربك» والي traces في قوله تعالي: « كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا « غافر 21. والي footsteps في قوله تعالي « فلعلك باخع نفسك علي آثارهم».[20] ويزداد الأمر تعقيدا في ترجمة كلمات الأضداد؛ وذلك عندما يكون اللفظ يحمل معنيين متضادين في لغة ما؛ ويحمل معنى واحدا في لغة أخرى. وهذه بعض الأمثلة لهذه الظاهرة.

أمثلة لإشكالات الأضداد في الترجمة الآلية:

- **وراء:** تأتي وراء للدلالة على أربعة معانٍ، وهي كما يلي: تجيء وراء بمعنى «خلف» وهو المعنى المشهور، والشواهد عليها كثيرة، ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى:(فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) [21]. فهنا تترجم عبارة (وراء ظهورهم) في ترجمة قوقل بـ(backs their Behind)، وهنا قام مترجم قوقل بترجمة العبارة ترجمة صحيحة. وتاتي تارةً بمعنى «أمام» ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ :(وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [22]. (كان وراءهم ملك) أي: أمامهم ملك، وكان ابن عباس يقرؤها: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا[23]. فهنا تترجم عبارة (كان وراءهم) في مترجم قوقل بـ(them behind was)، وهنا لا يستطيع مترجم قوقل إعطاء المعنى الحقيقي لهذه الجملة وذلك بسبب حمل الكلمة لمعنى مضاد، ومثل هذه الكلمات لا يمكن ترجمتها ترجمة صحيحة إلا بمراجعة المترجم البشري، فمثل هذه العبارة كان ينبغي أن تترجم بـ(was them of front in)، أي كان أمامهم. ومن إطلاق «وراء» بمعنى «أمام» في كلام العرب؛ قول لبيد[24]:

أليس ورائي إن تراخت منيتي *** لزوم العصا تحني عليها الأصابع.

السليم:

تطلق كلمة السليم على المعافى؛ وهذا شائع وكثير، وتترجم إلى الإنجليزية بكلمة (Intact). وكذلك العرب تسمي اللديغ (سليم) تفاؤلاً، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم، قال: (مررنا بقوم مع بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فسألنا هؤلاء القوم القرى -أي: حق

الضيف الذي يكرم به- فأبوا أن يكرمونا، فلدغ سيدهم، فجاءوا إلينا وقالوا: إن سيد هذا الوادي سليم) أي: لديغ، فيطلقون السليم على اللديغ تفاؤلاً بالشفاء، فمن العلماء من قال: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [25]. أي: لديغ من مخافة الله عز وجل، فمخافة الله تسربت إليه، فكأنها لدغته،

وفي هذا الحالة لا يستطيع المترجم البشري ترجمة هذا المعنى ما لم يكن على دراية كاملة بالنص والمقام الذي قيلت فيه هذه الجملة ومعرفة ثقافة المجتمع والموطن الذي قيلت فيه الكلمة، فمن باب أولى ألا يستطيع المترجم الآلي إعطاء المعنى المطلوب. فترجمة هذه الجملة عبر قوقل هي كالآتي، (master The healthy is valley this of)، وهنا ترجمت كلمة (السليم) بكلمة (healthy) التي تعنى: (صحي أو سليم)، وبهذه الترجمة فسد المعنى تماما.

المولى:

تأتي كلمة (المولى) بمعنى السيد، وهي من أسماء الله عز وجل؛ وهذا ذائع ومعروف،وتترجم بكلمة (Lord). وعند ترجمة جملة (الله مولى الذين آمنوا) عبر قوقل فإنها تترجم إلى (of Lord the is God believe who those)، وهنا استطاعت الترجمة الآلية عبر قوقل إعطاء المعنى الحقيقي للكلمة. ولكنها عندما ترد بمعنى: (الخادم) وهو كذلك معنى مشهور؛ فإن مقابلها في الإنجليزية هو كلمة (Slave) ، فنلاحظ عند ترجمة كلمة المولى بهذا المعنى من خلال جملة (هو مولى لبني هاشم) مثلاً، أن مترجم قوقل يترجمها إلى (Hashem Bani of sire the is He)، هنا وإن كانت الترجمة مقبولة إلى حد ما، إلا أنها لم تكن ترجمة دقيقة كما لو استخدم مثلا كلمة (enslaved) فإنها أكثر دقة ووضوحا، **كلمة «مختار»**: وهذه الكلمة تصلح أن تكون اسم فاعل كما تصلح أن تكون اسم مفعول ، فالإعلال الصرفي جعل اسمي الفاعل والمفعول يتحدان هيئةً ولفظاً ، إذ أصل الفعل «اختار» من «الاختيار» فيكون اسم الفاعل « مختَيِر» فعندما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قُلِبت إلى ياء ، وكذلك في اسم المفعول تحولت «مختَيَر» إلى «مختار» لنفس العلة الصرفية ، فاتحدت صورة اسم الفاعل مع اسم المفعول. فلا يستطيع مترجم قوقل التمييز بين اسمي الفاعل والمفعول؛ عند اتحادهما في صورة واحدة؛ وهذا الأمر ليس حصريا في كلمة (مختار) وإنما في جميع الصيغ التي تتحد فيها اسم الفاعل واسم المفعول؛ وفي مثل هذه الحالة يفضل اختيار كلمات غير مشتركة؛ أو مراجعة نتائج الترجمة الآلية عبر مترجم بشري محترف للتدقيق والتفريق بينهما.

توَّاب:

تطلق كلمة»توَّاب» على الله عزَّ وجلّ الذي يقبل التوبة، وفي سنن ابن ماجه، عن ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول: (رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم) مائة مرة [26]. وتطلق كلمة «توَّاب» على فاعل التوبة، وفي القرآن الكريم قال الله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)) [27]. وهي صيغة مبالغة على وزن «فعَّال»، فدلَّتْ الصيغة في الآية الأولى على فاعل التوبة، وفي الآية الثانية على الذي يقبل التوبة، مع دلالة الوزن على الكثرة في السياقين. وهنا تترجم الكلمة في الجملتين ب(Rebented). وهنا المسئول عن صحة الترجمة وتحديد المعنى هو السياق.

- **دون:** تأتي بمعنى تحت، وفي الذكر الحكيم:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [28] «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ»: أي ما دون الشرك والكفر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركاً ولا

كفراً[29]، أي : ما تحت الشرك. فتترجم كلمة (دون) هنا عبر قوقل بـ(under). وتأتي طوراً بمعنى فوق، كما في قوله تعالى:(وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ) [30]. «وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ» أي: لم تكن مهمتهم الغوص فقط وإنما كان سليمان يسخرهم ويكلفهم بأعمال أخرى كثيرة كبناء المدائن والقصور وصنع التماثيل والمحاريب [31].

وكلمة (دون) هنا تترجم في قوقل بـ(تحت)، وليس هذا المعنى المطلوب في هذه الآية. (under) والترجمة الصحيحة لهذه المفردة في هذا السياق هو (over) بمعنى (فوق)، فهنا حتى المترجم البشري المتمكن لا يستطيع ترجمة الآية ما لم يكن على دراية بمعنى الآية.

راضٍ:

تصلح أن تكون اسم فاعل، قال الله عزَّ وجلَّ: (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) [32]، وهنا تترجم كلمة (راض) بكلمة (satisfied) وهذه ترجمة صحيحة، وتصلح كذلك أن تكون اسم مفعول بمعنى «مرضيّ» كما في قول الحق تبارك وتعالى:(فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) [33]. ولكن ترجمة الكلمة في الآية الأولى لا تصلح في ترجمة الآية الثانية، رغم أنها في قوقل تترجم بالكلمة نفسها، إلا أن قوقل لا يمكنه إدراك السياق هنا. فالحل الأمثل هنا هو متابعة الترجمة الناتجة عن قوقل بمترجم بشرى متمكن. وخاصة عندما يتعلق الأمر بترجمة الآيات القرآنية حتى المترجم البشري وحده لا يستطيع إعطاء المعنى الحقيقي لكلمات القرآن الكريم وإن كان متمكنا، لأن ترجمة القرآن ليس عبثاً لا بد من لجان خاصة ومتمكنة لهذا الغرض. مع العلم أن اللغات الأخرى في أغلب الأحيان لا تستطيع أن تحمل الكثير من معاني القرآن الكريم.

شرى:

تأتي بمعنى «اشترى» كما في قول الله تعالى:(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) [34].

وعند إدخال جملة (الذي اشتراه) إلى مترجم قوقل فإنه يترجمها:(which bought it)، وهنا الخطأ في ترجمة ضمير الغائب العاقل بكلمة(it)، التي ستخدم لغير العاقل، والقصة هنا تتحدث عن يوسف عليه السلام، فالصحيح استخدام الضمير(him). ومن معاني كلمة (شرى) أنها تأتي بمعنى (باع)، ومن ذلك قول الله تعالى :(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) [35].

عن الضحاك رضي الله عنه وشروه بثمن بخس قال: باعوه[36]، وهنا إذا أدخلنا هذه الجملة (شروه) في ترجمة آلية لا يستطيع الحاسوب ترجمة الكلمة بأي معنى لا بـ(الشراء) ولا بـ(البيع) لأن الكلمة حدث في حذف لبعض الحروف تخفيفا ، ولا يستطيع الحاسوب معرفة الحروف المحذوفة . وعند رد الحروف المحذوفة تصبح الجملة(اشتروه) وهنا يقوم الحاسوب بترجمتها بـ(they bought). وهذا أيضا ليس المعنى المطلوب، إذ أن كلمة(شرى) هنا بمعنى (باع) فكان ينبغي أن تترجم (sold him).

عزيز:

اسم من أسماء الله الحسنى، وفي القرآن الكريم: (فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [37]. وتستخدم كذلك في التهكم والسخرية والاستهزاء كما في قول المولى جلَّ ثناؤه: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) [38]، وفي قوقل تترجم جملة (أنت العزيز الحكيم) بـ You are dear, wiseلأن الترجمة الآلية عمومًا لا تراعي الأساليب والأغراض البلاغية والمجازية كالتهكم والسخرية والاستهزاء.

- **ما:** هذا الحرف تكثر استعمالاته في اللغة العربية، فمن أشهر معانيه: الاستفهام: مثل ما اسمك؟، والتعجب، مثل: ما أجمل الربيع!، وتأتي زائدة مثل: إذا ما اتحد القوم نجحوا، وغيرها كثير، لكن في معظم الجمل تترجم في قوقل بWhat.

الخاتمة:

ونخلص من هذا ونحن بين يدي نهاية الدراسة إلى أن الترجمة الآلية بحاجة دائمة إلى تدخل العنصر البشري؛ وهذا لا يعني إنكار التطور والدور الذي تلعبه الترجمة الآلية أو التقليل من قيمتها؛ لكن من جهة أخرى فإننا لا نستطيع إغفال قدرة المترجم البشري على فهم السياق اللُغوي والبُعد الثقافي للكلمات وحرية انتقاء المعاني المختلفة لتُناسب المعنى المُراد في اللغة الهدف. فالترجمة الآلية يصعب عليها مراعاة المدلول الثقافي والاجتماعي للكلمات؛ فتجد صعوبة في ترجمة الكلمات متعددة المعنى لا سيما كلمات الأضداد.

نتائج الدراسة:

توصل الباحثان إلى مجموعة من النتائج ومن أهمها:

إن الترجمة الآلية لا تستطيع أن تعمل كالعقل البشري. ولا يمكنها استيعاب المصطلحات ولا مراعاة الفروق الثقافية والاجتماعية من لغة إلى أخرى. إذ إنها تعتمد على ترجمة الحرف في أغلب أحوالها بالإضافة إلى المشاكل الصرفية والنحوية واللغوية.

وبناءً على ذاك فإن الترجمة الآلية غير صالحة ألبتة في ترجمة معاني القرآن الكريم.

يصعب على المترجم الآلي التفريق بين الصيغ الصرفية المشتركة، كما هو الحال في اتحاد اسمي الفاعل والمفعول. والترجمة الآلية عمومًا لا تراعي الأساليب والأغراض البلاغية والمجازية كالتهكم والسخرية والاستهزاء

كذلك لايمكن للترجمة الآلية أن تترجم عناصر الثراء اللغوي بصفة عامة والمشترك اللفظي وألفاظ الأضداد بصفة خاصة إذ إن الكلمات متشابهة أو متطابقة خطًا ومختلفة معنىً. كما لا يمكن للترجمة الآلية أن تفرق بين علامات التشكيل والصور الإملائية. لأنها لا تراعي السياق الذي هو أساس التفريق بين ألفاظ المشترك والأضداد؛ فهذا الأمر يمثل صعوبة حتى في الترجمة البشرية فضلا عن الآلية. ويمكن معالجة الأمر بما يلي:

إنشاء قاعدة بيانات لغوية تمكن الحاسوب من تحقيق دقة عالية في ترجمة النصوص.

تدريب الحاسوب على التفريق بين ألفاظ المشترك والأضداد بحسب السياق والعوامل الخارجية وذلك باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي من أجل أن ينمي الحاسوب قاعدته المعرفية ويحسن من معالجته للنص.. وهنا لابد أن يكون الأمر مصحوبا بمتابعة ومراجعة من قبل خبراء الترجمة.

جعل الحاسوب ينمي قاعدته المعرفية واللغوية ذاتيا وذلك عن طريق التكرار والمتابعة وهذا الأمر ينتج عنه ما يسمى بـ (لغة التنبؤ).

المصادر والمراجع:

(1) محمد بن القاسم ابن الانباري: الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، 1987م، ص3.

(2) محمد بن القاسم ابن الانباري: الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، 1987م، ص3.

(3) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، الناشر: عالم الكتب - بيروت، تحقيق: محمد علي النجار، عدد الأجزاء: 3، ج2، ص 103.

(4) المرجع السابق: ج2، ص103.

(5) الإسراء:45.

(6) أحمد مختار: علم الدلالة، ص 207.

(7) ابن سيده علي بن إسماعيل (ت458هـ): المخصص، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، لبنان، ج13، ص259.

(8) محمد عبد الله علي سيف: البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه (إرشاد الفحول)، ص80، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، الجامعة المستنصرية، 1420هـ=1999م.

(9) ابن الأنباري ص12.

(10) في اللهجات العربية ص211.

(11) عبد القادر بن عمر البغدادي، سنة الولادة 1030/ سنة الوفاة1093هـ-: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1998م، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: 13، ج8 ص 347.

(12) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، لقاهرة ص209.

(13) المرجع السابق ص 206.

(14) الدخان:49. ابن الأنباري، ص257..

(15) أحمد مختار عمر: ص 205.

(16) ربحي كمال :(1975): التضاد في ضوء اللغات السامية، بيروت، ص 35.

(17) مروان البواب: دراسة في تقييم الترجمة الآلية، الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، ص 11

(18) الموسوعة الحرة ويكيبيديا بتاريخ 21 يناير 2021م

(19) أجمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ص. 251.

(20) الكهف 6.6. المرجع السابق ص254..

(21) آل عمران:187.

(22) الكهف:79.

(23) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ج2 ص245.

(24) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: المكتبة الإلكترونية بالمدينة المنورة، بدون ت-ط ج1.

(25) [الشعراء:89].

(26) رقم الحديث 3814.

(27) البقرة:222.

(28) النساء:48.

(29) أيسر التفاسير للجزائري: ج1 ص489.

(30) الأنبياء:82.

(31) محمد سيد الطنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، عدد الأجزاء :15، ج9 ص 239.

(32) الفجر:28.

(33) القارعة:7.

(34) يوسف:21.

(35) يوسف:20.

(36) الدر المنثور: ج4 ص515.

(37) البقرة:209.

(38) الدخان:49.

المصادر والمراجع:

(1) ابن سيده علي بن إسماعيل (ت458هـ): المخصص، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، لبنان.

(2) الموسوعة الحرة ويكيبيديا بتاريخ 21 يناير 2021م.

(3) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، الناشر: عالم الكتب، بيروت تحقيق: محمد علي النجار.

(4) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 2006.

(5) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: المكتبة الإلكترونية بالمدينة المنورة، بدون ت-ط.

(6) ربحي كمال :(19): التضاد في ضوء اللغات السامية، بيروت.

(7) عبد القادر بن عمر البغدادي، سنة الولادة 1030/ سنة الوفاة 1093هـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1998م، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: 13.

(8) محمد بن القاسم ابن الانباري: الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، 1987م.

(9) محمد سيد الطنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، عدد الأجزاء :15

(01) محمد عبد الله علي سيف: البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه (إرشاد الفحول)، ، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، الجامعة المستنصرية، 1420هـ=1999م.

(11) مروان البواب: دراسة في تقييم الترجمة الآلية، الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى.

L’enseignement du vocabulaire aux universités soudanaises

Dr. Nadia Abdel Rahim Mohamed

Département de françaisFaculté des Lettres -Université Ahlia d’Omdurman

Résumé

Cette étude a pour objectif d’examiner les méthodes et les supports pédagogiques utilisés à l’enseignement/ apprentissage du vocabulaire dans les universités soudanaises.327 étudiants, ont été sélectionnés. Ces étudiants représentent quatre universités qui enseignent le français au Soudan, afin d’explorer leurs opinions sur l’efficacité des méthodes et des supports pédagogiques utilisés à l’enseignement du vocabulaire. L’analyse statistique des opinions des étudiants nous montre que, La compréhension des mots dans un contexte, La traduction**,** Les gestes et les mimiques **et** Le travail de groupe**,** sont les méthodes les plus utilisées. Concernant les supports pédagogiques, le manuel et le tableau sont les supports les plus utilisés en classe du français.

Le résultat nous montre que, malgré l’expansion de l’enseignement u français au Soudan, et la révolution technologique, les méthodes dites traditionnelles dominent les classes soudanaises, bien qu’elles ne répondent pas aux besoins et aux attentes des étudiants.*Pour enrichir l’enseignement du vocabulaire*, et améliorer le niveau des étudiants soudanais. L’étude propose l’usage des méthodes faciles à utiliser dans les classes soudanaises telles que : le travail de groupe et les jeux de rôles. L’étude recommande l’internet, comme support efficace, disponible pour la plupart des étudiants.

المستخلص:

تستهدف الدراسة التى اشتملت عليها الورقة دراسة الطرق و الوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس مفردات اللغة الفرنسية وتعلمها في الجامعات السودانية. وقد اخترنا 327 طالباً وطالبة من عدد أربع جامعات تدرس اللغة الفرنسية لمعرفة آرائهم حول مدى فعالية الطرق والوسائل التعليمية المستخدمة لتدريس مفردات اللغة الفرنسية. وأوضح التحليل الإحصائي لآراء الطلبة والطالبات أن فهم المفردات من السياق, الترجمة ,الاشارة والحركات وعمل المجموعات أكثر الطرق فعالية. اما بالنسبة للوسائل التعليمية

الأخرى مثل الكتاب والسبورة هما اكثر استعمالاً وشيوعاً ولقد خلصت الدراسة الى أنه على الرغم من التوسع في تدريس اللغة الفرنسية في السودان وثورة المعلومات غير أن الطرق التقليدية مازالت هى السائده في تدريس مفردات اللغة الفرنسية. وتبين من الدراسة أن هذه الطرق والوسائل لاتلبي احتياجات وتطلعات الطلبة والطالبات. وتقترح الدراسة انتهاج طرق سهلة الاستخدام في السودان مثل عمل المجموعات' ولعب الادوار. اما بالنسبة للوسائل توصي الدراسة الاستفادة من الانترنت نظراً لانه وسيلة فعالة وسهلة .

Mots clés

Enseignement, vocabulaires, universités soudanaises, méthodes, supports et aides pédagogiques

Introduction

L'enseignement du vocabulaire incarne un vrai problème, car il est négligé depuis longtemps, de la méthode grammaire traduction jusqu'à aujourd'hui, il n'ya pas une méthode précise à l'enseignement du vocabulaire.

. Le vocabulaire présente, en effet, des caractéristiques multiples, soulignées dans de nombreuses études (notamment par Martinet; Galisson; Picoche Laufer, ou plus récemment Calaque. Ainsi, le vocabulaire n'est-il pas seulement lié à une signification une unité lexicale en tant que telle peut aussi se caractériser par sa forme orale et écrite, son registre de langue, sa culture et sa spécialisation. Les unités lexicales considérées dans un ensemble peuvent également représenter des difficultés pour l'apprenant, en raison notamment des liens de dérivation, thématiques ou de sens, de la syntaxe, des collocations ou du contexte. Comment enseigner le vocabulaire ? Comment rendre son apprentissage plus souple et ludique ?,

Cela demande beaucoup d'efforts chez les enseignants soudanais, car le vocabulaire qui est une partie de la langue, évolue toujours. Ceci crée un grand défi non seulement pour les étrangers mais aussi pour les natifs.

Objectif de l'étude :

Cette étude a pour objectif d'examiner les méthodes et les supports pédagogiques utilisés à l'enseignement/ apprentissage du vocabulaire dans les universités soudanaises. L'étude actuelle a voulu apporter une nouvelle vision sur l'enseignement du vocabulaire. Pour enrichir l'enseignement du vocabulaire et améliorer le niveau des étudiants soudanais. Nous voulons

identifier et tester les différentes méthodes et supports pédagogiques utilisés à l'enseignement/apprentissage du vocabulaire dans les universités soudanaises. L'étude vise aussi à examiner et à étudier l'efficacité de ces méthodes et ces supports pédagogiques.

Nous avons donc réfléchi sur la manière de mettre en place un tel enseignement du vocabulaire dans les universités soudanaises et nous nous sommes interrogés sur les moyens à mettre en œuvre afin que cet apprentissage soit le plus agréable et le plus efficace possible pour les apprenants. L'étude s'oriente dans trois directions : la place du vocabulaire dans les autres composantes linguistiques, les démarches suivies pour sa présentation, et enfin le matériel privilégié pour l'enseignement.

Au cours des différentes méthodes du FLE, depuis la grammaire-traduction jusqu'à l'approche communicative, l'apprentissage du vocabulaire a été traité inégalement. Il n'ya pas eu de méthode d'enseignement / apprentissage qui traite les difficultés du vocabulaire.

Pour répondre aux difficultés de l'apprentissage lexical, il est nécessaire de s'interroger sur, les caractéristiques du vocabulaire.

Aperçu historique

Si l'on observe le traitement du vocabulaire au cours de différentes méthodes du FLE (grammaire/ traduction, méthode directe, SGAV et Approche communicative), on s'aperçoit qu'il n'y a jamais eu de méthode précise et adaptée aux problèmes d'apprentissage. On note toujours une évolution, mais chaque nouvelle méthode n'apporte pas de réelle solution aux difficultés posées par la précédente.

. La méthode grammaire / traduction (XVIème siècle)

La méthode grammaire/ traduction, comporte trois objectifs principaux:

a. Intellectuel (ou « formatif »)
b. Culturel
c. Littéraire

Selon Puren. « L'apprentissage d'une langue est considéré comme

activité intellectuelle, l'objectif étant donc formatif. On autorise les apprenants à se servir d'un livre de grammaire et d'un dictionnaire bilingue (ce qui n'est en rien surprenant, puisque le recours à la langue maternelle est à la base même du principe de la méthode grammaire/ traduction ».

Porcher indique qu'on considère, en effet, que plus on apprend de vocabulaire, plus on est capable d'en apprendre, on se trouve dans le cadre d'une « pédagogie de la mémoire et de la répétition ». De plus, Puren affirme que les mots ne sont pas inclus ni dans une structure, ni dans un contexte, mais présentés sous formes de listes et classés par ordre alphabétique.

La méthode directe

La méthode directe, employée de la fin du X1Xème siècle au milieu du XXème siècle, s'oppose radicalement à la méthode grammaire / traduction. Le principe est de ne pas passer par la langue maternelle pour acquérir et faire acquérir la langue étrangère. On ne considère donc pas les langues comme des systèmes équivalents.

Suivant les principes de la méthode directe, Vinger rapporte que l'enseignant se sert du cotexte physique et visuel immédiat, il décrit également les actions qu'il effectue. On passe directement du référent au signifié: « toute la démarche est fondée sur le principe (…) d'assimilation du signifié au référent ».Puren souligne aussi qu'il faut alors employer des procédés dits intuitifs (gestes, mimiques, objets, exemples, dessins ou images) sans passer par l'intermédiaire du mot correspondant en langue maternelle pour l'enseignement du sens des mots.

Puren affirme que la méthode directe appartient à une période pour le vocabulaire: la quantité de mots nouveaux introduits dans chaque leçon est très élevée, puisqu'il n'existe pas, à ce moment-là, de moyens scientifiques de sélection du vocabulaire à enseigner ni de progression lexicale. On retrouve dans les méthodes directes une inflation véritablement effrénée du vocabulaire. Toute leçon sur la cuisine, par exemple, inclut inévitablement le catalogue presque complet de la batterie de ses ustensiles ». Cela pose,

comme en grammaire/ traduction le problème de la quantité de mots nouveaux à apprendre. Une autre difficulté réside dans la nature même des mots sélectionnés. Le vocabulaire choisi pour les premières leçons correspond seulement à l'environnement de la classe, puisqu'il faut décrire ce qui se trouve dans le contexte. Enfin, la langue proposée est artificielle puisqu'il n'est pas naturel de nommer les choses qui nous entourent ou les actes que l'on fait.)

La méthode SGAV (Structuro-Globale Audio- visuelle)

La méthode SGAV est née en France dans les années cinquante. Elle a des points communs avec la méthode directe: German mentionne qu'on ne passe pas par la langue maternelle des apprenants, et l'oral est favorisé, contrairement aux méthodes qui l'ont précédée, elle se base sur un inventaire de langue. Les listes du Français Fondamental, résultant des travaux du Centre d'Etude du français élémentaire (créé en1951, devenu le CREDIF en 1954), émanant d'une volonté « d'élaborer à partir d'une analyse de la langue parlée une gradation lexicale et grammaticale méthodique qui puisse favoriser la diffusion du français en facilitant son apprentissage ».

Les listes du Français Fondamental se composent de mots classés par ordre alphabétique et suivant deux niveaux: un Français Fondamental premier degré de 1475 mots, élaboré en 1954, et un Français Fondamental second degré de 1609 mots. Le Français Fondamental a été utilisé par les concepteurs de nombreux cours de français langue étrangère, notamment pour la création de la méthode Voix et Image de France (VIF), éditée en 1958,1961 et 1971, premier cours SGAV de Français langue étrangère.

Pour Porcher cette méthode reste basée sur le vocabulaire: « les méthodes, malgré leurs dires, sont essentiellement centrées sur le lexique, une sélection de vocabulaire ».

Elle présente malgré des carences au niveau de l'enseignement du vocabulaire. En effet, la langue utilisée, bien qu'étant la langue parlée de tous les jours, conserve un côté artificiel: Selon German « les personnages parlent

sans hésitation, sans chevauchement ni reprise ».

De plus le vocabulaire est proposé en quantité restreinte, puisqu'on ne s'intéresse plus à la structure de la langue qu'au lexique.

La volonté d'améliorer l'enseignement de la langue a amené à la situation opposée, une difficulté, loin d'être résolue, étant remplacer par un autre problème. Bien que cohérente, les listes du Français Fondamental ne sont pas opératoires: Les auteurs de méthodes devaient confronter leurs productions aux listes du FF, ce qui n'était pas une tâche aisée, vu le nombre élevé de mots présents dans ces listes.

Bogaards souligne que « Contrairement à ce qu'ont pensé plusieurs auteurs de méthodes, le Français Fondamental n'a pas apporté une solution définitive au problème du vocabulaire ». Galisson reconnaît tout de même au Français Fondamental le mérite d'être le premier à avoir posé sérieusement le problème du vocabulaire aux concepteurs de manuels.

L'approche communicative

German montre que « La méthode communicative, des années soixante-dix, apporte une nouvelle approche de l'enseignement/ apprentissage. En effet, elle se centre sur l'apprenant, qui devient en grande partie responsable de son apprentissage. »

Elle se base sur l'inventaire de langue du conseil de la coopération culturelle du Conseil de L'Europe réalisé en 1971(Un niveau seuil, 1976).Le recueil d'informations a été réalisé non plus à partir de critères de fréquence et de disponibilité comme c'était le cas de la méthode SGAV, mais à partir des besoins de l'apprenant, en posant la question de savoir comment et à quelle fins il aura besoin d'utiliser la langue qu'il apprend.

On s'intéresse ainsi aux « besoins langagiers », besoins qui définissent le contenu à enseigner.

German souligne aussi que « Le Niveau Seuil présente les intentions de communication sur une colonne à gauche, et les expressions linguistiques qui leur correspondent sur la colonne de droite. Cependant les situations de

communication (qui permettraient de déterminer dans quel(s) cas on utilise tel énoncé) ne sont pas indiquées. »

L'utilisation des documents authentiques permet ainsi de présenter le vocabulaire en contexte et dans des situations naturelles, et non plus artificielles. Cependant, cela pose le problème de la quantité de mots nouveaux et de la cohérence et des liens avec le connu: De plus, le vocabulaire n'a plus une place aussi importante que dans les méthodes précédentes: Selon Pocher « l'apparition des méthodologies communicatives a eu une influence moins radicale sur le rôle du vocabulaire que sur celui de la phonétique, mais elle a produit une diminution considérable du vocabulaire et de son importance dans les méthodologies pédagogiques ».

Méthodologie de l'étude

327 étudiants, ont été sélectionnés. Ces étudiants représentent quatre universités qui enseignent le français au Soudan**.**

Pour obtenir la fréquence distribution et le pourcentage, pour l'analyse des informations:

Les informations collectées ont été analysées en utilisant le SPSS (statistique package for the social sciences).

. **résultat et discussion**

Concernant les méthodes utilisées à l'enseignement du vocabulaire ; l'analyse de l'étude nous montre que les enseignants recourent aux méthodes tradiionnelles.

Les réponses obtenues à partir de cette question nous montrent que (45.9%) des étudiants soulignent que l'explication des mots en contexte, est la méthode la plus utilisées à l'enseignement du vocabulaire.

(28%) des étudiants questionnés soulignent que les enseignants utilisent la traduction à l'enseignement du vocabulaire.

Tandis que (13.8%) des étudiants citent l'usage des gestes et des mimiques à l'enseignement du vocabulaire.

Enfin (12.2%) des étudiants disent que les enseignants utilisent le travail de

groupe à l'enseignement du vocabulaire.

Regardez tableau (1)

Tableau (1) présente les méthodes utilisées à l'enseignement du vocabulaire

Les méthodes utilisées	F	%
La compréhension des mots dans un contexte	150	45.9
La traduction	92	28.1
Les gestes et les mimiques	45	13.8
Le travail de groupe	40	12.2
Total	327	100

Concernant l'efficacité des méthodes utilisées à l'enseignement du vocabulaire. (72%) des étudiants citent l'efficacité de l'explication de mots en contexte.

La traduction vient en deuxième position. C'est la méthode la plus favorite pour la plupart des étudiants soudanais. Car ceci donne directement le sens des mots. Mais il y aura de risque à l'usage de la traduction car il n'ya pas d'équivalence entre un signe étranger et un signe maternel. Considérer deux langues comme deux systèmes équivalents implique un risque d'erreur de compréhension de la langue étrangère.

(71.1%) soulignent l'efficacité des gestes et des mimiques à l'enseignement du vocabulaire. Certes les gestes et les mimiques sont indispensables pour éviter le recours à la langue maternelle.

Malgré son efficacité, le travail de groupe est peu utilisé à l'enseignement du vocabulaire. (82. 5%) des étudiants assurent son efficacité.

Regardez tableau (2)

Tableau (2) présente l'efficacité des méthodes utilisées à l'enseignement du vocabulaire

	Efficace		Inefficace	
Les methods	**F**	**%**	**F**	**%**
Explication de mots en contexte	108	72	42	28
La traduction	67	72.8	25	27.1
Les gestes et les mimiques	32	71,1	13	28.9
Le travail de groupe	33	82.5	7	17.5

Le tableau et le manuel sont des supports incontournables dans les classes du français au Soudan. Ils devancent les autres supports. Bien que l'enseignement du vocabulaire nécessite une diversité de supports et d'aides pédagogiques, le manuel et le tableau restent les supports les plus utilisés. (77.7%) des étudiants confirment cette domination.

Regardez tableau(3)

Tableau (3) présente les supports et les aides pédagogiques utilisés à l'enseignement du vocabulaire

Les supports et les aides pédagogiques	**F**	**%**
Le tableau	137	41.9
Le manuel	117	35.8
Les dessins	30	9.2
Les images	24	7.3
Les affiches	19	5,8
Total	327	100

Les réponses des étudiants questionnés montrent que le tableau est le support le plus efficace à l'enseignement du vocabulaire, (94.9%) confirment son efficacité. Le manuel recule un peu car (57.3%) des étudiants interrogés assurent son efficacité. Les autres supports ont une présence timide dans la classe soudanaise, pourtant ils sont plus efficaces que les deux supports tradionnels (le manuel et le tableau)(.90%) des étudiants assurent l'efficacité des dessins à l'enseignement du vocabulaire. C'est un support simple et facile à utiliser surtout dans le contexte soudanais, moins couteux et les étudiants peuvent le créer eux-mêmes.

Les images, les affiches qui attirent l'attention des étudiants et les aident à bien comprendre le vocabulaire pour éviter le recours à la traduction,

viennent loin derrière le livre et le tableau.

Regardez tableau (4)

Tableau (4) présente l'efficacité des supports et des aides pédagogiques utilisés à l'enseignement du vocabulaire

Les supports et les aides pédagogiques	Efficace		Inefficace	
	F	%	F	%
Le tableau	130	94.9	7	3.1
Le manuel	67	57.3	50	42.7
Les dessins	27	90	3	10
Les images	16	66.6	8	33.4
Les affiches	10	52.6	9	47.4

Conclusion

Au long de cette étude, nous avons tenté d'identifier les méthodes utilisées par les enseignants, à l'enseignement /apprentissage du vocabulaire aux universités soudanaises.

Les résultats obtenus de deux enquêtes que nous avons effectuées auprès des étudiants des quatre universités et des enseignants projettent la lumière sur ces méthodes.

Il est important de noter que les étudiants soudanais, affrontent des difficultés à l'apprentissage du vocabulaire.

Le manuel et le tableau sont les supports principaux à l'enseignement du vocabulaire au Soudan, car ce sont les plus disponibles. Malgré tout, les enseignants soudanais essaient de faire entrer des autres supports dans leurs classes..

Recommandation

Pour assurer un enseignement efficace et qui répond aux besoins et attentes des étudiants soudanais, les enseignants devraient :

a. Être au courant de ce qui passe dans le domaine de la didactique des langues en général et du FLE plus particulièrement, afin de pouvoir tirer partie de toute nouveauté méthodologiques susceptible de les aider dans la pratique de classe.

b. Encourager les étudiants à participer efficacement dans leur apprentissage.

c. Proposer des supports provenant du média, pour enrichir et renouveler leur enseignement.

Pour fixer la compréhension et l'apprentissage du vocabulaire chez les apprenants soudanais, Il est préférable que les enseignants diversifient leurs méthodes. Ils peuvent utiliser des méthodes simples et faciles à introduire dans les classes soudanaises .nous proposons :

1. Le travail de groupe comme technique très efficace et utilisable dans le contexte soudanais. Les réponses des étudiants enquêtés affirment l'efficacité du travail de groupe. Malgré son quasi présence en classes soudanaises, les étudiants classent le travail de groupe parmi les trois méthodes les plus efficaces à l'enseignement du français.

2. Nous proposons aussi les jeux de rôles. Nous pensons que ce genre d'enseignement est peu utilisé, voire rare dans les classes soudanaises. Mais, nous avons observé que les étudiants soudanais sont favorables à l'usage des jeux de rôles dans leurs classes. Comme le travail de groupe ce mode d'enseignement crée une ambiance dans la classe, fait participer les étudiants et les motivent à apprendre.

3. Enfin nous proposons l'internet, comme support efficace, disponible pour la plupart de nos étudiants, qui utilisent quotidiennement l'internet dans leur vie,

Bibliographies

-Bogaards Paul, 1994, Le vocabulaire dans l'apprentissage des langues étrangères; Crédif, Hatier, Didier, Collection LAL, Paris.

-Calaque, E. Les mots en jeu, l'enseignement du vocabulaire, Grenoble, CRDPde l'aacadémie.

- Courtillon Janine 1989, lexique et apprentissage de la langue, in « lexique: », le français dans le monde, recherches et applications, août-septembre, Hachette Edicef

-Fayol Michel, 1990, Psychologie cognitive et apprentissage, les Processus cognitif en jeu dans l'activité d'apprentissage, CDDP de la Haute- Marne, Association Forum de la pédagogie, Réseau international

d’échanges culturels, Collection Espace de Formation. Français dans le monde, Recherches et applications, Hachette Formation, Paris.
Galisson Robert (1971): Inventaire thématique et syntagmatique du français fondamental; collection Le Français dans le monde, BELC, Hachette- Larousse, Paris.
Germain, Claude, 1995, Evolution de l’enseignement des langues: 5000 ans d’histoire. Paris: Clé international, Collection Didactiques des langues étrangères.
Germain Claude, 1993a, Le point sur l’approche communicative en didactiques des langues, Centre Educatif et culturel(CEC), Québec.
Girardet Jacky, 1994, «Apprentissage du lexique et mémoire», in « lexique et didactique du français langue étrangère », Les cahiers de l’Asdife, Actes des 13ème et 14ème Rencontres, janvier-septembre, Paris

-Laufer, B, 1994, « appropriation du vocabulaire: mots faciles, mots difficiles, mots impossibles », Aile, no 3.

-Martinet André (1973): Eléments de linguistique générale, nouvelle édition, Armand Colin, Paris.

Picoche, J. (1992) Précis de lexicographie française. L’étude de l’enseignement du vocabulaire, 2e édition, Paris, Nathan.

-Porcher Louis (1995): Le français langue étrangère. Émergence et enseignement d’une discipline, Hachette éducation, Paris.

-Puren Chritain (1988): Histoire des méthodologies de l’enseignement des langues, CLE International, Nathan, Paris.

-Springer Claude (1996): la didactiques des langues face aux défis de la formation des adultes; collection Autoformation et enseignement multimédia, Ophrys, Paris.

-Tagliante Christine (1994): La classe de langue, Collection Techniques de classe, Clé International, Paris